الهجرة النبوية المباركة

(دراسة تحليلية موثقة)

الدكتور

عبد الرحمن عبد الحميد البر

أستاذ الحديث وعلومه فى كلية

أصول الدين ـ جامعة الأزهر

الطبعة الأولى

دار الكلمة للنشر والتوزيع ـ مصر ـ المنصورة

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م



دار الكلمة للنشر والتوزيع - مصر - المنصورة

٣٨ ش الثورة (السكة الجديدة) ت ، ف: ٣٤٣١١٥ ص. ب:١٦٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقــدمة

الحمد لله، والصّلاة والسّلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه واهتدى بهداه.

اللهم اجعل عملنا كلَّه صالحاً خالصاً مُتقبَّلاً، ولا تجعل للشيطان فيه حظاً ولا نصيباً، ووفِّقْنا لما تحب وترضى، وارزقنا خير الآخرة والأولى.

وبعد؛ فلا تزال السيرةُ النبويةُ المباركة هى الـمَعينَ الثَّرَّ، الذى تنهل منه الأمةُ أزكى معانى الخير، وأسمَى مبادىء العزّة والمجد، وأقومَ مناهج التربية والتوجيه، وأنبل معانى الشرف والفضيلة، ولا تزال أحداثُها الكريمةُ - التى استنارت بها بطون الأسفار - شاخصةً، تدلُّ الأمة - بل الأممَ كلَّها - على معالم الطريق، وتضعُ أقدامها على جادّة الصواب، وترسمُ لها صورةَ الحياة الفاضلة النبيلة، وتهديها إلى أصول الحياة الحرة الكريمة، فلا تضلُّ ولا تشقى، ولا تَزيغُ ولا تضطربُ، ولا تتهوَّك ولا يلتبسُ عليها السبيل.

وما من صفحةٍ من صفحات حياته المباركة ﷺ إلا والأمةُ فى أَمَسِّ الحاجة إلى عمقِ التأمُّل فى سطورها، وحسن القراءة لمفرداتها، لتعرفَ كيف تكتبُ التاريخَ لنفسها، ولتدرك كيف تصنعُ الحياةَ الكريمةَ لشعوبها، ولتتأثَّر منهجَ النبوةِ الكريم فى بناء إنسان العقيدة الذى تحيا به الأممُ، وتعلو به الشعوب إلى القمم، وترتفع به الرايات، وتنتصر بجهاده الدعوات.

وفى هذا الكتاب أعرض لصفحة الهجرة النبوية المباركة، وأستعرض أحداثها، وأحاول جاهداً الوقوفَ على حقائقها، واستجلاءَ أهمِّ دروسها، مشاركاً بهذا الجهد القليل فى خدمة السيرة الزكيَّة، مؤمِّلاً بكثرة الصلاة والتَّسْليم على صاحبها ﷺ الفوزَ بجليل شفاعته، والورود يوم القيامة على حوضه، وراجياً أن أنال ببركة صحبته ﷺ فى هذا البحث صحبتَه الدائمة يومَ الدِّين.

وقد انتهجتُ فى هذه الدراسة المنهج التحليليَّ، الذى يقوم على الفحص الشامل والدقيق للوقائع والأحداث، والتَّمييز بين أجزائها المختلفة، والوقوف على بواعث كلِّ

منها، وتحديد عَلاقةِ البواعث بالنتائج، والرَّبطِ بين الأحداث المختلفة والمتتابعة، وتبويب البيانات والمعلومات الواردة حول هذه الحادثة الكريمة، بحيث تُعطى صورةً وصفيةً دقيقةً وشاملةً وصادقةً لها.

كما أننى ركّزتُ فى هذه الدِّراسة على توثيق النصوص التى أوردتُها، حتى تكون صحيحةً مقبولةً على قواعد المحدِّثين، فلم أوردْ إلا ما صحّ سندُه أو حَسُن، لذاته أو لغيره. أما الضعيفُ فلم أعوِّل عليه إلا فى أحوال استثنائية، كأن لا يُوجَدُ فى الباب غيرُه، ولا يكتمل تصوُّرُ الحَدَث إلا بذكره، أو يكون فى الفضائل المشهورة، أو يكون مما تشهدُ له النصوصُ الصحيحة، ولا تردُّه الأصول العامّة، أو يكون أصل الحديث فى الصحيح، لكنّ فيه معنىً زائداً له أثره وقيمته فى البحث، كل ذلك فى الضعيف الذى ينجبرُ ويصلح بالمتابعات والشواهد، أما الواهى جداً، والمنكر والموضوع ونحوها فلا ألجأ إليه مطلقاً، ويرحم الله الإمام الحافظ ابن كثير، إذ يقول: «ولسنا نثبت شيئاً من تلقاء أنفسنا، ولكن ما صحّ سندُه أو حسن سندُه قلنا به، والله أعلم»[1].

قلت: هذا هو المنهج لا سواه إن شاء الله.

ولذلك لم يكن اعتمادى الأساسىُّ على كتب السيرة، كما هى عادة كثير من الكُتَّاب، بل قدّمتُ عليها كتب السنة، واجتهدتُ في التعرُّف على درجة الحديث إذا لم يكن فى أحد الصحيحين: البخاريِّ ومسلم، وذلك من خلال أقوال أئمة الشَّأن فى ذلك، أو البحث فى سنده والحكم عليه على قواعد المحدِّثين.

ثم لم أقف عند مجرد الجمع والسرد للنصوص، بل علَّقتُ عليها، وقدَّمتُ لها، وربطتُ بينها، بما يوضح الحدث أمام القارىء، ويعينه على فهمه وحسن التعامل معه.

وقمت بشرح الألفاظ الغريبة التى وردت فى الروايات، وإيضاح المقصود ببعض العبارات التى حسبتُ أنها تصعب على غير المتخصصين.

كما قمت ببيان وتحديد الأماكن المذكورة فى الروايات بما يجعل الأمر واضحاً جليًّا أمام القارىء الكريم.

وأنا فى ذلك كله أعزو كل قولٍ إلى قائله، وأرد كل معلومةٍ إلى مصادرها التى أخذت عنها؛ وفاءً بالأمانة، وعرفاناً بالفضل لأهله.

---

(١) البداية والنهاية ٣/ ١٨١.

وقد قصدتُ بهذا المنهج أن أجمع بين منهج أصحاب السير الأولين، الذين اعتمدوا على جمع الأحداث وسردها، ومنهج المحدِّثين الذين اعتمدوا توثيق مروياتهم، ومنهج الدعاة والمصلحين الذين اهتموا باستخراج العبر والعظات، وبالدلالة على الفوائد والدروس، وبالنظر فى فقه السيرة المباركة.

وتبعًا لما سبق فقد جاء الكتاب فى خمسة عشر فصلاً على النحو التالى :

الفصل الأول: الهجرة فى القرآن والسنة: سردتُ فيه الآيات التى تناولت حادثة الهجرة النبوية المباركة، على ترتيب الأحداث، مع بيان معانى بعض الكلمات، والتعليق على بعض الآيات كلما أحسست بحاجة القارىء إلى ذلك. ثم سَرَدْتُ أصحَّ وأهمَّ الأحاديث التى تناولت الحادثة، مع ترتيبها بما يعطى صورةً قريبةً متسلسلةً لأحداثها.

الفصل الثانى: دوافع وأسباب الهجرة الكريمة: بيّنتُ فيه السبب الرئيس فى الهجرة، من خلال قراءة الوقائع والأحداث التى سبقتها، وأدّتْ إليها.

الفصل الثالث: متى أُذِن للرسول ﷺ وللمسلمين فى الهجرة: وقد أجبتُ على هذا السؤال بما أرى أنه يدفع الإشكال الذى تثيره الروايات الصحيحة التى اختلفت فى تحديد أول من هاجر من الصحابة.

الفصل الرابع: التخطيط النبوى لنجاح الهجرة الكريمة: وذلك على ثلاثة محاور، هى: اختيار الأرض والأنصار، والتخطيط لنجاح بيعة العقبة الكبرى، والتخطيط لنجاح هجرته ﷺ.

الفصل الخامس: متى حدثت الهجرة النبوية بالتحديد: بيَّنتُ فيه أصح الآراء - فى نظرى - فى يومى خروجه ﷺ من مكة ودخوله المدينة.

الفصل السادس: شعوره ﷺ عند الخروج من مكة: بينت فيه مدى أسفه ﷺ وأسف أصحابه على فراق مكة الحبيبة، وما قاله عند الخروج منها.

الفصل السابع: الطريق الذى سلكه المهاجر الأعظم ﷺ من الغار إلى المدينة: وقد استفدتُ فى تحديد معالم الطريق، وتحديد مواقعها وأسمائها الحالية من كتابين حديثين للمقدم/ عاتق بن غيث البلادى.

الفصل الثامن: من دلائل النبوة فى طريق الهجرة: ذكرتُ فيه ثمانيًا من هذه الدلائل، اختصرتُ ما سبق ذكره منها، وتوسَّعْتُ فى الباقى.

الفصل التاسع: استقبال الأنصار للنبى ﷺ والمهاجرين: بينتُ فيه مدى الحفاوة التى استقبل بها الأنصارُ نبيهَّم ﷺ وإخوانهم.

الفصل العاشر: من مشاهد العظمة فى الهجرة: بيّنتُ فيه بعضَ مشاهد التضحية والتجرد فى هجرة المؤمنين من أصحاب النبىّ ﷺ.

الفصل الحادى عشر: فضيلة الأنصار رضى الله عنهم: عرَّفْتُ فيه بالأنصار وذكرتُ أهمّ مناقبهم وفضائلهم التى اختصوا بها، إنزالاً لهم منازلهم، ونشراً لجميل مآثرهم.

الفصل الثانى عشر: فضيلة أرض الهجرة (المدينة): بيَّنْتُ فيه أهم فضائلها التى فُضِّلت بها على سائر البقاع.

الفصل الثالث عشر: التأريخ بالهجرة: بيَّنتُ فيه معنى التأريخ، وأول من أرّخ بالهجرة، وما كان يُؤَرَّخ به قبل ذلك.

الفصل الرابع عشر: أحكام الهجرة: بيَّنتُ فيه أحكام الهجرة إلى المدينة قبل فتح مكة، وبعد فتح مكة، وما قال العلماء فى انقطاع الهجرة، ومعانى الهجرة الباقية.

الفصل الخامس عشر: فوائد عامة ودروس متنوعة من الهجرة: ضمنته بعض الفوائد والدروس التى حسبتها نافعةً فى إيجاز واختصار.

وقد صنعتُ للكتاب عدة فهارس فى آخره تُيَسِّر سبيل الاستفادة منه والانتفاع به إن شاء الله تعالى.

ومما لا ريب فيه أن كل عمل بشرى ـ مهما تبلغ نباهة صاحبه، وحدّة خاطر منشئه، وسعة معرفة واضعه أو صانعه ـ لا يمكن أن يخلو من القصور، أو يسلم من الضعف والنقص البشرى. ومن ثمَّ فإنى متوجه إلى كل قارىء يرى فى هذا البحث خللاً أو نقصاً أن يدلّنى عليه، ويعيننى على تسديده، وألاّ يبخل علىّ بنصيحةٍ نافعةٍ، تقوِّم البحث، وتفيد صاحبه، وله إن شاء الله أجر الناصحين، وثواب الدالِّين على الخير.

وحسبى أنى ما قصدتُ إلا الخير، وما رجوت إلا الإصلاح، فإن أكن فيما كتبتُ قد

أصبتُ فذلك الفضل من الله، وإن تكن الأخرى فإنى أسأل الله العظيم العفو والمسامحة.

وإنى لأتوجه إلى الله الكريم أن يتقبل عملى هذا، وأن يجعله فى ميزان حسناتى، وأن يرزقنى به شفاعة صاحب السيرة الزكية ﷺ، وأن يحشرنى تحت لوائه، إنه جواد كريم.

وصلى الله على نبينا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم

كتبه

أبو محمد

عبد الرحمن عبد الحميد البر

الفصل الأول
الهجرة فى القرآن والسنة

من المعلوم أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهّرة قد تناولا الحديث عن الهجرة الكريمة فى مواطن متعددة.

وسوف أورد فى هذا الفصل الآيات القرآنية التى لها صلة مباشرةٌ بالهجرة المباركة، مراعياً ترتيبها بصورة تعطى تصوراً مرتباً لعملية الهجرة، بدءاً من توجيه القرآن إلى الهجرة فى أرض الله الواسعة، حتى حصول الهجرة، وما ترتب عليها من واقع جديدٍ وأحكامٍ، شرعيةٍ وبيانٍ لفضل الهجرة والمهاجرين.

ثم أورد أصح الأحاديث التى تتناول معظم أحداث الهجرة، على ترتيبٍ يعطى صورةً قريبةً متسلسلةً للقصة الكاملة.

وأعلق على الآيات بما يوضح معناها والمقصود منها، وعلى الأحاديث بما يوضح معنى لفظٍ أو مفهوم عبارة، أو يزيل لبْساً متوقَّعاً، إن شاء الله، وذلك على النحو التالى:

الآيات القرآنية التى تكلمت عن الهجرة

١ـ قال تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ (العنكبوت ٥٦).

٢ـ وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1]. (الزمر٥٣).

٣ـ وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[2]. (الأنفال٢٩).

٤ـ وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي

---

(١) هاتان الآيتان المكيتان من أول ما نزل بشأن التوجيه إلى الهجرة، والخروج من أرض الشرك التى ضُيِّق فيها على المسلمين، إلى حيث يتمكنون من إقامة دينهم.

قال ابن جرير الطبرى فى التفسير٢٣/ ٢٠٣ عن آية الزمر: «يقول تعالى ذكره: وأرض الله واسعة فسيحة، فهاجروا من أرض الشرك إلى دار الإسلام» ونقل عن مجاهد أنه قال: «فهاجروا، واعتزلوا الأوثان».

وقال ابن كثير فى تفسيره ٣/ ٤٠٥ عن آية العنكبوت: «هذا أمرٌ من الله تعالى لعباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذى لا يقدرون فيه على إقامة الدين إلى أرض الله الواسعة حيث يمكن إقامة الدين، بأن يوحِّدوا الله ويعبدوه كما أمرهم».

قال: «ولهذا لما ضاق على المستضعفين بمكة مقامُهم بها خرجوا مهاجرين إلى أرض الحبشة، ليأمنوا على دينهم هناك، فوجدوا خير المنزلين هناك: أصحمة النجاشىَّ ملك الحبشة رحمه الله تعالى، فآواهم وأيَّدهم بنصره، وجعلها سيوماً ببلاده، ثم بعد ذلك هاجر رسول الله ﷺ والصحابة الباقون إلى المدينة النبوية».

وانظر: جامع البيان للطبرى ٢١/ ٩ـ ١٠.

(٢) تحكى هذه الآية الكريمة قصة المؤامرة المجرمة على رسول الله ﷺ، وحفظَ الله إياه، وردّه المكرَ السىءَ على أصحابه، وستأتى القصة فى الحديث رقم : (١). ومعنى قوله ﴿ليثبتوك﴾ قيل: يثبتوك بالجراحات، ومنه قول الشاعر :

فقلت: ويحكم ما فى صحيفتكم   قالوا: الخليفة أمسى مُثبَتاً وَجِعا

وقيل: المعنى: ليحبسوك، وقيل: ليوثقوك، وقرأ الشعبى «ليبيِّتوك» من البيات، وقرىء «ليثبِّتوك» بالتشديد.

ومعنى قوله ﴿أو يخرجوك﴾ أى من مكة التى هى بلدك وبلد أهلك. انظر: جامع البيان للطبرى٩/ ٢٢٦ـ ٢٢٧، وتفسير ابن كثير ٢/ ٢٨٩ـ ٢٩٠، وفتح القدير للشوكانى ٢/ ٣٠٣.

من لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصيراً﴾[1]. (الإسراء ٨٠).

٥- وقال تعالى: ﴿إلاَّ تنصُرُوهُ فقدْ نصرَهُ اللَّهُ إذْ أَخْرَجَهُ الَّذينَ كفرُوا ثَانيَ اثْنَيْنِ إذْ هُمَا في الْغَارِ إذْ يَقُولُ لصَاحبه لا تحْزَنْ إنَّ اللَّهَ معَنَا فَأَنزلَ اللَّهُ سكينتَهُ عَلَيْه وَأَيَّدَهُ بجُنُود لَّمْ تروْهَا وَجعَلَ كَلمَةَ الَّذينَ كَفرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلمَةُ اللَّه هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزيزٌ حَكيم﴾[2]. (التوبة ٤٠).

(١) هذا توجيه من الله تعالى لنبيه ﷺ بالدعاء بما فى الآية الكريمة، وقد استجاب الله تعالى له، فأدخله مدخل الصدق، وأخرجه مخرج الصدق وأعطاه سلطانا نصيراً.
وقد اختلف فى معنى «مدخل الصدق ومخرج الصدق» على أقوال متعددة، والصواب فيها ما قال ابن جرير الطبرى فى تفسيره: «وأشبه هذه الأقوال بالصواب فى تأويل ذلك قولُ من قال: معنى ذلك: وأدخلنى المدينة مدخل صدق، وأخرجنى من مكة مخرج صدق؛ لأن ذلك عقيب قوله ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خلافَكَ إلاَّ قَلِيلا﴾ (الإسراء٧٦)، وقد دللنا فيما مضى على أنه عنى بذلك أهل مكة، فإذا كان عقيب خبر الله عما كان المشركون أرادوا من استفزازهم رسول الله ﷺ ليخرجوه عن مكة كان بيِّناً إذ كان الله قد أخرجه منها أن قوله ﴿وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق﴾ أمرٌ منه بالرغبة إليه فى أن يخرجه من البلدة التى همَّ المشركون بإخراجه منها مخرج صدق وأن يدخله البلدة التى نقله إليها مدخل صدق».
كما اختلف فى المقصود بالسلطان النصير، وأصح الأقوال ما قال ابن جرير أيضاً: «وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب: قولُ من قال: ذلك أمرٌ من الله تعالى لنبيه ﷺ بالرغبة إليه فى أن يؤتيه سلطانا نصيراً له على من بغاه وكاده وحاول منعه من إقامته فرائض الله فى نفسه وعباده؛ لأن ذلك كان عقيب خبر الله عما كان المشركون همُّوا به من إخراجه من مكة، فأعلمه الله عز وجل أنهم لو فعلوا ذلك عوجلوا بالعذاب عن قريب، ثم أمره بالرغبة إليه فى إخراجه من بين أظهرهم إخراج صدق يحاوله عليهم، ويدخله بلدةً غيرها بمدخَل صدق يحاوله عليهم، ولأهلها فى دخوله إليها، وأن يجعل له سلطاناً نصيراً على أهل البلدة التى أخرجه أهلُها منها، وعلى كل من كان لهم شبيهاً، وإذا أوتى ذلك فقد أوتى - لاشك - حجة بينة».
جامع البيان ١٥/١٤٨: ١٥١، وانظر تفسير ابن كثير ٣/٥٨، وانظر الأحاديث الآتية برقم (٣٢)، (٣٣)، (٣٤).

(٢) تتحدث الآية الكريمة عن خروج النبى ﷺ مهاجراً، وهو أحد اثنين، هو وأبو بكر الصديق رضى الله عنه، وعن حالهما حين دخلا الغار غار ثور، وأبو بكر يخشى أن يراهما المشركون ويصلوا إليهما، ورسول الله ﷺ يثبته ويربط على قلبه ويقول له «لا تحزن إن الله معنا» بعونه ونصره وتأييده، ومن كان الله معه فلن يُغلَب، ومَن لا يُغلَب فلا يحق له أن يحزن، فأنزل الله سكينته عليه، والضمير فى «عليه» قيل: إنه لأبى بكر، وعليه فيكون معنى السكينة: تسكين جأشه وتأمينه حتى ذهب عنه الروع، وحصل له الأمن، وقيل: الضمير للنبى ﷺ، ويكون المراد بالسكينة: عصمتَه عن حصول سبب من أسباب الخوف له، ويؤيد هذا القول أن الضمير فى «أيده» للنبى ﷺ؛ لأنه المؤيّد بهذه الجنود التى هى الملائكة ﴿وجعل كلمة الذين كفروا﴾ أى كلمة الشرك ﴿السفلى﴾، أما كلمة الله وهى كلمة التوحيد والدعوة إلى الإسلام فهى المختصة بالعلو دون غيرها.
انظر: جامع البيان ١٠/١٣٥، وتفسير ابن كثير ٢/٣٤٣، وفتح القدير ٢/٣٦٢. وانظر الحديث الآتى برقم(٥١).

٦ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا . إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً . فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا . وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[١].

(النساء ٩٧ : ١٠٠).

٧ـ وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٢]. (التوبة ١٠٠).

---

(١) يبين الحق عز وجل فى هذه الآيات حكم الهجرة إلى الله ورسوله، وأنها فريضةٌ يأثم كلٌّ من تخلف عنها لغير عذرٍ حقيقى، ويعتبر ظالماً آثماً، وتبين الآيات ضعف ووهاء العذر الذى ينتحله القاعدون عن الهجرة المساكنونَ للمشركين، إذ يقولون: كنا مستضعفين فى الأرض، يمنعنا أهل الشرك المتكاثرون فى أرضنا وبلادنا من الإيمان بالله واتباع رسوله ﷺ، وتلك معذرة واهية، إذ كان عليهم أن يخرجوا من الأرض التى استضعفوا فيها ويفارقوا الأوطان التى منعوا فيها من إعلان الإيمان إلى أرض الإسلام، فيكونوا فى عداد المسلمين يكثِّرون سوادهم، ويزيدون قوتهم؛ بدلاً من أن يكثروا سواد المشركين، وإن ماتوا على ذلك فجزاؤهم جهنم وساءت مصيرا، ثم استثنى الحق سبحانه من هذا المصير الضعفاء حقاً من الرجال والنساء والولدان الذين عجزوا عن الهجرة بالعسرة وقلة الحيلة وسوء البصر وعدم المعرفة بالطريق من أرضهم إلى أرض الإسلام، فأولئك يتفضل الله عليهم بالصفح عنهم فى تركهم الهجرة، إذ لم يتركوها اختياراً، ولا إيثاراً منهم لدار الكفر على دار الإسلام، ولكن للعجز الذى هم فيه عن النقلة عنها.
ثم بيّن الحق سبحانه أن من يفارق أرض الشرك مهاجراً بدينه إلى الله ورسوله وإلى دار الإسلام يجد فى الأرض مراغماً كثيراً وسعة، فإن أدركته منيته قبل بلوغه أرض الإسلام ودار الهجرة فقد استوجب أجره من الله عز وجل الغفور الرحيم.
انظر: جامع البيان ٥/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨، وتفسير ابن كثير١/ ٥١٤ـ ٥١٥ وانظر حديث ضمرة ابن جندب الآتى برقم (١١٢) و(١١٣).

(٢) فى هذه الآية بيان لفضيلة السابقين من المهاجرين والأنصار، الذين سبقوا أولاً إلى الإيمان بالله ورسوله ففارقوا فى سبيل ذلك العشائر والأوطان، والذين نصروا رسول الله ﷺ على أعدائه من أهل الكفر، وكذلك الذين اتبعوهم بإحسان وسلكوا سبيلهم فى الإيمان بالله والهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام طلباً لرضا الله عزوجل
انظر: جامع البيان ١١/ ٦، وتفسير ابن كثير ٢/ ٣٦٧.

٨ ـ وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ . الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[1].

(النحل ٤١ : ٤٢).

٩ ـ وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ . وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2]. (الحشر ٨ : ٩).

١٠ ـ وقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾. (الحج ٣٩ : ٤٠).[3].

---

(١) فى هذه الآيات يبين الحق عزوجل عاقبة المؤمنين الذين ظلمهم أهل مكة، فاضطروهم إلى الهجرة ومفارقة أقوامهم ودورهم وأطانهم، حتى لحق طوائف منهم بالحبشة، ثم بوأهم الله المدينة، فجعلها دار هجرتهم وجعل لهم أنصارًا من المؤمنين، فيعدهم الله عزوجل بأن يسكنهم فى الدنيا مسكناً صالحاً وأن يرزقهم رزقاً حسناً يرضونه، أما فى الآخرة فما ذخره لهم أكبر وأعظم، فى الجنة التى يدوم نعيمها ولا يبيد، جزاء صبرهم على البلاء، وثقتهم فى الله، وتوكلهم عليه فى كل أمورهم.
انظر: جامع البيان ١٤/ ١٠٦ ـ ١٠٨، وتفسير ابن كثير ٢/ ٥٥١.

(٢) هذا مدح من الله تعالى للمهاجرين الذين خرجوا من ديارهم، ابتغاء مرضاة الله، ونصراً لله ورسوله، وللأنصار الذين أحبوهم، وآووهم، ونصروهم، وآثروهم على أنفسهم. وسيأتى فى الفصل التاسع إن شاء الله بيان لما فعله الأنصار فى استقبال المهاجرين.

(٣) هذه أول آية نزلت فى الإذن بالقتال، بعد أن صار للمسلمين بعد الهجرة دولة وقوة، وذلك لردّ الظلم الذى وقع عليهم بتعذيبهم وإخراجهم من بلادهم لغير ذنب وبغير حق، إلا أنهم يقولون: ربنا الله، ومن ثم أذن الله لهم برد هذا الظلم، ووعدهم بالنصر على أعدائهم..
قال ابن كثير في التفسير ٣/ ٢١٩: «وإنما شرع الله تعالى الجهاد فى الوقت الأليق به، لأنهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عدداً، فلو أمر المسلمون ـ وهم أقل من العُشر ـ بقتال الباقين لشق عليهم. ولهذا لما بايع أهل يثرب ليلةالعقبة رسول الله ﷺ وكانوا نيفاً وثمانين (كذا، والصواب كما سيأتى بعد ذلك أنهم كانوا ثلاثة وسبعين) قالوا: يا رسول الله، ألا نميل على أهل الوادى ـ يعنون أهل منى ليالى منىً ـ فنقتلهم؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنى لم أومر بهذا».
فلما بغى المشركون، وأخرجوا النبى ﷺ من بين أظهرهم، وهمُّوا بقتله، وشردوا أصحابه شَذَر مَذَر، فذهب منهم طائفة إلى الحبشة، وآخرون إلى المدينة، فلما استقروا فى المدينة، ووافاهم رسول الله ﷺ، واجتمعوا عليه، وقاموا بنصره، وصارت لهم دار إسلام ومعقلاً يلجأون إليه، شرع الله جهاد الأعداء، فكانت هذه الآية أول ما نزل فى ذلك»..

١١ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ . وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ . وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُوْلَئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ . (الأنفال: ٧٢: ٧٥). [١] .

١٢ـ وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ . لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾

(الحج ٥٨: ٥٩). [٢].

---

(١) هذه الآيات تبين طبيعة العلاقة التى تربط المهاجرين بإخوانهم الأنصار الذين آووهم ونصروهم، وفيها يؤكد الحق عزوجل أن هاتين الفرقتين: المهاجرين والأنصار بعضهم أنصار بعض، وأعوان على من سواهم من المشركين، وأيديهم واحدة على من كفر بالله، وبعضهم إخوان لبعض دون أقربائهم من الكفار، كما يؤكد الحق عزوجل على قطع ولاية المؤمنين غير المهاجرين، حثًا لهم على الهجرة واللحوق بأرض الإسلام، وأن المؤمنين حقاً إنما هم أولئك الذين هاجروا من أوطانهم وجاهدوا مع نبيهم بالأموال والأنفس، وأن لهم مغفرةً من الله ورزقاً كريماً فى الدنيا والآخرة، وأن من لحق بهم فهاجر إليهم وجاهد معهم فهو منهم، وهو وليهم وهم أولياؤه.
انظر: جامع البيان ١٠/ ٥١ وما بعدها، وتفسير ابن كثير ٢/ ٣١٤.

(٢) يخبر الله تعالى أن من خرج مهاجراً فى سبيله وابتغاء مرضاته، ومن فارقوا أوطانهم وعشائرهم فى رضا الله ومجاهدة أعدائه ونصر دينه، ثم قتلوا فى الجهاد شهداء، أو ماتوا على الفُرُش حتف أنوفهم من غير قتال، فقد حصلوا علي الأجر الجزيل، ويعدهم سبحانه بالرزق الحسن والمدخل الصالح الذي يرضونه وهو الجنة، حتى تقرّ أعينهم بما فعلوا فى سبيل الله.
انظر: جامع البيان ١٧/ ١٩٤ ـ ١٩٥، وتفسير ابن كثير ٣/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

بعض الروايات الواردة فى السنة والسيرة حول تآمر المشركين على النبى ﷺ قبيل الهجرة إلى المدينة

١ ـ عن ابن عباسٍ رضى الله عنهما فى قوله تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك﴾ قال:

«تشاورتْ قريش ليلة بمكة، فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوَثَاق. يريدون النبي ﷺ. وقال بعضهم: بل اقتلوه. وقال بعضهم: بل أخرجوه. فأطْلَع اللهُ عزّوجل نبيه على ذلك، فبات عليٌّ فى فراش النبى ﷺ تلك الليلة، وخرج النبى ﷺ حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون عليًّا، يحسبونه النبىّ ﷺ. فلما أصبحوا ثاروا إليه، فلما رأوْا عليّاً ردّ الله مكرهم، فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدرى. فاقتصوا أثره، فلما بلغوا الجبل خُلِّط عليهم [(١)]، فصعدوا فى الجبل، فمروا بالغار، فرأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا: لو دخل ههنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاث ليال»[(٢)].

٢ ـ وعنه أيضاً قال:

«شَرَى عليٌّ نفسه، ولبس ثوب النبى ﷺ، ثم نام مكانه، وكان المشركين يرمون[(٣)] رسول الله ﷺ، وقــد كان رسول الله ﷺ ألبسه بردة، وكانت قريش تريد أن تقتل

---

(١) فى بعض الروايات: «اختلط عليهم».

(٢) أخرجه أحمد ١/٣٤٨، وعبد الرزاق فى المصنف ٥/٣٨٩ (٩٧٤٣)، والطبرانى فى الكبير ١١/٤٠٧ (١٢١٥٥)، والطبرى فى التفسير ٩/٢٢٨، والخطيب فى تاريخ بغداد ١٣/١٩١، وأبو القاسم الأصبهانى فى دلائل النبوة ٢/٥٧٣ ـ ٥٧٤ (٦٦)، قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧/٢٧: «فيه عثمان بن عمرو الجزرى، وثقه ابن حبان، وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح»، وحسّن إسناده ابن حجر فى الفتح ٧/٢٣٦، وابن كثير فى البداية والنهاية ٣/١٧٩، وفى السيرة ٢/٢٣٩ وقال: «هذا إسناد حسن» وانظر سبل الهدى والرشاد للصالحي ٣/ ١٤٠.
والوثاق: حبل أو قيد يُشد به الأسير والدابة (النهاية فى غريب الحديث والأثر (٥/ ١٥١).
ولا ينبغى أن بفهم من هذا أن النبي ﷺ أتى الغار وحده، ففى الحديث الصحيح الآتى بعد رقم (٤) «ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار ثور، وفى رواية «فركبا» فانطلقا حتى أتيا الغار ويفهم من الحديثين والحديث التالى (رقم ٣) أن النبى عاد من عند أبى بكر فى الظهيرة، فأمر علياً أن يبيت فى فراشه، ثم خرج حتى أتى أبا بكر فى بيته، فخرجا من خوخة في ظهر بيت أبى بكر، فأتيا الغار. انظر السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٨٥، والطبقات الكبرى لابن سعد ١/٢٢٨، وزاد المعاد ٣/ ٥١ ـ ٥٢.

(٣) يعنى يرمونه بالحجارة، ففى رواية أحمد: وجعل عليٌّ يرمى بالحجارة كما كان يُرْمى نبى الله ﷺ.

النبى ﷺ، فجعلوا يرمون علياً، ويرونه النبى ﷺ، وقد لبس بردة، وجعل علىٌ رضى الله عنه يتضَوَّر[1]، فإذا هو علىٌّ، فقالوا: إنك للئيم، إنك لتتضوّر، وكان صاحبك لا يتضور، ولقد استنكرناه منك».[2].

٣ ـ وعن محمد بن كعب القرظى رحمه الله قال:

«لما اجتمعوا له، وفيهم أبو جهل بن هشام، فقال وهم على بابه: إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بُعثتم من بعد موتكم، فجُلعت لكم جنَانٌ كجنان الأردُنّ، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذَبحٌ، ثم بُعثتم من بعد موتكم، ثم جُعلَت لكم نارٌ تُحرقون فيها.

قال: وخرج عليهم رسول الله ﷺ، فأخذ حفنة من تراب فى يده، ثم قال: «أنا أقول ذلك، أنت أحدهم». وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه، فلا يَرَوْنه، فجعل ينثر ذلك التراب على رءوسهم، وهو يتلو هؤلاء الآيات من يس ﴿يسٓ. وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ. إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ. لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ . لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ. إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُون. وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا

---

(١) يتضوّر: يتلوى ويتقلب ظهراً لبطن. (انظر: النهاية فى غريب الحديث والأثر ٣/ ١٠٥).

(٢) صححه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٤، ووافقه الذهبى. وهو كذلك من مراسيل ابن عباس فإنه لم يدرك القصة، ولعله سمعها من علىٌ أو من غيره. ومراسيل الصحابة صحيحة.

وأخرجه أحمد ١/ ٣٣١ وقال الهيثمى فى المجمع ٩/ ١١٩ ـ ١٢٠« رجال أحمد رجال الصحيح غير أبى بلج الفزارى وهو ثقة وفيه لين». قال ابن حجر فى التقريب ص٦٢٥: «أبو بلج صدوق ربما أخطأ»، وصححه الشيخ أحمد شاكر (٥/ ٢٦ ـ ٢٧ رقم (٣٠٦٢) ط الشيخ شاكر) إلا أن فى رواية أحمد هذه زيادة: «فجاء أبو بكر وعلى نائم فقال: يا نبى الله، فقال له على: إن نبى الله ﷺ انطلق نحو بئر ميمون، فادركه. قال: فانطلق أبو بكر، خلفه فدخل معه الغار» قال ابن كثير: «وهذا غريب جدًا، وخلاف المشهور من أنهما خرجا معًا» (البداية والنهاية: ٣/ ١٧٧).

وأنا أرجح ما سبق أن ذكرته فى التعليقة رقم(٢) على ما فى هذه الرواية، إذ كيف يأتى أبو بكر، وينادي، ويرد عليه علىّ، بينما الرصد من الكفار واقفون بالباب، ولا يسمعون ولا يردون، اللهم إلا أن يقال: إن الله أخذ بأسماعهم وأبصارهم فلم يسمعوا، ولم يروا، وهو أمر محتمل، والله أعلم.

وأضاف ابن إسحاق (٢/ ٣٣٥) ـ وتبعه أصحاب السير ـ سبباً آخر لمبيت علىّ وتخلفه بعد رسول الله ﷺ، فذكر أنه ﷺ أمر عليًا أن يتخلف بعده بمكة، حتى يؤدى الودائع التى كانت عنده ﷺ للناس. والله أعلم .

﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾ (يس ١ : ٩) حتى فرغ رسول الله ﷺ من هؤلاء الآيات، ولم يبق رجل منهم إلا وقد وضع على رأسه تراباً، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب.

فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم، فقال: ما تنتظرون ها هنا؟ قالوا: محمداً. قال: خيَّبكم الله! قد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟

قال: فوضع كلٌّ رجل منهم يده علي رأسه، فإذا عليه ترابٌ، ثم جعلوا يتطلعون، فيرون علياً على الفراش، مُتَسَجِّياً ببُرْد رسول الله ﷺ، فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائماً، وعليه برده.

فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام عليٌّ رضى الله عنه عن الفراش، فقالوا: والله لقد صدقنا الذى حدثنا». [١] .

---

(١) هذا مرسل أخرجه ابن إسحاق بسند صحيح (السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٨٣).
ونفس القصة رواها عروة بن الزبير مرسلة. عزاه الهيثمى فى المجمع ٦/ ٥١ ـ ٥٢ إلى الطبرانى مرسلاً، قال: فيه ابن لهيعة، فيه ضعف وحديثه فى حد الحسن».
وقد ذكر ابن إسحاق (كما فى السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٨٠ : ٤٨٣) قصة مبيت علىٍّ رضى الله عنه ضمن الحديث الطويل الذى رواه بسند فيه مجهول عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قصة اجتماع قريش فى دار الندوة، حيث حضر معهم إبليس فى صورة شيخ نجدى، واتفقوا فى النهاية على اجتماع شباب القبائل على قتله ﷺ، وأن النبى ﷺ أمر علياً ـ آنذاك ـ أن يبيت مكانه، وخرج هو من بينهم، تالياً الآيات الأولى من سورة (يس) ووضع التراب على رءوس المشركين، وأخذ الله عنه بأبصارهم. وهذه القصة قد تلقاها علماء السيرة بالقبول، واعتمدوا عليها، مع ضعف السند، إذ يشهد لكثير مما ورد فيها: حديثا ابن عباس السابقين ومرسل محمد بن كعب القرظى، ومرسل عروة السابقين وقد رواها كذلك الواقدى بأسانيده عن عائشة وابن عباس وعلى وسراقة بن مالك ابن جعشم وغيرهم دخل حديث بعضهم فى بعض (السيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٢٢٩) ونقلها عن الواقدى تلميذه محمد بن سعد فى الطبقات الكبرى ١/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨ كما رواها عبد الرزاق ٥/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠ عن معمر عن قتاده مرسلاً.
وانظر: الثقات لابن حبان ١/ ١١٣ ـ ١١٦.

بعض الروايات الواردة فى السنة والسيرة
عن حادثة الهجرة النبوية الكريمة

٤ ـ عن عائشة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ قالت:

«لم أعقلْ أبوىَّ قطُّ إلا وهما يدينان الدِّين، ولم يمرَّ علينا يومٌ إلا يأتينا فيه رسولُ الله ﷺ طرفى النهار: بُكرةً وعشية.

فلمّا ابتُلى المسلمون[١] خرج أبــو بكــر مهاجــراً نحو أرض الحبشة، حتى بلغ بَرْك الغمَاد[٢] لقيه ابن الدغنة [٣] ـ وهو سيد القارة[٤] ـ فقال: أين تريد يا أبــا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجنى قومى، فأريد أن أسيح فــى الأرض وأعـبدَ ربــى. قــال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يَخرجُ ولا يُخرَج؛ إنك تَكْسِب المعدوم[٥]، وتصل الرَّحم، وتحمل الكَلَّ[٦]، وتَقْرى الضيف، وتعين علـى نوائبَ الحــق[٧]، فأنا لك

---

(١) يعنى: ابتلوا بأذى المشركين، حتى حُصِر النبىُّ ﷺ مع بنى هاشم وبنى المطلب فى شِعب أبى طالب، وأذن النبىُّ ﷺ لأصحابه فى الهجرة إلى الحبشة.

(٢) **بَرْك**: بفتح الباء الموحدة، وسكون الراء، بعدها كاف، وحكى كسر أوله. **والغماد**: بكسر الغين المعجمة، وقد تضم، وبتخفيف الميم، وهو: موضع على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمن. (انظر: فتح البارى٧/ ٢٣٣)، وهو اليوم معروف بهذا الاسم: بلدة مرفأً على الساحل جنوب مكة، على قرابة ٦٠٠كيل. (معجم المعالم الجغرافية فى السيرة ص٤٢).

(٣) **ابن الدُّغُنَّة**: بضم المهملة والمعجمة وتشديد النون عند أهل اللغة. وعند الرواة بفتح أوله وكسر ثانيه وتخفيف النون، وهى أمه، وقيل: أم أبيه، وقيل: دابته، ومعنى الدغنة: المسترخية، وأصلها الغمامة الكثيرة المطر، واختلف فى اسمه، فقيل: الحارث بن يزيد، وقيل: مالك. (انظر فتح البارى٧/ ٢٣٣).

(٤) **القارة**: قبيلة مشهورة من بنى الهُون بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، وكان يضرب بهم المثل فى حسن الرمى ودقته وقوته (انظر: فتح البارى ٧/ ٢٣٣).

(٥) **تكسب المعدوم**: أى تصيب من المال مالا يصيب غيرك، وقيل معناه: «تعطى الناس مالا يجدونه عند غيرك. (انظر: فتح البارى ١/ ٢٥).

(٦) **تحمل الكَلّ**: أى الضعيف، والكَلّ: من لا يستقل بأمره(فتح البارى١/ ٢٤) وقال ابن الأثير: «هو الثِّقل من كل ما يتكلف، والكَلّ: العيال. (النهاية ٤/ ١٩٨).

(٧) **تعين على نوائب الحق**: أى على أحداث الزمان ونوازله.

وانظر إلى مطابقة هذا الوصف لوصف أم المؤمنين خديجة للنبى ﷺ حين جاءها يرجف بعد أن نزل عليه الوحى، إذ قالت له: «كلا، والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق، (أخرجه البخارى فى أول الصحيح، باب: كيف كان بدء الوحى ١/ ٢٣(٣) وانظر أرقام(٣٣٩٢، ٤٩٥٣، ٤٩٥٥، ٤٩٥٦، ٤٩٥٧، ٦٩٨٢)، ومسلم فى كتاب: الإيمان، باب: بدء الوحى إلى رسول الله ﷺ١/ ١٣٩ـ ١٤٣(١٦٠/ ٢٥٢ـ ٢٥٤) قال ابن حجر: =

جار(١). ارجعْ، واعبدْ ربَّك ببلدكَ.

فرجع، وارتحل معه ابن الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشيةً فى أشراف قريش، فقال لهم: إن أبا بكر لا يَخرجُ مثلُه ولا يُخرَج، أتخرجون رجلاً يَكْسب المعدوم، ويصل الرَّحم، ويحمل الكَلّ، ويقرى الضيف، ويعين على نوائب الحق؟

فلم تكذِّب قريش بجوار ابن الدغنة(٢)، وقالوا لابن الدغنة: مُرْ أبا بكر فليعبدْ ربّه فى داره، فلْيُصَلِّ فيها، ولْيقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك، ولا يَسْتعلِنْ به؛ فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا. فقال ذلك ابن الدغنة لأبى بكر، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه فى داره ولا يستعْلِنُ بصلاته، ولا يقرأ فى غير داره.

ثم بَدَا لأبى بكر(٣)، فابتنى مسجداً بفناء داره، وكان يصلى فيه، ويقرأ القرآن، فيتقذَّف(٤) عليه نساء المشركين وأبناؤهم، وهم يعجبون منه، وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكَّاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدم عليهم، فقالوا: إنا كنَّا أجَرْنا أبا بكر بجوارك؛ على أن يعبد ربّه فى داره، فقد جاوز ذلك، فابتنى مسجداً بفناء داره، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خَشِينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فانْهَهُ، فإن أحبَّ أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فَعَل، وإنْ أَبَى إلاّ أن يعلن بذلك فَسَلْهُ أن يردّ إليك ذمَّتك، فإنا قد كرهنا أن نُخْفِرك(٥)، ولسنا بمُقرِّين لأبى بكر الاستعلان.

قالت عائشة: فأتى ابنُ الدغنة إلى أبى بكر، فقال: قد علمت الذى عاقدتُ لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن تَرْجِع إلىَّ ذمَّتى، فإنى لا أحبُّ أن تسمع العربُ أنى قد أُخفِرْتُ فى رجلٍ عقدتُ له. فقال أبو بكر: فإنى أردُّ إليك جوارَك، وأرضى بجوار الله عز وجل.

والنبى ﷺ يومئذ بمكة، فقال النبى ﷺ للمسلمين: **«إنى أُريتُ دار هجرتكم ذات**

= «وفى موافقة وصف ابن الدغنة لأبى بكر بمثل ما وصفت به خديجة النبى ﷺ ما يدل على عظيم فضل أبى بكر، واتصافه بالصفات البالغة فى أنواع الكمال، (فتح البارى ٧/ ٢٣٣).

(١) أى مجير، أمنعك ممن يؤذيك.

(٢) يعنى لم ترد عليه قوله فى أمان أبى بكر، وكل من كذبك فقد ردّ قولك. فأطلق التكذيب وأراد لازمه. (فتح البارى ٧/ ٢٣٣).

(٣) أى ظهر له رأى غير الرأى الأول (فتح البارى ٧/ ٢٣٤).

(٤) فى رواية «يتقصّف»: أى يزدحمون عليه حتى يسقط بعضهم بعضاً (فتح البارى ٧/ ٢٣٤).

(٥) نُخْفرك: بضم النون، وسكون الخاء المعجمة، وكسر الفاء: أى نغدر بك. يقال: خفره إذا حفظه، وأخفره: إذا غدر به (فتح البارى ٧/ ٢٣٤).

نخل بين لَابَتَيْن»[١]ـ وهما الحرَّتان ـ.

فهاجر مَنْ هاجر قِبَل المدينة، ورجع عامّةُ مَنْ كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهّز أبو بكر قِبَل المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: **«على رِسْلك**[٢]**؛ فإنى أرجو أن يُؤْذن لى»**. فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبى أنت؟ قال: **«نعم»**. فحبس أبو بكر نفسَه على رسول الله ﷺ ليصحبَه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السَّمُر[٣] ـ وهو الخَبَط ـ أربعة أشهر.

قال ابن شهاب: قال عروة: قالت عائشة: فبينما نحن يوماً جلوسٌ فى بيت أبى بكرٍ فى نحر الظهيرة قال قائلٌ لأبى بكر: هذ رسول الله ﷺ مُتَقَنِّعاً[٤] ـ فى ساعة لم يكن يأتينا فيها ـ فقال أبو بكر: فداءٌ له أبى وأمّى! والله ما جاء به فى هذه الساعة إلا أمر.

قالت: فجاء رسول الله ﷺ، فاستأذن، فأذن له، فدخل، فقال النبى ﷺ لأبى بكر: **«أَخْرِجْ مَنْ عندك»**. فقال أبو بكر: إنما هم أهلُك بأبى أنت يا رسول الله. قال: «فإنى قد أُذِنَ لى فى الخروج. فقال أبو بكر: الصحابة[٥] بأبى أنت يا رسول الله. قال رسول الله ﷺ: «نعم». قال أبو بكر: فخذ بأبى أنت يا رسول الله إحدى راحلتيَّ هاتين. قال رسول الله ﷺ: **«بالثَّمَن»**[٦].

قالت عائشة: فجهزناهما أَحَثَّ الجَهَاز[٧]، وصنعنا لهما سُفْرة فى جراب، فقطعتْ

---

(١) **لابَتَيْن**: بفتح الباء الموحدة والتاء المثناة الفوقية: مثنى لابَة، وهى مفسرة (من كلام الزهرى) بالحرَّتين، والحَرَّة ـ بفتح الحاء والراء المشددة ـ: أرض حجارتها سود (فتح البارى ٧/ ٢٣٤).

(٢) **على رِسلك**: بكسر الراء: أى على مهلك، والرِّسل: السير الرفيق. (فتح البارى٧/ ٢٣٤).

(٣) **السَّمُر**: مفسر فى الرواية من قول الزهرى بأنه الخبط، ويقال: السمر: شجرة أم غيلان، وقيل: كل ماله ظل ثخين، وقيل: السمر: ورق الطلح. والخَبَط: ما يخبط بالعصا فيسقط من ورق الشجر. قاله ابن فارس (فتح البارى ٧/ ٢٣٥).

(٤) **مُتَقَنِّعاً**: أى مغطِّياً رأسه (زيادة فى التخفى). (فتح البارى ٧/ ٢٣٥).

(٥) **الصحابة**: بالنصب، أى: أسألك الصحبة، أو أريد المصاحبة، ويجوز بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف. (انظر: فتح البارى ٧/ ٢٣٥).

(٦) فى رواية البخارى رقم(٤٠٩٣) فى المغازى: «فأعطى النبى ﷺ إحداهما ـ وهى الجدعاء ـ فركبا، فانطلقا حتى أتيا الغار وهو بثور، فتواريا فيه» وهى كذلك فى صحيح ابن حبان ١٤/ ١٨٣(٦٢٧٩) وفى الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ٢٢٨: «وكان أبو بكر اشتراهما بثمانمائة درهم من نعم بنى قشير، فأخذ إحداهما، وهى القصواء..» الحديث ولا شك أن ما فى الصحيح هو الصحيح، وبخاصة وأن رواية ابن سعد هى من طريق الواقدى، وهو متروك عند المحدثين.

(٧) **أَحَثَّ الجَهاز**: أحث، بالحاء المهملة والثاء المثلثة، من الحث وهو الإسراع. والجهَاز ـ بفتح الجيم، وقد تكسر ـ وهو ما يحتاج إليه فى السفر(انظر: فتح البارى ٧/ ٢٣٥ـ ٢٣٦).

أسماء بنت أبى بكر قطعةً من نِطَاقها[1]، فربطتْ به على فم الجراب، فبذلك سُمِّيت ذات النِّطاق.

قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار ثور، فكَمَن فيه ثلاث ليال، يبيتُ عندهما عبد الله بن أبى بكر، وهو غلامٌ شابٌ ثَقِفٌ لَقِنٌ[2]، فَيَدَّلج[3] من عندهما بسَحَر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمراً يُكْتَادان به إلا وعاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فُهَيْرة - مولى أبى بكر - مِنْحَةً[4] من غنم، فيُريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان فى رِسْل - وهو لبن مِنْحَتهما ورضيفهما[5] - حتى ينعق بها عامر بن فُهَيرة بغَلَس[6]، يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث.

واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكرٍ رجلاً من بنى الدِّيل، وهو من بنى عبد بن عدىّ، هادياً خِرِّيتاً - والخِرِّيت: الماهر بالهداية - قد غمس حلفاً[7] فى آل العاص بن وائل السَّهمى، وهو على دين كفار قريش[8]، فأمِنَاه، فدفعا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليالٍ براحلتيهما صُبح ثلاث، وانطلق معهما عامرُ بنُ فُهَيرة والدليلُ، فأخذ بهم طريق السواحل»[9].

---

(١) **النِّطاق**: ما يُشد به الوسط، وقيل: هو إزار فيه تكة، وقيل: هو ثوب تلبسه المرأة ثم تشد وسطها بحبل، ثم ترسل الأعلى على الأسفل. (فتح البارى٧/ ٢٣٦)، ويقال لها أيضا «ذات النطاقين» كما سيأتى بعد.

(٢) الثَّقِف: الحاذق، واللَّقِن: السريع الفهم. (فتح البارى ٧/ ٢٣٧).

(٣) يدَّلج - بتشديد الدال -: أى يخرج بسحرٍ إلى مكة. (فتح البارى ٧/ ٢٣٧).

(٤) المِنْحة من الغنم: القطعة من الغنم فيها لبن يُمنَحها الإنسان هبة أو قرضاً.

(٥) رضيفهما: اللبن المرضوف، وهو الذى طرح فيه الحجارة المحماة ليذهب وَخَمُهُ (النهاية ٢/ ٢٣١).

(٦) بغَلَس: الغَلَس: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح (النهاية ٣/ ٣٧٧).

(٧) غمس حلفاً: أى كان حليفاً وكانوا إذا تحالفوا غمسوا أيمانهم فى دم، أو خَلُوق، أو فى شىء يكون فيه تلويث، فيكون ذلك تأكيداً للحلف. (فتح البارى ٧/ ٢٣٨).

(٨) اسم الرجل، عبد الله بن أُرَيْقط الليثى، ثم الدئلى. قال ابن حجر فى الإصابة ٤/ ٣٣(٤٥١٧): «ولم أر من ذكره فى الصحابة إلا الذهبى فى التجريد (يعنى تجريد أسماء الصحابة ١/ ٢٩٦)، وقد جزم عبد الغنى المقدسى فى السيرة بأنه لم يعرف له إسلاماً، وتبعه النووى فى تهذيب الأسماء». وستأتى تسميته عند الحديث عن الطريق الذى سلكه النبى ﷺ فى هجرته. وفى اسم أبيه اختلاف، انظر تحقيقه فى الخبر(٤٦٢) من كتاب «المستفاد من مبهمات المتن والإسناد» بتحقيقى.

(٩) **طريق السواحل**: أى الطريق الموازى لساحل البحر، وسيأتى تفصيله إن شاء الله تعالى والحديث أخرجه البخارى فى كتاب: مناقب الأنصار، باب: هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة ٧/ ٢٣٠-٢٣٢(٣٩٠٥)، وعبد الرزاق ٥/ ٣٨٥-(٩٧٤٣) والبيهقى فى دلائل النبوة ٢/ ٤٧١- ٤٧٥.

وأخرج أجزاءً منه: البخارى فى كتاب: الصلاة، وكتاب: الإجارة، وكتاب: الكفالة، وكتاب: الأدب، =

٥ـ وعن سُرَاقة بن مالك بن جُعْشُم رضى الله عنه قال:

«جاءنا رسل كفار قريش، يجعلون فى رسول الله ﷺ وأبى بكرٍ دية كل واحدٍ منهما لمن قتله أو أسره.

فبينما أنا جالسٌ فى مجلسٍ من مجالس قومى بنى مُدْلج إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوسٌ، فقال: يا سراقةُ، إنى قد رأيتُ آنفاً أَسْوِدَةً[1] بالساحل، أراها محمداً وأصحابه. قال سراقة: فعرفتُ أنهم هم، فقلت: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيتَ فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا.

ثم لبثت فى المجلس ساعةً، ثم قمتُ فدخلتُ، فأمرتُ جاريتى أن تخرج بفرسى ـ وهى من وراء أَكَمة[2] ـ فتحبسها علىَّ، وأخذتُ رمحى، فخرجتُ به من ظهر البيت، فخططتُ بزُجِّه الأرضَ، وخفضتُ عاليه[3]، حتى أتيتُ فرسى فركبتُها، فرفعتها تقرِّب بى، حتى دنوتُ منهم، فعثَرَتْ بى فرسى، فخررتُ عنها[4]، فقمتُ فأهويتُ يدى إلى كنانتى، فاستخرجت منها الأزلامَ، فاستقسمتُ بها[5]: أضرهم أم لا؟ فخرج الذى أكره[6]، فركبت فرسى ـ وعصيتُ الأزلام ـ تقرِّب بى، حتى إذا سمعتُ قراءة رسول الله ﷺ[7] وهو لا يلتفتُ وأبو بكرٍ يُكثر الالتفات؛ ساخت يدا فرسى[8] فى الأرض، حتى بلغتا الركبتين، فخررتُ عنها، ثم زجرتُها فنهضت، فلم تكد تخُرج يديها، فلما استوت

= أرقام(٤٧٦، ٢١٣٨، ٢٢٦٣، ٢٢٦٤، ٢٢٩٧، ٤٠٩٣، ٥٨٠٧، ٦٠٧٩)، وأحمد ٦/ ١٩٨، وعبد الرزاق ٥/ ٣٩١، ٣٩٢ (٩٧٤٣) وابن حبان ١٤/ ١٧٧ـ ١٧٨ (٦٢٧٧).

(١) **أسودة**: أشخاصاً (فتح البارى/ ٧/ ٢٤١).

(٢) **أَكَمَة**: هى الرابية، وتجمع على أكَم، وتجمع أكم على أكام (النهاية ١/ ٥٩).

(٣) **الزُّج**: الحديدة التى فى أسفل الرمح، وإنما فعل بالرمح هكذا حتى لا يظهر بريقه لمن بعد منه؛ لأنه كره أن يتبعه منهم أحد، فيشركوه فى الجعالة، وفى رواية ابن أبى شيبة «وجعلت أجر الرمح، مخافة أن يشركنى أهل الماء فيها» (انظر: فتح البارى ٧/ ٢٤١).

(٤) **خررت عنها**: سقطت عنها. يقال: خَرّ يخر (بكسر الخاء وضمها): إذا سقط من علو. (انظر النهاية ٢/ ٢١).

(٥) **الأزلام**: هى القداح التى كانت فى الجاهلية عليها مكتوبٌ الأمر والنهى، افْعل ولا تفعل، كان الرجل منهم يضعها فى وعاء له، فإذا أراد سفراً أو زواجاً أو أمرًا مهما، أدخل يده، فأخرج منها زلماً، فإن خرج الأمر مضى لشأنه، وإن خرج النهى كف عنه ولم يفعله. (النهاية ٢/ ٣١١).

(٦) يعنى خرج «لا تضرهم»، وكان هو يحب أن يضرهم ليحصل على المائة النوق التى وعدت بها قريش.

(٧) سيأتى فى حديث البراء عن أبى بكر: «فدعا عليه النبى ﷺ»، وفى حديث أنس بعده «فالتفت النبى ﷺ فقال: اللهم اصرعه»، وهى تفسر بعضها بعضاً، كما سيأتى.

(٨) **ساخت يدافرسى**: غاصت قوائمها فى الأرض، وسيأتى فى حديث البراء «فارتطمت به فرسه إلى بطنها» (وانظر: النهاية ٢/ ٤١٦، ودلائل النبوة للأصبهانى ٢/ ٥٥٣).

قائمة إذا لأثر يديها عُثانٌ[١] ساطعٌ فى السماء مثل الدخان، فاستقسمتُ بالأزلام، فخرج الذى أكره.

فناديتهم بالأمان، فوقفوا، فركبتُ فرسى حتى جئتهُم، ووقع فى نفسى حين لقيتُ ما لقيتُ من الحبس عنهم أن سيظهرُ أمرُ رسول الله ﷺ، فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتُهم أخبارَ ما يريد الناس بهم، وعرضتُ عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزآنى[٢]، ولم يسألانى إلاّ أن قال: «أخْفِ عنّا». فسألتُه أن يكتب لى كتاب أمنٍ، فأمر عامرَ بنَ فهيرة، فكتب فى رقعة من أدم[٣]، ثم مضى رسول الله ﷺ[٤].

٦ـ وعن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال:

«جاء أبو بكرٍ رضى الله عنه إلى أبى فى منزله، فاشترى منه رَحْلاً[٥]، فقال لعازب: ابعث ابنك يحمله معى. قال: فحملتُه معه، وخرج أبى ينتقد ثمنه، فقال له أبى: يا أبا بكر، حدثنى كيف صنعتما حين سَرَيْتَ مع رسول الله ﷺ؟

قال: نعم، أسْرَيْنا ليلتَنا ومن الغد، حتى قام قائم الظهيرة[٦]، وخلا الطريقُ لا يمرُّ فيه أحدٌ، فرُفعتْ لنا صخرةٌ طويلة لها ظلٌّ لم تأت عليه الشمس، فنزلنا عنده، وسوَّيتُ للنبى ﷺ مكاناً بيدى ينام عليه، وبسطتُ عليه فروةً، وقلت له: نَمْ يا رسول الله، وأنا أنفُضُ لك ما حولك[٧]. فنام.

---

(١) العثان: بضم العين المهملة، بعدها مثلثة خفيفة: الدخان، وقيل: هو الدخان من غير نار، وقيل: هو الغبار نفسه. (فتح البارى ٧/ ٢٤٢).

(٢) **يرزآنى**، براء ثم زاى: أى لم ينقصانى مما معى شيئا (فتح البارى ٧/ ٢٤٢).

(٣) **الأدم**: الجلد المدبوغ.

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب: مناقب الأنصار، باب: هجرة النبى ﷺ وأصحابه ٧/ ٢٣٨ـ ٢٣٩ (٣٩٠٦)، وابن إسحاق ٢/ ٤٨٩ـ ٤٩٠، وعبد الرزاق فى المصنف ٥/ ٣٩٢ـ ٣٩٤ (٩٧٤٣)، وابن أبى شيبة فى المصنف ١٤/ ٣٣١ـ ٣٣٢ (١٨٤٦١)، وأحمد ٤/ ١٧٥ـ ١٧٦، والبيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٨٥ـ ٤٨٧، والطبرانى ٧/ ١٣٢ـ ١٣٥ (٦٦٠١ـ ٦٦٠٣). وأخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٦ـ ٧ وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبى، وابن حبان ١٤/ ١٨٤ـ ١٨٧ (٦٢٨٠).

وكانت هذه القصة حين مرَّ النبى ﷺ بمنازل بنى مدلج بقُدَيد فى اليوم الثانى من الخروج من الغار، وذلك يوم الثلاثاء (انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ٢٣٢ وفتح البارى ٧/ ١٤٣).

(٥) **الرَّحْل**: هو للبعير كالسرج للفرس (النهاية ٣/ ٢٠٩).

(٦) **قام قائم الظهيرة**: جاء وقت الزوال. (انظر: النهاية ٣/ ١٦٤) وسمى كذلك لأن الظل لا يظهر حال استواء الشمس، فكأنه واقف قائم.

(٧) يعنى أنفض لك ما حولك من الغبار ونحوه، حتى لا يثيره الريح. وقيل: النفض هنا معناه: الحراسة. (فتح البارى٦/ ٦٢٣). قال أبو القاسم الأصبهانى: «انفض ما حولى: أى انظر هل أرى أحداً» (دلائل النبوة ٢/ ٥٥١). وانظر النهاية٥/ ٩٧.

وخرجتُ أنفض ما حوله، فإذا أنا براع مُقبل بغنمه إلى الصخرة يريدُ منها مثلَ الذى أردْنا، فقلتُ: لمن أنت يا غلام؟ فَقال: لرجلٍ من أهل المدينة، أو مكة. قلتُ: أفى غنمك لبن؟ قال: نعم. قلتُ: أفتحلب؟ قال: نعم[1]. فأخذ شاةً، فقلتُ: انفض الضَّرْعَ من التراب والشعر والقذى.

ـ وقال (القائل أبو إسحاق السَّبيعى): فرأيتُ البراء يضربُ إحدى يديه على الأخرى، ينفض ـ.

فحلب فى قِعْبٍ كُثْبَة[2] من لبنٍ، ومعى إداوة[3] حملتهُا للنبى ﷺ يرتوى منها، يشرب ويتوضأ.

فأتيتُ النبىَّ ﷺ، فكرهتُ أن أوقظه، فوافقتُه حين استيقظ، فصَبَبْتُ من الماء على اللبن؛ حتى بَرَدَ أسفله، فقلتُ: اشرب يا رسول الله. فشرب حتى رضيتُ، ثم قال: «ألم يأن للرحيل؟». قلت: بلى.

قال: فارتحلنا بعدما مالت الشمس، واتَّبعنا سُراقةُ بنُ مالك، فقلت: أُتينا يا رسول الله. فقال: «لا تحزنْ؛ إن الله معنا». فدعا عليه النبىُّ ﷺ، فارتطمت[4] به فرسُه إلى بطنها ـ أُرَى فى جَلَد من الأرض ـ شك زهير[5] ـ فقال: إنى أراكما قد دعوتما علىّ،

(١) قال ابن حجر: «الظاهر أن مراده بهذا الاستفهام: أمعك إذنٌ فى الحلب لمن يمر بك على سبيل الضيافة». قال: «ويحتمل أن أبا بكر لما عرفه (يعنى صاحب الغنم) عرف رضاه بذلك، بصداقته له، أو إذنه العام لذلك. (فتح البارى ٦/ ٦٢٣ـ ٦٢٤. وانظر: سبل الهدى والرشاد ٣/ ٣٦٢) «أو أنه جرى على العادة المألوفة للعرب فى إباحة ذلك والإذن فى الحلب على المارِّ ولابن السبيل، فكان كل راع مأذوناً له فى ذلك وقال الداودى: إنما شرب من ذلك على أنه ابن سبيل، وله شراب ذلك إذا احتاج، ولا سيما النبى ﷺ. وأبعد من قال: إنما استجازه لأنه مال حربى، لأن القتال لم يكن فرض بعد، ولا أبيحت الغنائم (فتح البارى٧/ ١٠ـ ١١).

وقوله «لرجل من أهل المدينة أو مكة» قال ابن الدَّيْبَع الشيبانى: «فقال لرجل من أهل المدينة ـ يعنى مكة ـ فهو صفة لاعلم» (حدائق الأنوار ١/ ٣٧١) ويؤيد ذلك أن اسم «المدينة» لم يطلق على المدينة النبوية إلا بعد هجرة الرسول ﷺ إليها، والله أعلم.

(٢) أى قدر قدح، وقيل: حلبة خفيفة، وتطلق الكثبة على القليل من الماء واللبن. (فتح البارى ٦/ ٦٢٤) والجمع: كُثَب. بضم ففتح (النهاية فى غريب الحديث ٤/ ١٥١).

(٣) **الإداوة**: بكسر الهمزة: إناء صغير من جلد، يُتخذ للماء، وجمعها «أَدَاوَى» (النهاية فى غريب الحديث ١/ ٣٢).

(٤) **ارتطمت**: أى غاصت قوائمها. (فتح البارى ٦/ ٦٢٤).

(٥) أى شك الراوى زهير بن معاوية: هل قال هذه اللفظة أم لا. والجَلَد: الأرض الصلبة. (فتح البارى ٦/ ٦٢٤).

فادعوا لى، فالله لكما أن أردّ عنكما الطلب.

فدعا له النبى ﷺ، فنَجَا، فجعل لا يلقى أحداً إلا قال: كُفِيتُم ما هنا. فلا يلقى أحداً إلا ردّه.

قال: ووَفَى لنا(١).

٧- وعن عروة بن الزبير رحمه الله(٢):

أن رسول الله ﷺ لقى الزُّبيرَ فى رَكْبٍ من المسلمين كانوا تِجَاراً قافلين من الشام، فكسا الزبيرُ رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب بياض.

وسمع(٣) المسلمون بالمدينة فخرج رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا يغدون كل غَدَاة إلى الحَرَّة، فينتظرونه، حتى يردّهم حرُّ الظهيرة. فانقلبوا يوماً بعدما أطالوا انتظارهم، فلما أَوَوْا إلى بيوتهم أوفى رجلٌ من يهود على أُطُم(٤) من آطامهم لأمرٍ ينظر إليه، فبَصُرَ برسول الله ﷺ وأصحابه مُبَيَّضين(٥)، يزول بهم السراب(٦)، فلم يملك اليهودى أن قال بأعلى صوته: يا معاشر العرب، هذا جدُّكم(٧) الذى تنتظرون.

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة ٦/ ٦٢٢ (٣٦١٥) وفى كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب المهاجرين وفضلهم ٧/ ٨ (٣٦٥٢)، ومسلم فى كتاب الزهد والرقائق، باب: فى حديث الهجرة ٤/ ٢٣٠٩- ٢٣١١ (٢٠٠٩/ ٧٥)، وأحمد ١/ ٣٠٢، وابن أبى شيبة ١٤/ ٣٢٧- ٣٢٩ (١٨٤٥٩)، وأبو يعلى ١/ ١٠٧- ١٠٨ (١١٦)، وابن حبان ١٤/ ١٨٨- ١٩١ (٦٢٨١)، والبيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٨٣- ٤٨٥، وأبو القاسم الأصبهانى فى دلائل النبوة ٢/ ٥٤٨- ٥٥٠ (٥٧).

وروى الحديث مختصراً؛ أخرجه البخارى فى كتاب: اللقطة (٢٤٣٩) وفى كتاب: مناقب الأنصار(٣٩٠٨، ٣٩١٧)، وفى كتاب: الأشربة(٥٦٠٧)، ومسلم فى كتاب: الأشربة ٣/ ١٥٩٢ (٢٠٠٩/ ٩٠- ٩١)، وأحمد ٤/ ٢٨٠- ٢٨١، وأبو يعلى ١/ ١٠٦ (١١٤، ١١٥) و٣/ ٢٦٠- ٢٦١ (١٧١٠) وستأتى قصة سراقة من حديث أنس بن مالك أيضا.

(٢) قال ابن حجر فى الفتح ٧/ ٢٤٣: «صورته مرسل، ولكن وصله الحاكم أيضا (فى المستدرك ٣/ ١١) من طريق معمر، عن الزهرى، قال: أخبرنى عروة، أنه سمع الزبير به».

(٣) ذكر ابن حجر فى الفتح ٧/ ٢٤٣ أن هذا إلى آخر الحديث هو بقية حديث سراقة السابق رقم (٥).

(٤) **الأطم**: الحصن ويقال: كان بناءً من حجارة كالقصر. (فتح البارى٧/ ٢٤٣).

(٥) أى عليهم الثياب البيض التى كساهم إياها الزبير أو طلحة، وقال ابن التين: يحتمل أن يكون معناه مستعجلين. (فتح البارى ٧/ ٢٤٣).

(٦) أى يزول السراب عن النظر بسبب عروضهم له، وقيل: معناه: ظهرت حركتهم للعين. (فتح البارى ٧/ ٢٤٣).

(٧) أى حظكم وصاحب دولتكم الذى تتوقعونه. (فتح البارى ٧/ ٢٤٣).

فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقَّوْا رسول الله ﷺ بظهر الحَرَّة، فعدل بهم ذات اليمين، حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول.

فقام أبو بكر للناس، وجلس رسول الله ﷺ صامتاً، فطفق مَنْ جاء مِنَ الأنصار ـ مّمن لم يَرَ رسول الله ﷺ ـ يُحَيِّى أبا بكر، حتى أصابت الشمسُ رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكرٍ حتى ظلَّل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك.

فلبث رسول الله ﷺ فى بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، وأُسِّس المسجد الذى أُسِّس على التقوى، وصلّى فيه رسول الله ﷺ، ثم ركب راحلته، فسار، يمشى معه الناس، حتى بَرَكَتْ عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة، وهو يصلى فيه يومئذ رجالٌ من المسلمين، وكان مِرْبَداً[1] للتَّمر لسُهَيلٍ وسَهْلٍ غلامين يتيمين فى حجر سعد بن زُرَارة، فقال رسول الله ﷺ حين بَرَكَتْ به راحلتُه: «**هذا إن شاء الله المنزل**».

ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين، فسَاوَمَهُما[2] بالمِرْبَد؛ ليتخذه مسجداً، فقالا: بل نَهَبُه لك يا رسول الله. فأبَى رسولُ الله ﷺ أن يقبله منهما هبةً، حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجداً، وطَفِق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللَّبِن[3] فى بنيانه، وهو يقول ـ وهو ينقل اللَّبِن ـ:

هذا الحِمَالُ لا حِمَالُ خيبر ... هذا أَبَرُّ ربَّنا وأطهــــر[4]

ويقول:

اللهمّ إن الأجرَ أجرُ الآخرة ... فارحم الأنصار والمهاجــرة

فتمثَّل بشعر رجلٍ من المسلمين لم يسمَّ لى.

قال ابن شهاب: ولم يبلغنا فى الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثَّل ببيت شعرٍ تامٍ غير

---

(١) المِرْبَد: هو الموضع الذى يجفف فيه التمر. وقيل: كل شىء حُبِست فيه الإبل والغنم. (فتح البارى ٧/ ٢٤٦).

(٢) المقصود بالمساومة هنا: طلبه ابتياعه منهما.

(٣) **اللَّبِن** ـ بفتح اللام المشددة، وكسر الباء الموحدة ـ: الطوب المعمول من الطين الذى لم يحرق (فتح البارى ٧/ ٢٤٦).

(٤) **الحِمَال:** المحمول. والمعنى: هذا المحمول من اللَّبِن أَبَرُّ عند الله، أى أبقى ذخراً، وأكثر ثواباً، وأدوم منفَعة، وأشد طهارة، من حمال خيبر، أى التى يحمل منها التمر والزبيب ونحو ذلك. (انظر: فتح البارى ٧/ ٢٤٦، وعيون الأثر ١/ ٢٣١).

هذه الأبيات[1].

٨ـ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال[2]:

أقبل نبىُّ الله ﷺ إلى المدينة، وهو مُرْدِفٌ أبا بكرٍ، وأبو بكرٍ شيخٌ يَعْرِفَ، ونبىُّ الله ﷺ شابٌّ لا يُعْرَف[3].

قال: فيلقى الرجلُ أبا بكر، فيقول: يا أبا بكر، مَنْ هذا الرجل الذى بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل يهدينى السبيل. قال: فيحسب الحاسب أنه إنما يعنى الطريق، وإنما يعنى سبيل الخير.

فالتفت أبو بكر، فإذا هو بفارسٍ قد لحقهم، فقال: يا رسول الله، هذا فارسٌ قد لحق بنا. فالتفت نبىُّ الله ﷺ فقال: **«اللهم اصرعه»**[4]، فصرعه الفرس، ثم قامت تُحَمْحِم[5]، فقال: يا نبىَّ الله، مُرْنى بما شئت. قال: **«قف مكانك؛ لا تتركن أحداً يلحق بنا»**.

قال: فكان أوَّلَ النهار جاهداً على النبى ﷺ، وكان آخر النهار مَسْلَحةً له[6].

فنزل رسول الله ﷺ جنبَ الحَرَّة، ثم بعث إلى الأنصار، فجاءوا إلى نبىِّ الله ﷺ وأبى بكر، فسلموا عليهما، وقالو: اركبا آمنين مطاعين. فركب نبى الله ﷺ وأبو بكر وحفُّوا دونهما بالسلاح، فقيل فى المدينة: جاء نبىُّ الله، جاء نبىُّ الله. فأشرفوا ينظرون

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: مناقب الأنصار، باب: هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة ٧/ ٢٣٩ـ ٢٤٠ (٣٩٠٦)، وعبد الرزاق ٥/ ٣٩٥ـ ٣٩٧ (٩٧٤٣).

(٢) قال ابن حجر فى الفتح ٧/ ٢٥١: «تحديث أنس بقصة سراقة من مراسيل الصحابة، ولعله حملها عن أبى بكر الصديق، فقد تقدم فى مناقبه أن أنساً حدّث عنه بطرف من حديث الغار».

(٣) قال الذهبى: «يريد دخول الشيب فى لحيته دونه؛ لا فى السن» (تاريخ الإسلام ١/ ٣٣٧).

(٤) فى رواية سراقة (رقم٥) أن النبى ﷺ كان يقرأ، وأنه سمع قراءته، وفى رواية البراء عن أبى بكر (رقم٦): «فدعا عليه النبى ﷺ»، وها هنا قال: فقال: «اللهم اصرعه» وفى بعض الروايات عن البراء: فقال رسول الله ﷺ: **«اللهم اكفناه بما شئت»**، وهى روايات يوضح بعضها بعضاً، والله أعلم، فلعل سراقة ظن أن النبى ﷺ يقرأ، وإنما كان يدعو ويقول: «اللهم اصرعه، اللهم اكفناه بما شئت»؛ جمعاً بين الروايات، والله أعلم.

(٥) **الحمحمة**: صوت الفرس دون الصهيل (النهاية فى غريب الحديث ١/ ٤٣٦).

(٦) **المسلحة** ـ بفتح الميم واللام، بينهما سين مهملة ساكنة ـ القوم الذين يحفظون الثغور من العدو، وسُمُّوا مسلحةَ لأنهم يكونون ذوى سلاح، أو لأنهم يسكنون المسلحة، وهى كالثغر والمرقب يكون فيه أقوام يرقبون العدو؛ لئلا يطرقهم على غفلة، فإذا رأوه أعلموا أصحابهم؛ ليتأهبوا له (النهاية فى غريب الحديث ٢/ ٣٨٨).

والمعنى: أن سراقة صار آخر النهار يرد الناس عن طريق رسول الله ﷺ، ويضللهم، فصار كالمسلحة.

ويقولون: جاء نبيُّ الله. فأقبل يسير حتى نزل جانب دار أبي أيوب.

فإنه ليحدِّث أهله إذ سمع به عبدُ الله بن سَلاَم، وهو في نخل لأهله يَخْتَرِف[1] لهم، فعَجِل أن يضع الذي يخترف لهم فيها، فجاء وهي معه، فسمع من نبيِّ الله ﷺ، ثم رجع إلى أهله، فقال نبيُّ الله ﷺ: «**أي بيوت أهلنا أقرب؟**». فقال أبو أيوب: أيا نبيَّ الله، هذه داري، وهذا بابي. قال: «**فانطلِق، فهيىء لنا مقيلا**». قال: قُومَا على بركة الله.

فلما جاء نبيُّ الله ﷺ جاء عبدُ الله بنُ سَلاَم، فقال: أشهد أنك رسول الله، وأنك جئتَ بحق، وقد علمت يهودُ أني سيدُهم وابنُ سيدهم، وأعلمُهم وابنُ أعلمهم، فادعُهم، فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمتُ، فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا فيَّ ما ليس فيّ.

فأرسل نبيُّ الله ﷺ، فأقبلوا، فدخلوا عليه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**يا معشر اليهود، ويلكم! اتقوا الله، فوا الله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً، وأني جئتكم بحقٍّ، فأسْلموا**». قالوا: ما نعلمه ـ قالوا للنبي ﷺ، قالها ثلاث مرار ـ قال: «**فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟**». قالوا: ذاك سيدنا وابنُ سيدنا، وأعلمُنا وابنُ أعلمنا. قال: «**أفرأيتم إن أسلم؟**». قالوا: حاشا لله، ما كان ليسلم. قال: «**أفرأيتم إن أسلم؟**». قالوا: حاشا لله، ما كان ليسلم. قال: «**أفرأيتم إن أسلم؟**». قالوا: حاشا لله، ما كان ليسلم، قال: «**يا ابن سلام، اخرُجْ عليهم**». فخرج، فقال: يا معشر اليهود، اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بحق. فقالوا: كذبت. فأخرجهم رسول الله ﷺ»[2].

٩ـ وعن أنس رضي الله عنه أيضاً قال:

لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نزل في عُلُو المدينة، في حيٍّ يقال لهم بنو عمرو بن عوف. **قال**: فأقام فيهم أربع عشرة ليلةً، ثم أرسل إلى ملإ بني النجار. **قال**: فجاءوا متقلِّدي سيوفهم. **قال**: وكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ على راحلته، وأبو بكر ردفه، وملأ بني النجار حوله حتى ألقى بفناء أبي أيوب. **قال**: فكان يصلي حيث أدركته

---

(١) **يخترف**: أي يجتني من الثمار. (فح الباري ٧/ ٢٥٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: مناقب الأنصار، باب: هجرة النبي ﷺ وأصحابه ٧/ ٢٤٩ـ ٢٥٠ (٣٩١١)، وأحمد ٣/ ٢١١، والبيهقي في الدلائل ٢/ ٥٢٦ ـ ٥٢٨.

الصلاة، ويصلى فى مرابض الغنم. **قال:** ثم أمر ببناء المسجد، فأرسل إلى ملإ بنى النجار، فجاءوا، **فقال:** «**يا بنى النجار، ثامنونى بحائطكم هذا**».[1] **فقالوا:** لا، والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله. **قال:** فكان فيه ما أقول لكم؛ كانت فيه قبور المشركين وكانت فيه خرَبٌ، وكان فيه نَخْلٌ فأمر رسول الله ﷺ بقبور المشركين، فنُبشت، وبالخِرب فسُوِّيت، وبالنخل فقُطع. **قال:** فصفوا النخلَ قبلة المسجد. قال: وجعلوا عضَادتيه[2] حجارة. **قال:** جعلوا ينقلون ذاك الصخر، وهم يرتجزون، ورسول الله ﷺ معهم، ويقولون:

اللهم إنه لا خير إلا خيرُ الآخرة فانصــــر الأنصار والمهاجرة[3]

---

(١) فى هذا الحديث أنه ساوم بنى النجار، وفى حديث عروة السابق (رقم ٧) أنه ساوم الغلامين سهيلاً وسهلاً، ولا منافاة بينهما، فيجمع بأنهم لما قالوا: «لا نطلب ثمنه إلا إلى الله» سأل عمن يختص بملكه منهم، فعينوا له الغلامين، فابتاعه منهما، فحينئذ يحتمل أن يكون الذين قالوا له: «لا نطلب ثمنه إلا إلى الله» تحملوا عنه للغلامين بالثمن. وعند الزبير: أن أبا أيوب أرضا هما عن ثمنه. (فتح البارى ٧/ ٢٤٦)أما وصفه في هذا الحديث بأنه حائط، وفى الحديث السابق بأنه كان مربداً فلعله كان أولاً حائطاً ثم خرب فصار مربداً، ويؤيده قوله: «إنه كان فيه نخلٌ وخرَبٌ». وقيل: كان بعضه حائطاً، وبعضه مربداً. (فتح البارى ٧/ ٢٦٦).

(٢) العضادتان: بكسر العين المهملة وتخفيف الضاد المعجمة: تثنية عضادة وهى: الخشبة على كتف الباب، ولكل باب عضادتان. (فتح البارى ٧/ ٢٦٦).

(٣) أخرجه البخاري فى كتاب: مناقب الأنصار، باب: مقدم النبى ﷺ وأصحابه المدينة ٧/ ٢٦٥ (٣٩٣٢)، وانظر رقم (٤٢٨)، ومسلم فى كتاب : المساجد، باب: ابتناء مسجد النبى ﷺ ١/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤ (٥٢٤/ ٩)، وأبو داود فى كتاب: الصلاة، باب: فى بناء المساجد ١/ ١٢٣ ـ ١٢٤ (٤٥٣، ٤٥٤)، والنسائى فى كتاب المساجد باب نبش القبور واتخاذ أرضها مساجد ٢/ ٣٩ ـ ٤٠ والبيهقي فى الدلائل ٢/ ٥٣٩ ـ ٥٤٠ ـ.وأخرجه مختصراً البخارى، أرقام(١٨٦٨، ٢١٠٦، ٢٧٧١، ٢٧٧٤، ٢٧٧٩) وابن ماجه فى كتاب: المساجد والجماعات، باب: أين يجوز بناء المساجد ١/ ٢٤٥ (٧٤٢)، أحمد ٣/ ١٢٣، وابن سعد فى الطبقات الكبرى ١/ ٢٣٥.

الفصل الثانى
دوافع وأسباب الهجرة الكريمة

من المعلوم أن اشتداد الأذى من المشركين للمسلمين دفع النبى ﷺ إلى الإذن للمسلمين بالهجرة إلى الحبشة مرتين؛ لأن فيها ملكاً لا يُظْلَم عنده أحد، كما أن شدة التضييق دفعت النبي ﷺ إلى طلب النصرة من قبائل العرب المختلفة، وإلى الذهاب إلي الطائف، ثم لم يدخل مكة بعد عودته إلا فى جوار رجل مشرك هو المُطْعِم بن عَدِىّ.

فلما بايعت طلائع الخير من أهل يثرب على الإسلام والدفاع عنه ثارت ثائرة المشركين فازدادوا إيذاءً للمسلمين، فأذن النبى ﷺ للمسلمين بالهجرة إلى المدينة المنورة.

لكن، هل كان الفرار من شدة الإيذاء وفتنة التعذيب هو المقصود الأساسى من الهجرة؟

الحق أن القول بذلك تسطيح ساذج للأمور، للأسباب الآتية:

١ ـ لو كان الأمر كذلك لركن المسلمون بعد الهجرة إلى الدَّعة والراحة، واكتفوا بالانشغال بعبادة الله جل وعلا، ولم يلجأوا إلى خوض المعارك والخروج فى السرايا والغزوات. كيف؟ وقد كان الأمر بقتال الكافرين قد نزل.

٢ ـ لو كان الأمر فراراً لا قتصر على الضعفاء والذين لا يجدون الحماية فى مكة، ولَمَا كانت الهجرة فريضة مفروضة على كل مسلم قادر عليها، يأثم تاركها من غير عذر، إذ أن «كل من أقام بين ظهرانى المشركين، وهو قادر على الهجرة، وليس متمكناً من إقامة الدين، فهو ظالم مرتكب حراماً بالإجماع»[1].

١٠ ـ فعن جرير بن عبد الله عن النبى ﷺ قال:

« أنا برىءٌ من كل مسلمٍ يقيم بين أظهر المشركين» قالوا: يا رسول الله، لم؟ قال: **«لا تراءى ناراهما»**[2].

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥٤٢. وقال القاضى عياض: « اتفق الجميع على أن الهجرة قبل الفتح كانت واجبة عليهم، وأن سكنى المدينة كان واجبًا لنصرة النبى ﷺ ومواساته بالنفس»(فتح البارى ٧/ ٢٦٧).

(٢) أخرجه أبو داود فى كتاب: الجهاد، باب: النهى عن قتل من اعتصم بالسجود ٣/ ٤٥ (٢٦٤٥)، والترمذى فى كتاب: السير، باب: ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين ٤/ ١٥٥ (١٦٠٤، ١٦٠٥)، ومعنى لاتراءى فى ناراهما»: أى يلزم المسلم ويجب عليه أن يباعد منزله عن منزل الشرك، ولا ينزل بالموضع الذى إذا أو قدت فيه تلوح وتظهر لنار المشرك إذا أوقدها فى منزله، ولكن ينزل مع المسلمين فى دارهم(النهاية ٢/ ١٧٧).

بل قطع الله الولاية بين المؤمنين المهاجرين والأنصار وبين المؤمنين غير المهاجرين فقال عز وجل﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا**﴾ [الأنفال ٧٢].

بل توعد الله المتخلفين عن الهجرة بغير عذر، واعتبرهم ظالمين لأنفسهم، فقال عزوجل: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا .إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلا .فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا**﴾ [النساء ٩٧ : ٩٩] .

٣ ـ فى القول بذلك جهل بحقيقة الدعوة الإسلامية العالمية وطبيعة الصراع بينها وبين الباطل، وجهل بحقيقة دورها فى إزهاقه والقضاء عليه، ولو كان المطلوب مجرد طلب الأمان، والفرار من شدة التعذيب، لأمكن ذلك فى مكة مع قليل من التنازلات، بل قد عرض أهل مكة ما هو أعظم من ذلك، عرضوا الملك والمال والنساء (وقبلها الأمن طبعا) مقابل القعود عن الدعوة، فرفض النبى ﷺ كل ذلك.

٤ ـ لو كان الفرار من شدة التعذيب هو المقصود الأساسى، لكان من الأسهل أن يدعو النبى ﷺ ـ وهو مستجاب الدعوة ـ علي المشركين، حتى يرفع التعذيب عن أصحابه الذين ألحُّوا عليه فى ذلك، فرفض ودعا للقوم بالهداية، كما رفض عرض مَلَك الجبال بأن يُطْبق عليهم الأخشبين، راجياً ومؤملاً أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً.

١١ ـ **فعن خبّاب بن الأرت** رضى الله عنه قال:

أتيت النبي ﷺ وهو متوسِّدٌ بردةً في ظل الكعبة، وقد لَقينا من المشركين شدةً، فقلت: يا رسول الله، ألاَ تدعو الله لنا؟ فقعد، وهو مُحْمَرٌّ وجهُه، فقال: «**لقد كانَ مَنْ قبلكم ليُمْشَط بمشاط الحديد، ما دون عظامه من لحم أو عَصَب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار علي مفرق رأسه،فيُشَق باثنين،ما يصرفه ذلكَ عن دينه،وليُتمنَّ الله هذا الأمر،حتى يسير الراكبَ من صنعاء إلى حضر موت،ما يخاف إلا الله**». زاد بَيَانٌ أحد

الرواة): **«والذئب على غنمه»**(١).

١٢ ـ وعن عائشة رضى الله. عنها فى الحديث عن عودته ﷺ من الطائف أنه قال ﷺ :

« . . . فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فنادانى فقال إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك، وماردوا عليك، وقد بعث إليك ملَك الجبال؛ لتأمره بما شئت فيهم» قال: **«فنادانى ملَك الجبال، وسلّم عليَّ، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثنى ربى إليك؛ لتأمرنى بأمرك، فما شئتَ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟»**

فقال له رسول الله ﷺ: **«بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»** (٢).

أفيتصور فى العقل أن يكون فى إمكانه الدعاء بإنزال العذاب بهم؛ ليخلو له الجو ببلده، فيأبى ذلك، ويرجو هدايتهم، ثم يقال: إنه خرج من بينهم لمجرد الفرار من شدة الأذى؟!

٥ ـ لو كان الفرار هو المقصود الأساسى للهجرة، لكان النبى ﷺ أولَ الفارِّين، فقد جرت عادة الناس بانسحاب القيادة دائماً فى المقدمة عند فرار الجيش وانسحابه، أما في الهجرة المباركة، فقد أشرف ﷺ بنفسه على تهجير المؤمنين، حتى هاجر معظمهم، فى حين تأخر هو وأبو بكر، وهما أهم شخصين في المؤمنين، بل أهم شخصين في الوجود كله فى ذلك الحين، حتى جاءهما أمر الله بالهجرة، فكيف تكون الهجرة إذاً مجرد فرارٍ أو هروب؟!.

والصواب الذى تدل عليه الوقائع فى الهجرةومجريات الأمور بعدها: أن

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: مناقب الأنصار، باب: ما لقى النبى ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة ٧/ ١٦٥ و٣٨٥٢)، وفي كتاب المناقب، باب: علامات النبوة فى الإسلام ٦/٦١٩(٣٦١٢)، وكتاب: الإكراه، باب: من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر ١٢/ ٣١٥(٦٩٤٣)، وأبو داود فى كتاب: الجهاد، باب في الأسير يكره علي الكفر ٣/١٠٨(٢٦٤٩)، والنسائى فى كتاب : الزينة، باب: لبس البرود ٨/ ٢٠٤، والبيهقى فى الدلائل ٢/ ٢٨٣.

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم آمين والملائكة فى السماء ٦/ ٣١٢ ـ ٣١٣(٣٢٣١). ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب: ما لقى النبى ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ٣/ ١٤٢٠(١٧٩٥/ ١١١)، وابن حبان ١٤/٥١٦ ـ ٥١٧ (٦٥٦١)، والبيهقى فى الدلائل ٢/ ٤١٦ ـ ٤١٧.

والأخشبان: جبلان بمكة : أبو قُبَيْس والذى يقابله.

السبب الأساسى والدافع الرئيسى للهجرة كان إقامة الدولة الإسلامية العالمية التى تحمل الدعوة العالمية، وتجاهد بها العالمين؛ حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله. وهاك توضيحًا تفصيلياً لذلك:

عالمية الرسالة:

أرسل الله عز وجل نبيه ﷺ للناس كافة، فقال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً** ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال عزوجل: ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ومن ثمَّ فالنبى ﷺ مأمور بتبليغ رسالته إلى الخلق قاطبة، بدءًا من مكة والجزيرة العربية وانطلاقاً إلى كل العالمين. وحتى يستطيع النبى ﷺ نشر هذه الدعوة فقد كان لابد له من قاعدة ينطلق منها بهذه الدعوة، التى تهدف إلي خير الإنسانية قاطبة، وترمي إلى رفاهية وسعادة البشرية جمعاء. وبعبارة أخرى: كان لابد لهذه الدعوة من أرض تقيم عليها دولة، ودولة تستوعب فيها شعبًا يحمل تعاليمها، ويطبق منهجها، ويتحول إلي دعاة لمبادئها، وحماة لعقيدتها، يذبُّون عنها غارات المعتدين، ويردعون الخارجين عليها، والمتربصين بها، والمتآمرين على وجودها.

ولقد حاول النبي ﷺ من أول يوم فى الدعوة أن تكون مكة هى تلك الأرض التى تنطلق منها الدعوة، وأن يكون أهلها هم ذلك الشعب الذى يحمل تعاليمها، وانتابته الدهشة وأخذه العجب حين تنبأ ورقةُ بنُ نوفل أنهم سيخرجونه منها:

١٣ ـ فعن عائشة رضي الله عنها فى قصة بدء الوحى، بعد أن رجع النبى ﷺ يرجف فؤاده، قالت: «فانطلقت به خديجة، حتي أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، ابن عم خديجة، وكان امرءاً قد تنصّر فى الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبرانى، فكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيرا قد عَمى، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك. فقال ورقة: يا ابن أخى، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذى نزله الله على موسى، يا ليتنى فيها جذعاً[1]، ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: «**أو مخرجيَّ هم؟**». قال: نعم، لم يأت رجلٌ قط بمثل ما جئت به إلا عُودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرا. ثم لم ينشب [2] ورقة أن توفى،

(١) جذعاً: أى شاباً؛ ليكون أمكن لنصره. (فتح البارى ١/ ٢٦).

(٢) لم ينشب: لم يلبث، وأصل النشوب: التعلق، أى لم يتعلق بشىء من الأمور حتى مات (فتح البارى ١/ ٢٧).

وفتر الوحى »[1].

«**أو مُخْرِجِيَّ هم؟**» استفهام إنكارى يدل علي أن الداعية الكريم لا يتصور هذا الجحود وهذه القسوة في التعامل؛ إذ لم يكن قد نزل عليه بعدُ قولُ الله عزوجل: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا**﴾ [إبراهيم: ١٣] وقوله عزوجل: ﴿ **قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا** ﴾ [الأعراف: ٨٨].

الهجرة إلى الحبشة :

وصدقت نبوءة ورقة بن نوفل رضى الله عنه[2]، واشتد إيذاء طواغيت مكة وتضييقهم على الدعوة والداعية والمؤمنين، إلى الحد الذى اضطره ﷺ للسماح لأصحابه بالخروج إلى الحبشة مرتين، فراراً من شدة البلاء والفتنة، غير أن قريشاً طاردتهم حتى فى دار هجرتهم:

١٤ ـ فعن أم سلمة رضى الله عنها قالت:

«لما ضاقت علينا مكة، وأوذى أصحاب رسول الله ﷺ، وفُتنوا، ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة فى دينهم، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله ﷺ في مَنَعة من قومه وعمه؛ لا يصل إليه شيء مما يكره، مما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**إن بأرض الحبشة ملكًا لا يُظْلَم أحدٌ عنده، فالحقوا ببلاده، حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه**». فخرجنا إليها أرسالاً، حتى اجتمعنا بها، فنزلنا بخير دار إلى خير جار آمنين على ديننا، ولم نخشَ منه ظلماً، فلما رأتْ قريش أنا قد أصبْنا داراً وأمناً اجتمعوا على أن يبعثوا إليه فينا؛ فيخرجنا من بلاده، وليردنا عليهم، فبعثوا عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبى ربيعة، فجمعو له هدايا ولبطارقته. . . .» الحديث فى قصتهم مع النجاشى وما صنعه الله بهم من ردهم خائبين[3].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الوحى، باب: كيف كان بدء الوحى ١/ ٢٢ (٣) وانظر أرقام (٣٣٩٢, ٤٩٥٣, ٤٩٥٥, ٤٩٥٦, ٤٩٥٧, ٦٩٨٢)، ومسلم فى كتاب: الإيمان باب: بدء الوحى إلى رسول الله ﷺ ١/ ١٣٩ ـ ١٤٣(١٦٠/ ٢٥٢ـ ٢٥٤).

(٢) من المعلوم أن ورقة مات مسلماً وهو معدود فى الصحابة وقال فيه النبى ﷺ: «إن له جنة أو جنتين».

(٣) الحديث من رواية ابن إسحاق، عن الزهرى، عن أبى بكر بن عبد الرحمن، عن أم سلمة وهو إسناد صحيح؛ إذ قد صرح ابن إسحاق بالتحديث. وهذا السياق من دلائل النبوة للبيهقى٢/ ٣٠١ـ ٣٠٦ ومن=

ثم أخذ النبى ﷺ يدعوا الناس فى الأسواق ليلاً ونهارًا، وهم مع ذلك يطاردونه، ويصدون الناس عنه، حتى لا يجد لدعوته نصيراً:

١٥ ـ فعن ربيعة بن عبَاد الديلى ـ وكان جاهلياً أسلم ـ رضى الله عنه، فقال:

«رأيت رسول الله ﷺ ببصر عينى بسوق ذى المجاز» [١]، يقول: **«يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»** ويدخل فى فجاجها، والناس متقصفون [٢] عليه، فما رأيت أحداً يقول شيئاً، وهو لا يسكت، يقول: **«يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»**، إلا أنّ من ورائه رجلاً أحول وضيء الوجه، ذا غديرتين[٣]، يقول: إنه صابىء كاذب، فقلت: مَنْ هذا؟ قالوا: محمد بن عبد الله، وهو يذكر النبوة. قلت: من هذا الذى يكذبه؟ قالوا: عمه أبو لهب[٤]».

١٦ـ وعن شيخ من بنى مالك بن كنانة، رأي النبى ﷺ بسوق ذى المجاز يتخللها، يقول: **« يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»**.

قال: وأبو جهل يحثى عليه التراب، ويقول: أيها الناس، لا يغرنكم هذا عن دينكم، فإنما يريد لتتركوا آلهتكم، وتتركوا اللات والعُزى.

= البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٧٠ ـ٧٣، وفى السيرة لابن هشام ١/ ٣٣٤ـ ٣٣٨ من أول قولها «لما نزلنا بأرض الحبشة جاورنا بها خير جار. . .» وأخرجه أحمد ١/ ٢٠٢، ٥/ ٢٩٠, ٢٩٢، قال الهيثمى فى المجمع ٦/ ٢٧: «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع»، وانظر: تاريخ الإسلام للذهبى قسم السيرة النبوية ص ١٨٤، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٥.

وانظر في قصة هجرة الحبشة ومكر قريش وإرسالها عمرو بن العاص ومن معه إلى النجاشى: البداية النهاية ٣/ ٦٧ ـ ٧٠، ودلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٢٩١ ـ ٣٠٠.

(١) **ذو المجاز**: من أشهر أسواق العرب فى الجاهلية، ولا زال موضعه معلوماً بسفحِ جبل كبكب من الغرب، يراه من يخرج من مكة على طريق نخلة اليمانية، وهو: شعب يصب فى المُغَمَّس من مطلع الشمس، وأهله قريش، وكانت مدته فى الأيام الثمانية الأولي من ذى الحجة، ومازال أهل مكة يسمون الأيام الثمانية التى تسبق عرفة«الثمان»(معجم المعالم الجغرافية فى السيرة ص ٢٧٩ وص ٢٨٢).

(٢) أى متزاحمون، متداافعون، والقصف: الدفع الشديد والكسر لفرط الزحام. (انظر: النهاية ٤/ ٧٣).

(٣) **الغديرتان**: الذؤابتان، مثنى غديرة. (انظر: االنهاية ٣/ ٣٤٥).

(٤) أخرجه أحمد ٣/ ٤٩٢, ٤٩٣، و٤/ ٦٣، ٣٤١, ٣٤٢، والطبرانى في الكبير ٥/ ٦١ ـ ٦٣ (٤٥٨٢: ٤٥٩٠) كلاهما من طرق وبألفاظ متعددة، وقال: الهيثمى فى المجمع ٦/ ٢٢: «وأحد أسانيد عبد الله بن أحمد ثقات الرجال» وأخرجه ابن اسحاق (السيرة ١/ ٤٢٣) ومن طريقه الطبرى فى التاريخ ٢/ ٣٤٨ وصححه الحاكم ١/ ١٥ على شرط الشيخين ووافقه الذهبى. وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ١٨٦، وطرق الحديث ترتقى به إلى الصحة إن شاء الله.

وله شاهد قوى عن **طارق بن عبد الله** رضى الله عنه قال: رأيت رسول الله مرتين: رأيته بسوق ذى المجاز. . . فذكر نحو قصة ربيعة بن عباد. أخرجه ابن اسحاق (السيرة ١/ ٤٢٣)، وابن أبى شيبة ١٤/ ٣٠٠ (١٨٤١٤)، وصححه ابن خزيمة ١/ ٨٢ (١٥٩)، وابن جبان ١٤/ ٥١٧ـ ٥١٩ (٦٥٦٢)، والحاكم ٢/ ٦١٢ ووافقه الذهبى، وأخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ١/ ٧٦.

قال: وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ . . . » الحديث.[1].

وهكذا لم يؤمن أهل مكة بالدعوة، ولم يتركوا الداعي ﷺ يقوم بعرضها على الناس؛ فضلاً عن أن يقوموا هم بعبء نشرها.

الخروج إلى الطائف والبحث عن محضن للدعوة:

لم يكن من الممكن إذاً أن تكون مكة بجوها الخانق قاعدة الانطلاق بهذه الدعوة العالمية المباركة، وبالتالى فلا مناص من مغادرتها مؤقتاً؛ للعودة إليها فى ظروف مهيأة، وبوسائل غلابة.

فيممّ وجهه شطر الطائف، عساه يجد عند أهلها قلوباً ألين، وعقولاً أرشد، فيحظوا بشرف حماية الدعوة وحملها، فعرض دعوته على أهلها، فإذا به يلقى من سادتها وسفهائها ما لم يخطر له على بالٍ، حتى إنه ليرى أنّ ما لقيه منهم هو أشد ما لقى من الأذى:

١٧ ـ **فعن عائشة** رضى الله عنها أنها قالت لرسول الله ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أُحُد؟ قال: «**لقد لَقيتُ من قومك ما لقيتُ، وكان أشدُّ ما لَقيتُ منهم يوم العقبة، إذ عرضتُ نفسى على عَبد يا ليل بن عبد كُلاَل، فلم يُجبْنى إلىَ ما أردت، فانطلقتُ وأنا مهمومٌ على وجهى،فلم أستفق إلا وأنا بقرنِ الثعالب[2]،فرفعت رأسى،فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى...**» الحديث[3].

وعاد ﷺ من هذه الرحلة، وقد يئس من نصرتهم، وقد ازداد اختناق الدعوة، على النحو الذى يصوره دعاؤه ﷺ غداة عودته من الطائف:

١٨ ـ **فعن عبد الله بن جعفر** رضى الله عنه، قال: لما توفى أبو طالب، خرج النبى ﷺ إلى الطائف ماشياً على قدميه، يدعوهم إلى الإسلام، فلم يجيبوه، فانصرف،

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٦٣، و٥/ ٣٧١، ٣٧٢، وقال الهيثمى فى المجمع ٦/ ٢٢: «رجاله رجل الصحيح»، وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ١٨٦. وفى هذه الرواية سُمى الرجل «أبا جهل» خلافاً لما سبق من تسمية «أبى لهب»، قال ابن كثير: «وقد يكون وهماً، ويحتمل أن يكون تارة يكون ذا، وتارة يكون ذا، وأنهما كانا يتناوبان علي إيذائه ﷺ».
(السيرة النبوية لابن كثير ٢/ ١٥٧).

(٢) **قرن الثعالب**، ويقال له: **قرن المنازل**: الموضع الذي يحرم منه أهل نجد (النهاية ٤/ ٥٤)، وهو ما يعرف اليوم باسم السيل الكبير، ومازال الوادى يسمى قرناً، والبلدة تسمي السيل، وهو على طريق الطائف من مكة المار بنخلة اليمانية، يبعد عن مكة (٨٠) كيلاً، وعن الطائف (٥٣) كيلا. (معجم المعالم الجغرافية في السيرة ص ٢٥٤).

(٣) هو صدر الحديث رقم(١٢) السابق تخريجه فى هذا الفصل.

فأتى ظلَّ شجرة، فصلىَّ ركعتين، ثم قال: «**اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى وهَوَانى على الناس. أرحمَ الراحمين أنت أرحمُ الراحمين، إلى مَنْ تكلُنى؟ إلى عدوٍّ يتجهمنى**[1] **أم إلى عدوٍّ ملكته أمرى؟ إن لم تكن غضبان علىَّ فلا أُبَالى، غير أن عافيتك أوسع لى. أعوذ بوجهك الذى أشرقت له الظلماتُ،وصلُحَ عليه أمرالدنيا والآخرة؛ أن ينزل بى غضبك، أو يحلَّ بى سُخْطُك، لك العُتْبَى**[2] **حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله**»[3] وإذاً، فقد أصبحت الدعوة بين عدوين: عدوٌّ يتجهم، وعدوٌّ يملك الأمر، ولم يعد المقام فى مكة يصلح لنشر هذه الرسالة العالمية.

أمن الخير ـ والحال ما سبق ـ أن تبقى الدعوة حبيسةً فى مكة، مقيدةَ الإرادة، مشلولة الحركة، وأن يقيم الداعى الكريم ﷺ وأصحابه على الضيم؟

ولا يقيمُ على ضَيْم يُراد به   إلاّ الأذلان: عيرُ الحى والوتد

هذا على الخَسْفِ مربوطٌ برُمَّته   وذا يُشَجُّ فما يرثى له أحـــدُ

لابد ـ إذًا ـ من البحث عن مُتنفسٍ جديدٍ للدعوة، ولابد من البحث عن القاعدة الحصينة التى يمكن أن تنطلق منها الدعوة.

وفى الأرض منأىً للكريم عن الأذى

وفيهــا لمـــــن رام العُـــــلا مُتَحَوَّل

النبى ﷺ يعرض نفسه على قبائل العرب:

أخذ الداعى الكريم ﷺ يعرض نفسه على قبائل العرب المختلفة، طالباً الإيواء والنُّصْرة، ويستغل موسم الحج فى المرور على الخيام والأخبية، فيأتى كل قبيلة فى

(١) **يتجهمنى**: يلقانى بالغلظة والوجه الكريه. (النهاية ١/ ٣٢٣)

(٢) **لك العتبى**: أى: لك الاسترضاء بالرجوع عن الذنب والإساءة، «ويستعتب أى يرجع عن الإساءة ويطلب الرضا »(النهاية ٣/ ١٧٥).

(٣) أخرجه الطبرانى فى الكبير، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات (مجمع الزوائد ٦/ ٣٥) وهو من مراسيل الصحابة، فإن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب لم يدرك القصة، إذ قد ولد بالحبشة حين كان أبوه مهاجراً إليها، وقد روى الحاكم فى المستدرك ٣/ ٥٦٧ عن مسلم بن الحجاج أن عبد الله بن جعفر سمع من النبي ﷺ، ومات النبى ﷺ وهو ابن عشر سنين. وعلى كل حال فمراسيل الصحابة مقبولة؛ لأن معظم رواياتهم عن الصحابة، أو عن النبى ﷺ، كما قرر علماء الحديث. وهذا الدعاء أخرجه ابن إسحاق ـ وعنه أصحاب السير ـ عن يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظى، مرسلاً، وإسناده صحيح، وفيه أن الشجرة كانت شجرة عنب فى حائط عتبة وشيبة ابنى ربيعة، وفيه كذلك قصة عداس المشهورة والحديث بطريقيه قوىٌّ مقبولٌ إن شاء الله

منازلها، عارضاً دعوته، وشارحاً مبادئه، وسائلاً نصرة هذه الدعوة وتلك المبادئ وإيواء صاحبها والمومنين بها:

١٩ ـ فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال:

«كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل فى الموقف، فقال: **«ألاَ رجلٌ يحملنى إلى قومه؛ فإنَّ قريشاً منعوني أن أبلِّغ كلام ربى؟»**»[١].

٢٠ـ زاد فى رواية: «فأتاه رجل من هَمْدَان، فقال: **«ممن أنتَ؟»** فقال الرجل: من همدان. قال: **«فهل عند قومك من منَعَة؟»** قال نعم. ثم إن الرجل خشى أن يُخْفِرَه[٢] قومه، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: آتيهم، فأخبرهم، ثم آتيك من عامٍ قابلٍ. قال **«نعم»**. فانطلق، وجاء وفد الأنصار فى رجب»[٣].

٢١ ـ وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال:

«لما أمر الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ أن يعرض نفسه على القبائل، خرج وأنا معه، وأبو بكر رضى الله عنه، فدفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدم أبو بكر رضى الله عنه ـ وكان مقدماً فى كل خير ـ وكان رجلاً نسَّابةً، وقال: ممن القوم؟. قالوا: من ربيعة...» فذكر الحديث فى حوار أبى بكر معهم، ثم ذهابهم إلى مجلس بنى شيبان بن ثعلبة، وعرضهم نصر النبى مما يلى العرب دون الفرس، إلى أن قال: «فدفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج، فما نهضنا حتى بايعوا رسول الله ﷺ». قال: «فلقد رأيت رسول الله ﷺ وقد سُرّ بما كان من أبى بكر ومعرفته بأنسابهم»[٤].

---

(١) أخرجه بإسناد صحيح أبو داود فى كتاب: السنة، باب: فى القرآن ٤/ ٢٣٤ـ ٢٣٥ (٤٧٣٤)، والترمذى ـ وقال: غريب صحيح ـ فى كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء كيف كانت قواءة االنبى ﷺ ٥/ ١٦٨(٢٩٢٥)، وابن ماجه فى المقدمة، باب: فيما أنكرت الجهمية ١/ ٧٣ (٢٠١)، والدرامى فى كتاب: فضائل القرآن، باب: القرآن كلام الله ٢/ ٥٣٢ (٣٣٥٤)، وأحمد ٣/ ٣٩٠.

(٢) يُخْفِره، بضم أوله وكسر ثالثه: يغدروا به، ولا يحفظوا عهده وجواره. وأخبرت الرجل: إذا نقضت عهده وزمامه. (النهاية ٢/ ٥٢)

(٣) أخرجه أحمد ٣/ ٣٩٠ بإسناد صحيح ـ قال الهيثمى فى المجمع ٦/ ٣٥: «رجاله ثقات» وصححه الحاكم ٢/ ٦١٢ ـ ٦١٣ على شرط الشيخين، ووافقه الذهبى، وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤١٣ ـ٤١٤.
ولعل المقصود بوفد الأنصار الذى جاء في رجب: وفد جاء ليعلن للنبى ـ ﷺ ـ أن نفرًا قد أسلموا، وسوف يأتون للمبايعة فى موسم الحج، والله أعلم.

(٤) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٢٢ ـ ٤٢٧، وأبو نعيم فى الدلائل ١/ ٢٣٧ ـ ٢٤١.
وقال ابن حجر فى الفتح ٧/ ٢٢٠: «بإسناد حسن» كما حسنه القسطلانى فى المواهب» غير أن ابن كثير أورده وقال: «هذا حديث غريب جداً، كتبناه لما فيه من دلائل النبوة ومحاسن الأخلاق ومكارم الشيم وفصاحة العرب. (السيرة النبوية لابن كثير ٢/ ١٦٣ ـ ١٦٩).

وقد ذكر ابن إسحاق - وتابعه أصحاب السير - بأسانيده أنهﷺ أتى كندة فى منازلهم، وأتى كلباً فى منازلهم، وأتى بنى حنيفة فى منازلهم، وأتى بنى عامر بن صعصعة فى منازلهم، فدعاهم إلى الله عز وجل.

ثم قال ابن إسحق: «فكان رسول الله ﷺ على ذلك من أمره، كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام، ويعرض عليهم نفسه وما جاء به من الله من الهدى والرحمة، وهو لا يسمع بقادم يقدم مكة له اسمٌ وشرفٌ إلا تصدى له، فدعاه إلى الله، وعرض عليه ما عنده»(١).

وفى هذه النصوص ما يدل بغاية الوضوح على أنه ﷺ قد رأى ضرورة التحول من مكة، وضرورة إيجاد منطلقٍ حصينٍ منيع للدعوة العالمية المباركة.

تباشير النصر:

نتيجة لهذه الحركة الدائبة من الداعية الأعظم ﷺ شرح الله صدر من شاء لهم الهداية من خلقه، فأسلم الطفيل بن عمرو الدوسى، ثم عرض على النبى ﷺ الهجرة إلى دوسٍ بالطائف إلا أن النبى ﷺ أبى عليه ذلك:

٢٢ - فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما، أن الطفيل بن عمرو الدوسى رضى الله عنهما أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، هل لك فى حصنٍ حَصين ومنعة؟ - قال: حصن كان لدوس فى الجاهلية - فأبى ذلك رسول الله ﷺ؛ للذي ذخر الله للأنصار. فلما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة هاجر إليه الطفيل بن عمرو، وهاجر معه رجل من قومه . . .»(٢).

ولعلَّ رفض النبى ﷺ لعرض الطفيل كان بسبب أن دوساً لم تكن قد أسلمت بعد فخشى أن لا يستطيع الطفيل منعه، وأن لا يكون له فيهم منعةٌ، والله أعلم، فإن دوساً قد أسلمت فيما بعد ذلك بكثير.

٢٣ - فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال:

«جاء الطفيل بن عمرو إلى النبى ﷺ فقال: إنّ دوسًا قد هلكت، عصت وأَبَتْ فادعُ الله عليهم فقال: **«اللهم اهدِ دوساً، وائت بهم»**(٣).

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٢٥.

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر ١/١٠٨،١٠٩(١٨٤/١١٦) وأحمد ٣/ ٣٧٠.

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: المغازى، باب: قصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسى ٨/١٠١(٤٣٩٢) وأحمد ٢/ ٤٤٨.

٢٤ ـ وفى رواية قال:

«قدم طفيل بن عمرو الدوسىّ وأصحابه، فقالوا: يا رسول الله، إن دوساً عَصَتْ وأَبَتْ، فادع الله عليها» ـ وفى رواية قال أبو هريرة: «فرفع رسول الله ﷺ يديه، فقيل: هلكتْ دوس! ـ فقال: «**اللهم هد دوساً وائت بهم**»[١].

وقد كان قدوم الطفيل ذلك بعد إسلام أبى هريرة، أى أنه كان بعد خيبر فى العام السابع للهجرة، وهذا يدل على أن دوساً لم تكن تصلح أن تكون مهاجراً لرسول الله ﷺ، وأن الطفيل لم يكن ليمنع رسول الله ﷺ لو فعل ذلك.

ثم إن ذلك الرفض كان ـ كما ذكر جابر رضى الله عنه ـ للذى ذخر الله للأنصار، إذ بدأت طلائع يثرب المباركة فى الإيمان برسول الله ﷺ، بعد أن لقى النبى ﷺ وفداً من الخزرج، أراد الله لهم الخير، فآمنوا به وصدقوه، وذلك عند العقبة فى السنة الحادية عشرة من بعثته ﷺ:

٢٥ ـ فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال:

«مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين، يتبع الناس فى منازلهم بعُكَاظ ومجنة، وفى المواسم بمنىً، يقول: «**من يؤوينى؟ من ينصرنى؟ حتى أبلِّغ رسالة ربى، وله الجنة؟**» حتى إن الرجل ليخرج من اليمن، أو من مضر ـ كذا قال ـ فيأتيه قومه، فيقولون: احذر غلامَ قريش لا يَفْتِنْك. ويمضى بين رجالهم، وهم يشيرون إليه بالأصابع.

حتى بعثنا الله إليه من يثرب، فآويناه، وصدّقناه، فيخرج الرجل منا، فيؤمن به، ويقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله، فيسلمون بإسلامه، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام. . .» الحديث[٢].

أما قصة النفر الخزرجيين الأول وبدء إسلامهم فيحكيه ابن إسحاق، فيقول:

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٢٤٣، ٥٠٢ وقال ابن كثير: «إسناده جيد، ولم يخرجوه» (البداية والنهاية٣/ ٩٨) قلت: أخرجه البخارى فى كتاب: الجهاد، باب: الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم ٦/ ١٠٧ـ ١٠٨(٢٩٣٧) وفى كتاب: الدعوات، باب االدعاء للمشركين ١١/ ١٩٦(٦٣٩٧) ومسلم فى كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل غفار. . ودوس وطىء ٤/ ١٩٥٧ (٢٥٢٤/ ١٩٧).

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٣٢٢ـ ٣٢٣، ٣٣٩ـ ٣٤٠، والبزار ٢/ ٣٠٧ـ ٣٠٨(١٧٥٦)، قال الهيثمى فى المجمع ٦/ ٤٦: «رجال أحمد رجال الصحيح» وقال ابن كثير فى البداية والنهاية ٣/ ١٥٩ «هذا إسناد جيد على شرط مسلم ولم يخرجوه»، وقال ابن حجر فى الفتح ٧/ ٢٢٢ «بإسناد حسن» وصححه ابن حبان ١٤/ ١٧٢ـ ١٧٤ (٦٢٧٤) والحاكم ٢/ ٦٢٤ـ ٦٢٥، ووافقه الذهبى. وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٤٢ـ ٤٤٣. إلا أن ابن حبان قال: «سبع سنين».

٢٦ـ فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، عن أشياخ من قومه، قالوا:

«لما لقيهم رسول الله ﷺ قال لهم: «**من أنتم؟**». قالوا: نفرٌ من الخزرج. قال: «**أمن موالى يهود؟**» قالوا: نعم. قال: «**أفلا تجلسون أكلِّمْكم؟**». قالوا: بلى. فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن.

قال: وكان مما صنع الله بهم فى الإسلام: أن يهود كانوا معهم فى بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شركٍ وأصحابَ أوثان، وكانوا قد غزوهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شىء قالوا لهم: إن نبيا مبعوثٌ الآن، قد أظلّ زمانُه، نتبعه، فنقتلكم معه قتل عادٍ وإرَم.

فلما كلّم رسولُ الله ﷺ أولئك النفر، ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعضٍ: يا قوم، تعلَّموا، والله إنه للنبىُّ الذى توعَّدكم به يهود، فلا تسبقُنكم إليه.

وقالوا: إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يُجمعَهم الله بك، فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، وتَعْرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجلٌ أعزُّ منك.

ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدَّقوا»[١].

قال ابن إسحاق: «فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ، ودَعَوْهم إلى الإسلام، حتى فَشَا فيهم، فلم يبق دارٌ من دور الأنصار إلا وفيها ذكرٌ من رسول الله ﷺ، حتى إذا كان العام المقبل (الثانى عشر للبعثة) وافى الموسمَ من الأنصار اثنا عشر رجلاً، فلقوه بالعقبة، قال: وهى العقبة الأولى، فبايعوا رسول الله ﷺ على بيعة النساء، وذلك قبل أن تفترض عليهم الحرب»[٢].

٢٧ـ أما قصة هذه البيعة فيحكيها **عبادة بن الصامت** رضى الله عنه ـ وهو أحد شهودها والمبايعين فيها، فيذكر أن النبى ﷺ قال لهم:

«بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تَزْنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصونى فى معروف. فمن وفَّى منكم فأجره علىّ الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به، فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا، ثم ستره الله، فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه» قال: فبايعناه

(١) أخرجه ابن إسحاق (السيرة النبوية ١/٤٢٨ـ ٤٢٩) وعند أصحاب السير، والإسناد حسن، ولا تضر جهالة شيوخ عاصم فالغالب أنهم من الصحابة، ولعل بعضهم ممن حضر الواقعة، والله أعلم.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١/٤٣١.

على ذلك[١].

وفى رواية عنه رضى الله عنه قال: «كنت فيمن حضر العقبة الأولى، وكنا اثنى عشر رجلاً، فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء..» فذكر الحديث[٢].

والمقصود: أنهم بايعوا على وفق بيعة النساء التى نزلت بها الآية الثانية عشرة من سورة الممتحنة بعد صلح الحديبية، إذ لم يرد فيها ذكر القتال.

وعاد الوفد بعد هذه البيعة المباركة إلى يثرب، ومعهم مصعب بن عمير رضى الله عنه، يقرئهم القرآن، ويعلِّمهم الإسلام، ويفقِّههم فى الدين[٣]، ثم عاد فى العام التالى (الثالث عشر للبعثة) ومعه سبعون رجلاً وامرأتان من المؤمنين؛ ليبايعوا النبى ﷺ بيعة العقبة الثانية، حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته، والنصر لنبية ﷺ، وإعزاز الإسلام وأهله، وإذلال الشرك وأهله.

٢٨ ـ ويحكى **كعب بن مالك** رضى الله عنه ـ وهو أحد المبايعين فى تلك الليلة ـ قصة هذه البيعة الكبرى، فيقول:

«خرجنا إلى الحج، فواعدَنا رسولُ الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق، فلما فرغنا من الحج، وكانت الليلة التى وعدنا رسول الله ﷺ، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر، سيد من ساداتنا، وكنا نكتم مَنْ معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلمناه، وقلنا له: يا أبا جابر، إنك سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، وإنا نرغب بك عما أنت فيه؛ أن تكون حطباً للنار غدا. ثم دعوته إلى الإسلام، وأخبرته بميعاد رسول الله ﷺ، فأسلم، وشهد معنا العقبة، وكان نقيبا».

قال: «فنمنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ، نتسلّل مستخفين تسلُّل القَطَا[٤]، حتى اجتمعنا فى الشِّعْب عند العقبة، ونحن سبعون رجلاً، ومعنا امرأتان من نسائهم...» (عند ابن إسحاق:

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: الإيمان، باب: حدثنا أبو اليمان ١/ ٦٤(١٨)، وفى كتاب: مناقب الأنصار، باب: وفود الأنصار إلى النبى ﷺ بمكة وبيعة العقبة ٧/ ٢١٩ ـ ٢٢٠ (٣٨٩٢، ٣٨٩٣) وانظر أيضاً أرقام (٣٨٩٩، ٤٨٩٤، ٦٧٨٤، ٦٨٠١، ٦٨٧٣، ٧٠٥٥، ٧١٩٩، ٧٢١٣، ٧٤٦٨)، ومسلم فى كتاب الحدود، باب: الحدود كفارات لأهلها ٣/ ١٢٣٣ (١٠٧٩/ ٤١ ـ ٤٢)، والترمذى فى كتاب: الحدود، باب: ما جاء أن الحدود كفارة لأهلها ٤/ ٣٦ (١٤٣٩)، والنسائى فى كتاب: البيعة، باب: البيعة على الجهاد ٧/ ١٢٨، ١٣٣، ١٤٤ وأحمد ٥/ ٣١٤، ٣٢١، ٣٢٣، وابن حبان فى الثقات ١/ ٩٣.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٣٣، ٤٣٤ والإسناد صحيح.

(٣) السابق ١/ ٤٣٤. وانظر: الثقات لابن حبان ١/ ٩٦

(٤) **القَطَا**، بالقصر وفتح القاف: نوع من الحمام، واحدتها: قطاة (سبل الهدى والرشاد ٣/ ٢٨٨).

ثلاثة وسبعون رجلا).

قال: «فاجتمعنا بالشِّعْب، ننتظر رسول الله ﷺ، حتى جاءنا ومعه يومئذٍ عمه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذٍ على دين قومه، إلا أنه أحبّ أن يحضر أمْر ابن أخيه، ويتوثق له.

فلما جلسنا كان العباس بن عبد المطلب أولَ متكلم، فقال: يا معشر الخزرج - **قال:** وكانت العرب مما يسمون هذا الحىّ من الأنصار الخزرج أوسها وخزرجها - إن محمداً منّا حيث قد علمتم، وقد منعناه ممن هو على مثل رأينا فيه، وهو فى عزٍّ من قومه ومَنَعَة فى بلده.

قال: فقلنا: قد سمعنا ما قلتَ، فتكلَّمْ يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت.

قال: فتكلَّم رسول الله ﷺ، فتلا، ودعا إلى الله عز وجل، ورغّب فى الإسلام، قال: «**أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم**».

قال: فأخذ البراء بن معرورٍ بيده، ثم قال: نعم، والذى بعثك بالحق، لنمنعنَّك مما نمنع منه أُزُرنا[1]، فبايِعْنا يا رسول الله، فنحن أهل الحروب وأهل الَحلْقة، ورثناها كابراً عن كابر.

قال: فاعترض القولَ - والبراء يكلم رسول الله ﷺ - أبو الهيثم بن التَّيِّهان، حليفُ بنى عبد الأشهل، فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبالاً، وإنا قاطعوها يعنى - العهود[2]- فهل عسيتَ إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله؛ أن ترجع إلى قومك وتَدَعَنا؟

قال: فتبسمّ رسولُ الله ﷺ، ثم قال: «**بل الدمُ الدمُ، والهَدْمُ الهَدْمُ**[3]، **أنا منكم، وأنتم**

---

(١) **أزرنا:** جمع إزار، وهو ما يلبسه الإنسان على النصف الأسفل تحت الرداء. والتعبير كتابة عن: النساء، والمرأة يكنى عنها بالإزار (سبل الهدى والرشاد ٣/ ٢٨٩) وقيل: أراد بقوله «أزرنا: أنفسنا، وقد يكنى بالنفس عن الإزار (النهاية (١/ ٤٥).

(٢) عند ابن إسحاق: يعنى اليهود.

(٣) قال ابن الأثير فى النهاية ٥/ ٢٥١: «المعنى: إن طُلب دمكم فقد طُلب دمى، وإن أهدِر دمكم فقد أهدِر دمى؛ لاستحكام الألفة بيننا، وهو قول معروف للعرب، يقولون: دمى دمك، وهدمى هدمك، وذلك عند المعاهدة والنصرة». وقال ابن هشام «ويقال الهَدَم الهَدَم (بالتحريك). يعنى الحرمة، أى ذمتى ذمتكم، وحرمتى حرمتكم» السيرة النبوية ١/ ٤٤٣).

وقال ابن سيد الناس: «إنما كنى عن حرمة الرجل وأهله بالهدم؛ لأنهم كانوا أهل نجعة وارتحال، ولهم بيوت يستخفونها يوم ظعنهم، فكلما ظعنوا هدموها، والهدم بمعنى المهدوم كالقبض، ثم جعلوا الهَدَم =

منى، أحاربُ مَنْ حاربتم، وأسالمُ مَنْ سالمتم».

وقد قال رسول الله ﷺ: **«أخرجوا إلىّ منكم اثنى عشر نقيباً، يكونون على قومهم».**

فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيباً، منهم تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس...» الحديث[1].

وبهذه البيعة قفزت الدعوة الإسلامية من النصيحة الأخلاقية إلى المحالفة الحربية الدفاعية، حتى سميت **«بيعة الحرب»**:

٢٩ ـ فعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه ـ وكان أحد النقباء ـ قال:

«بايَعْنا رسولَ الله ﷺ بيعة الحرب على السمع والطاعة، فى عسرنا ويسرنا ومَنْشَطنا ومكْرَهنا[2]، وأَثَرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف فى الله لومةَ لائم»[3].

وبدت تباشير النصر آتيةً طلائعها من يثرب التى تعلَّقت قلوب أهلها بالدعوة وصاحبها، وآلمهم أن يبقى نبيُّهم فى مكة مُضَيَّقاً عليه وعلى دعوته، فجاءوا راغبين فى هجرته إليهم، مبايعين على حمايته وحماية دعوته.

ففى حديث جابر السابق(٢٥): «فقلنا: حتّى متى نترك رسولَ الله ﷺ يُطْرَد فى جبال مكة ويُخَاف؟ فرحل إليه منا سبعون رجلاً...» الحديث.

الهجـــرة:

وإذاً؛ فقد أذن الله للدعوة أن تنطلق، وهيّألها مكان الانطلاق، كما هيّألها أنصاراً يقومون بالذّود عنها، أخذوا الداعى ﷺ على مصيبة الأموال، وقتل الأشراف، حتى إن

= وهو البيت المهدوم عبارة عما حوى، ثم قالوا: هَدَمى هَدَمك، أى رحلتى رحلتك» (عيون الأثر ١/ ٢١٠). وانظر: سبل الهدى والرشاد ٣/ ٢٨٩ .

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٤٦١ ـ ٤٦٢، والطبرانى فى الكبير ١٩/ ٨٧ ـ ٩١ (١٧٤). وقال الهيثمى فى المجمع ٦/ ٤٥: «رجال أحمد رجال الصحيح، غير ابن إسحاق، وقد صرّح بالسماع»، وهو عن ابن إسحاق ـ بإسناد صحيح ـ فى السيرة النبوية ١/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠، وصححه ابن حبان ١٥/ ٤٧١ ـ ٤٧٣ (٧٠١١)، وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٤٤ ـ ٤٤٩.

(٢) **المَنْشَط** ـ بفتح الميم والشين المعجمة ـ: مفعل من النشاط، وهو الأمر الذى تنشط وتخف إليه وتؤثر فعله، وهو مصدر بمعنى النشاط.

والمكْرَه ـ بفتح الميم والراء ـ: مصدر بمعنى الأمر المكروه (انظر النهاية ٤/ ١٦٩ و٥/ ٥٧).

(٣) أخرجه ابن إسحاق بسند صحيح (السيرة النبوية ١/ ٤٥٤)، وأحمد ٥/ ٣١٦.

العباس بن عبادة بن نضلة رضى الله عنه - حين كشف الشيطان أمر البيعة - قال لرسول الله ﷺ: والذى بعثك بالحق، إن شئتَ لنَميلنَّ غداً على أهل مِنىً بأسيافنا. فقال له النبى ﷺ: «**لم أومر بذلك**»[1].

وعاد القوم إلى المدينة، وطابت نفسُ رسول الله ﷺ أن جعل الله له داراً وأنصاراً، فأمر أصحابه أن يهاجروا ويلحقوا بإخوانهم الأنصار، ويتركوا فى سبيل ذلك ديارهم وأموالهم وعشائرهم، فكانت الهجرة لذلك عنوان صدق الإيمان بتضحياتها العظيمة.

وتتابع المهاجرون إلى المدينة، فلم يبق بمكة إلا المستضعفون من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلا.

ولم يبق إلا أن يهاجر رسول الله ﷺ؛ لينظِّم فى المدينة دولة الإسلام التى ستحمل الدعوة وتنطلق بها، وكان ينتظر إذن ربّه جلَّ وعلا، فلما أذن له هاجر مع صاحبه.

وعلى الرغم من الصعوبات الكثيرة والمحاولات الضخمة التى قامت بها قريش لمنع الهجرة؛ فإن الله تعالى قد هيّأ للهجرة أسباب النجاح - كما سيأتى بعدُ إن شاء الله - لأنها ستكون نقطة البدء فى الانطلاقة الكبرى نحو تثبيت الدعوة، وتمكين السلطان النصير للإسلام والمسلمين.

وقد ذكّر الله تعالى المسلمين بذلك فى قوله عز وجل: ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [الأنفال: ٢٦].

إقامة الدولة الإسلامية:

بوصول النبى ﷺ إلى المدينة التى تنورت بهجرته إليها أمكنه إقامة الدولة؛ إذ تحققت مقوماتها الأساسية: الشعب، والأرض، والسلطة.

أما الشعب؛ فقد وُجد بعد الهجرة مكوناً من المهاجرين والأنصار، الذين آخى بينهم النبى ﷺ فى وحدة قدسية جامعة، ربطت بين قلوبهم، فسيطرت عليهم القوة الروحية، وأضحى كل منهم أمةً فى شخص وجيشاً فى فردٍ، فكان الشعبَ النموذجيَّ الذى لم تر

(١) جزء من حديث كعب بن مالك السابق برقم (٢٧).

الدنيا فى تاريخها كله شعباً مثله فى كل خصال الخير التى تمتع بها، شهد له بذلك القرآن والسنة، فقال تعالى ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

٣٠ ـ وروى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن النبىَّ ﷺ قال:

«خير الناس قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم...» الحديث[١].

وأما الأرض؛ فهى يثرب الطيبة التى صار اسمها «المدينة» ووصفت بالمنورة، وبالنبوية، وغير ذلك من الأوصاف الطيبة، والتى قطع الإسلام علاقتها بماضى الشرك والجاهلية، حتى فى التسمية، فنهى النبى ﷺ عن تسميتها «يثرب»، وصار اسمها الغالب «المدينة» أو «طابة»[٢].

٣١ ـ فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«أُمِرْتُ بقرية تأكل القرى، يقولون: يثرب، وهى المدينة، تنفى الناس كما ينفى الكيرُ خبثَ الحديد»[٣].

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: فضائل أصحاب النبى ﷺ، باب: فضائل أصحاب النبى ﷺ ٧/ ٣ (٣٦٥١)، ومسلم فى كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ٤/ ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ (٢٥٣٣/ ٢١٠ ـ ٢١٢)، وغيرهم والحديث مروى كذلك عن عمران بن الحصين، وعائشة، وأبى هريرة (انظر البخارى أرقام ٢٦٥١، ٣٦٥٠، ٦٤٢٨، ٦٦٩٥، ومسلم ٢٥٣٥/ ٢١٤ ـ ٢١٥).

(٢) ذكر العلماء لها أسماءً كثيرة بلغت عند الصالحى فى سبل الهدى والرشاد (٣/ ٤١٤ ـ ٤٢٥) خمسة وتسعين اسما. وكثرة الأسماء دليل على شرف المسمى.

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: فضائل المدينة، باب: فضل المدينة وأنها تنفى الناس ٤/ ٨٧ (١٨٧١)ـ ومسلم فى كتاب: الحج، باب: المدينة تنفى شرارها ٢/ ١٠٠٦ (١٣٨٢/ ٤٨٨)، وأحمد ٢/ ٢٣٧، ٢٤٧، ٣٨٤، ومالك فى الموطأ فى كتاب: الجامع، باب: ما جاء فى سكنى المدينة والخروج منها صـ٨٨٧ (٥)، وابن حبان ٩/ ٣٩ (٣٧٢٣)، والطحاوى فى مشكل الآثار ٢/ ٣٣٢، ٣٣٣، والبيهقى فى الدلائل ٢/ ٥١٩.

ومعنى **«تأكل القرى»**: تغلبها وتظهر عليها، قال الطحاوى فى مشكل الآثار ٢/ ٣٣٤: «تأكل القرى: يعنى أهلها، هو بمعنى يقدر على أهل القرى، بافتتاح أهلها تلك القرى، وغلبتهم عليها وعلى أهلها. وقد كان ذلك منهم رضوان الله عليهم، حتى أظهر الله تعالى دينه ﷺ على الدين كله».

وقال ابن حبان ٩/ ٣٩ ـ ٤٠: «قوله ﷺ: «أمرت بقرية تأكل القرى» لفظة تمثيل: مرادها: أن الإسلام يكون ابتداؤه من المدينة، ثم يغلب على سائر القرى، ويعلو على سائر الملك، فكأنها قد أتت عليها، لا أن المدينة تأكل القرى». =

وأما السلطة؛ فكانت فى يد رسول الله ﷺ، تشريعية، وقضائية، وتنفيذية، خوّله الله إياها، وبايعه المسلمون عليها على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره.

وبذلك تحقق أول وأهم مقاصد الهجرة الكريمة، وهو بناء الدولة التى ستنطلق بالدعوة. وحتى يكون الانطلاق على بصيرة كان لابد من إكمال الجانب التشريعى، الذى تُساس به أمور الجماعة المسلمة الداعية، فكان أول عملٍ بعد الهجرة هو بناءَ المسجد الذى يضم هذه الجماعة، وتمارس فيه شعائر عباداتها، ويكون دارَ قيادتها، ومركزَ إشعاع الدعوة التى ستحملها. وتوالت التشريعات التى تنظم علاقة الفرد بربه، وبأسرته، وبإخوانه، وبالجماعة التى يعيش فيها، ثم علاقة هذه الجماعة بغيرها من الجماعات؛ إذ قد صار للإسلام دولته الحاكمة التى يمكن من خلال سلطانها تنفيذ هذه التشريعات والمبادىء، فأصبح من الممكن جمع الزكاة من الأغنياء، وتوزيعها بمنتهى العدل على الفقراء، كما صار من الممكن تنفيذ مبادىء المساواة والأخوة، وإقامة الحدود الزاجرة، والقصاص العادل، وتنظيم المعاملات بين الناس على أساسٍ من الرضا والعدل، وإيجاد الرأى العام الرشيد الفاضل، الذى يقوِّم المنحرف، ويرشد المسترشد، ويأخذ على يد المسىء[1].

ثم قد صار من الممكن تنظيم الجيش الذى يحمى الذِّمار والديار، ويحمل لواء الفتح، وينهض بواجب النصر للدعوة العالمية المباركة.

الانطلاق بالدعوة:

لم يُعْطِ المسلمون أنفسهم وقتاً للراحة، فما كانت الهجرة قطُّ فى أنظارهم ركوناً إلى الدَّعَة والاسترخاء، أو ميْلاً إلى الراحة والسكون، وإنما كانت محاولةً مصمِّمةً على قيادة المعركة، والانطلاق بالدعوة فى سبيل الله من جهة أخرى، وفى ظروف جديدة،

= وقال البغوى فى شرح السنة ٧/ ٣٢٠: «تأكل القرى» أى يجلب إليها طعامُ القرى فهى تأكلها، وأراد ما يحصل من الفتوح على أيديهم ويصيبون من الغنائم، وأضاف الأكل إلى القرية، والمراد: أهلها». قال: «وسميت القرية قرية لاجتماع الناس فيها، من قريت الماء فى الحوض، أى جمعته».

و«**تنفى الناس**» أى: تنفى الخبيث الردىء منهم.

وفى سبب كراهة تسميتها «يثرب» قال الصالحى: «إما لكون ذلك مأخوذاً من الثَّرَب، بالتحريك، وهو الفساد، أو من التثريب، وهو المؤاخذة بالذنب، وكان ﷺ يحب الاسم الحسن، ولهذا أسماها «طابة، وطيبة» (سبل الهدى والرشاد ٣/ ٤٢٧).

(١) انظر ما كتبه الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله فى كتابه «خاتم النبيين» ١/ ٦٥٢ ـ ٦٥٣.

وبوسائل مناسبة.

ومن ثَمَّ أخذوا في العمل الجاد لإنشاء الجيش القويّ الفتيّ، الذي يمثِّل الدرعَ الواقية للدولة الفاضلة الناشئة، التي تتهددها الأخطار من جهات متعددة، وبدأ تدريب هذا الجيش من خلال السرايا المتعددة التي خرج فيها، واستطاع هذا الجيش - مع قلة عدده، وضعف إمكاناته - أن ينطلق ليحقق - بفضل الله - اعتبار الجماعة المؤمنة، فدخل في رمضان من السنة الثانية للهجرة أول معركة فاصلة ضد عدوه، الذي بلغت قوته العددية ثلاثة أضعاف القوة المؤمنة، ناهيك عن استعداده وسلاحه، وخروجه مستعدًا لحرب لم يتصور المؤمنون أنهم بصدد خوضها. ومع ذلك كتب الله النصر للجيش المؤمن، ليزداد إيماناً بدينه، وثباتاً على دعوته. قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

ثم تلاحقت جولات الصراع المسلَّح، ومعها انطلقت البعوث والرسل من المدينة إلى مختلف القبائل، وإلى ملوك العرب والعجم، تعرض عليهم الإسلام، وتنشر بينهم الدعوة العالمية المباركة، فقَبل مَن قَبِل، وأبى مَنْ أَبَى، وما هي إلا سنواتٌ ثمان بعد الهجرة المباركة، حتى جاء نصر الله والفتح، ففتحت مكة، وعاد إليها الداعية الأعظم ﷺ وجنوده مظفّرين فاتحين، من غير إراقة قطرة دمٍ واحدة، فعفا عن خصومه السابقين، وأطلق سراحهم، في سابقة لم يسمع التاريخ بمثلها قط، فتحوّلوا جميعاً مسلمين مؤمنين.

وعندئذٍ جاءت وفود العرب تترى من أنحاء الجزيرة العربية، مؤمنة بالدعوة، ومبايعة على نصرها، ذلك أنهم كانوا ينتظرون نتيجة الصراع بين الدعوة وخصومها القرشيين، ليتخذوا مواقفهم بناءً على هذه النتيجة.

٣٢ - فعن عمرو بن سلمة رضي الله عنهما قال:

«... كانت العرب تَلَوَّم[(١)] بإسلامهم الفتح، فيقولون: اتركوه وقومه، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبيٌّ صادقٌ. فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كلُّ قومٍ بإسلامهم، وبادر أبي قومي بإسلامهم...» الحديث[(٢)].

(١) أي تنتظر، أراد «تتلوم» فحذف إحدى التاءين (النهاية ٤/ ٢٧٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي، باب: وقال الليث: حدثني يونس ٨/ ٢٢ (٢٠٤٣٠٢)، والنسائي في كتاب: الأذان، باب: اجتزاء المرء بأذان غيره في الحضر ٢/ ٩ - ١٠، وأحمد ٥/ ٣٠.

وانطلق الإسلام انطلاقته الكبرى، ولم يمر ربع القرن إلا وقد فتح الله على الدعوة العالية أقطار العرب وفارس والرومان وغيرها، ونعمت سائر فجاج الأرض بهذه الدعوة المباركة.

وهكذا لم تكن الهجرة مجرد فرارٍ من الأذى، ولم يكن الباعث عليها مجرد النجاة من شدة التعذيب ولأوَاء التضييق، وإنما كانت نقطة البداية، وحجر الزاوية فى إقامة دولة الإسلام العالمية، التى انطلقت بالدعوة، وقامت بها خير قيام والله أعلم[٣].

(٣) ينظر فى هذا الموضوع كتاب «فى ظلال السيرة النبوية: الهجرة النبوية» صـ١٧: ٢٨ للدكتور/ محمد عبد القادر أبو فارس.

الفصل الثالث

متى أذن للرسول ﷺ وللمسلمين فى الهجرة

لا خلاف فى أن الإذن لرسول الله ﷺ بالهجرة كان بعد بيعة العقبة الكبرى، وبعد أن هاجر عامة الصحابة رضوان الله عليهم، إلا مَنْ كان من المستضعفين، أو من ذوى الأعذار، أو ممن استبقاهم النبى ﷺ لحاجة، كعلى وأبى بكر وعبد الله بن أبى بكر وعامر بن فهيرة.

وكانت بداية الإذن ـ أو الأمر ـ بنزول الآية (٨٠) من سورة الإسراء.

٣٣ ـ فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال:

«كان النبى ﷺ بمكة، ثم أُمر بالهجرة، فنزلت عليه ﴿ **وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا** ﴾»[١].

٣٤ ـ وفى رواية: «مكث النبى ﷺ بمكة ثلاث عشرة سنين نبياً، فنزلت عليه ﴿**أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ**﴾ ـ بفتح الميم ـ فهاجر»[٢].

٣٥ ـ وقال قتادة رحمه الله:

قوله تعالى ﴿ **وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ**﴾، فأخرجه الله من مكة إلى المدينة مخرج صدق، وأدخله المدينة مدخل صدق».

قال: «ونبىُّ الله ﷺ قد علم أنه لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان، فسأل سلطاناً نصيراً لكتاب الله، وحدود الله، ولفرائض الله، ولإقامة كتاب الله، وأن السلطان عِزَّةٌ من الله، جعله بين أظهر عباده، ولولا ذلك غار بعضهم على بعضٍ وأكل شديدُهم ضعيفَهم»[٣].

---

(١) أخرجه الترمذى ـ وقال حسن صحيح ـ فى كتاب: التفسير ـ سورة الإسراء ٥/ ٢٨٤ (٣١٣٩)، وأحمد ١/ ٢٢٣، وصححه الحاكم ٣/ ٤ ووافقه الذهبى، وأخرجه ابن جرير فى التفسير ١٥/ ١٤٨، والبيهقى فى دلائل النبوة ٢/ ٥١٦.

(٢) أخرجه الحاكم ٢/ ٢٤٣، وصحح إسناده، ووافقه الذهبى، والبيهقى فى الدلائل ٢/ ٥١٧.

(٣) أخرجه الحاكم ٣/ ٤، وسكت عليه هو والذهبى وأخرجه ابن جرير فى التفسير ١٥/ ١٥١، وعند السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ١٩٨ أن الحاكم صححه. وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٥١٧.

قلت: ومن كلام قتادة رحمه الله تتضح أهمية وضرورة وجود السلطان السياسى للإسلام، ولذا كان اهتمام النبى ﷺ واضحاً بإنشاء الدولة الإسلامية وتدعيم نظامها بمجرد نجاح الهجرة، كما سيأتى بعد.

غير أن هذا الإذن لم يكن محدَّداً بوقت معين، وكان النبى ﷺ ينتظر الإذن المؤقت بميعاد محدَّد، كما يدل عليه قوله لأبى بكر فى الحديث رقم (٤): «**على رسلك؛ فإنى أرجوَ أن يؤذَن لى**».

فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبى أنت؟ قال: «**نعم**».

وبقى النبى ﷺ منتظراً هذا الإذن، حتى اجتمع المشركون ليمكروا به، **فأطلعه الله** على ذلك، وأمره بالهجرة، كما فى الحديث رقم (١)، فأتى أبا بكر عندئذ، وقال له: «**فإنى قد أُذن لى فى الخروج**»، وخرجا من ليلتهما إلى الغار فى ذات الليلة التى أُذِن له فيها، وسيأتى تحديدها فى الفصل الخامس.

وكان بين بيعة العقبة الثانية (الكبرى) وخروجه ﷺ قريباً من ثلاثة أشهر، وعلى التحرير: شهران وبعض شهر[1].

أما الإذن للمسلمين؛ فالمشهور أنه كان عقب بيعة العقبة الكبرى، فتحت عنوان «ذكر إذن رسول الله ﷺ فى الهجرة إلى المدينة» قال محمد بن سعد:

٣٦ ـ أخبرنا محمد بن عمر الأسلمى، قال: حدثنى معمر بن راشد، عن الزهرى، عن أبى أمامة بن سهل بن حُنيف، وعن عروة، **عن عائشة قالا**:

«لما صدر السبعون من عند رسول الله ﷺ طابت نفسه، وقد جعل الله له مَنَعَةً وقوماً أهل حربٍ وعُدَّة ونجدة، وجعل البلاء يشتد على المسلمين من المشركين؛ لما يعلمون من الخروج، فضيَّقوا على أصحابه، وتعبَّثوا بهم، ونالوا منهم ما لم يكونوا ينالون من الشتم والأذى.

فشكا ذلك أصحاب رسول الله ﷺ، واستأذنوه فى الهجرة، فقال: «**قد أريت دارَ هجرتكم، أريت سبْخَةً ذات نخلٍ بين لابَتَيْن ـ وهما الحَرَّتَان ـ ولو كانت السَّرَاةُ**[2] **أرضَ نخلٍ وسباخٍ لقلت: هى هىَ**» ثم مكث أياماً، ثم خرج إلى أصحابه مسروراً، فقال: «**قد أُخبِرْتُ بدار هجرتكم، وهى يثرب، فمن أراد الخروج، فليخرج إليها**» فجعل القوم يتجهزون، ويتوافقون، ويتواسَوْن، ويخرجون، ويُخفون ذلك، فكان أولَ من قدم

---

(١) انظر: فتح البارى ٧/ ٢٢٧، ٢٣٥، ٢٤٧، وانظر: السيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٢٤٤، وتاريخ الطبرى ٢/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦، والمستدرك للحاكم ٢/ ٦٢٥، ومجمع الزوائد للهيثمى ٦/ ٥١.

(٢) السَّرَاة: بسين مفتوحة، وراء، وآخره تاء مربوطة: هى المنطقة الجبلية الواقعة جنوب الطائف إلى قرب أبها. (معجم المعالم الجغرافية فى السيرة صـ١٥٥).

المدينة أبو سلمة بن عبد الأسد. . .» الحديث[1].

وأما ابن إسحاق فذكر أن النبيَّ ﷺ بعد تلك البيعة أمر أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها واللحوق بإخوانهم من الأنصار.

٣٧ـ وقال: «إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها»[2].

ثم ذكر أنهم خرجوا أرسالاً، فكان أول من هاجر إلى المدينة: أبو سلمة بن عبد الأسد. قال ابن إسحاق: «هاجر قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة، وكان قدم على رسول الله ﷺ مكة من أرض الحبشة، فلما آذته قريش، وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار، خرج إلى المدينة مهاجرًا»[3].

وقال ابن القيم بعد الحديث عن بيعة العقبة الكبرى: «فأذن رسول الله ﷺ للمسلمين بالهجرة إلى المدينة، فبادر الناسُ إلى ذلك، فكان أول من خرج إلى المدينة أبو سلمة بن عبد الأسد، وامرأته أم سلمة، ولكنها احتبست دونه. . .»إلخ. ولم يذكر أن هجرة أبى سلمة كانت قبل بيعة العقبة بسنة[4].

ولكن الشيخ الدكتور **محمد أبو شهبة** يرى أن الإذن كان بُعَيْد بيعة العقبة الأولى، ودفعه إلى ذلك ما ذكره ابن إسحاق من هجرة أبى سلمة، فقال: «والذى ظهر لى بعد البحث والتأمل أن الإذن فى الهجرة كان بُعَيد العقبة الأولى، وأن ذلك كان قبل بيعة العقبة بنحو عام، كما تدل على ذلك قصة هجرة أبى سلمة وزوجه أم سلمة الآتية عند ابن إسحاق، وكما قال موسى بن عقبة فى مغازيه»[5].

---

(١) الطبقات الكبرى ١/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦، ومحمد بن عمر الأسلمى الواقدى شيخ ابن سعد متروك، لا يحتج بما انفرد به فكيف إذا خالف.

وهو هنا قد خالف الرواية الصحيحة السابقة برقم (٤) ففيها أن أمر الرؤيا كان قبل الهجرة بأربعة أشهر، أى قبل بيعة العقبة بشهر أو أكثر.

(٢) هذا حديث إسناده معضل، لم يذكر ابن إسحاق له إسناداً، فهو ضعيف.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ١/٤٦٨، وعنه نقل ذلك الذهبى فى السيرة النبوية صـ٣١١ ـ ٣١٢ وابن كثير فى البداية والنهاية ٣/ ١٦٧، وابن حجر فى فتح البارى ٧/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨، وقال نفس هذا الكلام بنصوصه ابن جرير فى «تاريخ الطبرى» ٢/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩. ونقل ابن حجر فى الفتح ٧/ ٢٦١ نحو ذلك عن موسى بن عقبة.

وقوله «أرسالاً» يعنى: يتبع بعضهم بعضاً. (مجمل اللغة ١/ ٣٧٦).

(٤) زاد المعاد ٣/ ٤٩ وانظر أيضا: حدائق الأنوار لابن الديبع ١/ ٣٦٠، وعيون الأثر لابن سيد الناس ١/ ٢١٠.

(٥) السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة ١/ ٤٥٩.

ولى على ما سبق أن نقلته عدة ملاحظات:

الأولى: أن ما أخرجه ابن سعد ضعيف السند جداً، إذ هو من رواية الواقدى، وهو متروك عند أهل الحديث، وقد خالف الروايات الصحيحة عن عائشة، ففيه أن رؤيا النبى ﷺ لأرض الهجرة كان بعد بيعة العقبة الكبرى، وفى الرواية الصحيحة رقم (٤) أن الرؤيا كانت قبل ذلك، إذ فيه أن أبا بكر تجهز للهجرة قِبلَ المدينة بعد أن سمع من النبىِّ ﷺ خبر الرؤيا، فلما استمهله النبى ﷺ وحبس نفسه ليصحبه ﷺ علف راحلتين كانتا عنده أربعة أشهر وقد سبق بيان أنه كان بين بيعة العقبة والهجرة النبوية قريباً من ثلاثة أشهر، فالرؤيا إذاً كانت قبل البيعة بأكثر من شهر، وليس بعدها كما فى رواية الواقدى.

الثانية: أن ما ذكره ابن إسحاق ـ ومثله الطبرى ـ لم يذكر له إسناداً فهو معضل لا تقوم به الحجة.

الثالثة: ليس فى قصة هجرة أبى سلمة وزوجه أم سلمة الآتية بعد برقم (١١٢) ما استند إليه الدكتور أبو شهبة من أن تلك الهجرة كانت قبل بيعة العقبة الكبرى بسنة، ولم أجد مستنداً لما ذكره ابن إسحاق فى ذلك.

الرابعة: فى قصة هجرة أبى سلمة الآتية برقم (١١٢) بإسناد حسن ما يشعر بأن أبا سلمة لم تكن هجرته قبل سنة من العقبة الكبرى، ذلك أن أم سلمة قد مكثت بعده سنة أو قريبًا منها، ثم هاجرت، أى أنها هاجرت ـ على ذلك ـ بعد بيعة العقبة الكبرى بقليل، وتلك كانت فترة الذروة فى هجرة أصحاب رسول الله ﷺ، وفيهم من هاجر مع أسرته، وفيهم من هاجروا فى مجموعات، فيبعد أن تخرج أم سلمة ـ والحال كذلك ـ وحدها، ثم تتبلغ بمشرك طول الطريق، ولا تخرج مع المسلمين، ولا يلقاها مسلم بالطريق، ولا يأمر النبى ﷺ ـ وقد كان إذ ذاك لا يزال بمكة ـ أحداً من الصحابة بصحبتها مع ابنها، والله أعلم.

والذى أراه بعد كل ذلك أن ثمة فرقاً بين الإذن والأمر، فالإذن ليس فيه إلا مجرد الإباحة دون إلزام، أما الأمر ففيه إلزام وفريضة.

وعلى ذلك فإن الإذن بالهجرة كان سابقاً منذ أذن لهم النبى ﷺ بالهجرة إلى الحبشة، إلى أن كثر الأنصار بالمدينة بعد بيعة العقبة الأولى، وصاروا بحيث يمكن اللجوء إليهم، فأُرِى النبى ﷺ فى منامه أن المدينة هى دار الهجرة، وكان هذا وحيًا من الله تعالى وذلك قبيل بيعة العقبة الكبرى بشهرٍ تقريباً، فأخبر النبى ﷺ أصحابه بذلك،

وبدأت عملية الهجرة منذ ذلك الوقت. قال ابن حجر: «قوله» أربعة أشهر» (يعنى فى الحديث رقم ٤) فيه بيان المدة التى كانت بين ابتداء هجرة الصحابة بين العقبة الأولى والثانية، وبين هجرته ﷺ، وقد تقدم فى أول الباب أن بين العقبة الثانية وبين هجرته ﷺ شهرين وبعض شهر على التحرير»[(١)].

قلت: ولعل هجرة أبى سلمة كانت فى هذا الوقت، فإنه كان أول بيت هاجر إلى المدينة.

٣٨ ـ فعن أم سلمة رضى الله عنها فى القول عند المصيبة، قالت:

«فلما مات أبو سلمة قلت: أى المسلمين خيرٌ من أبى سلمة؟ أول بيتٍ هاجر إلى رسول الله ﷺ»... الحديث[(٢)].

فإن صحّ ما قاله موسى بن عقبة وابن إسحاق والطبرى من أن أبا سلمة هاجر قبل العقبة بسنة، فيحمل على أن أبا سلمة خرج، لا لقصد الإقامة بالمدينة، بل فراراً من المشركين[(٣)]، إذ لم يكن الأمر بالهجرة قد صدر بعد.

وقد هاجر فى هذه الفترة بين البيعتين جماعة من الصحابة[(٤)].

ولعل ممن هاجر فى هذه الفترة مصعب بن عمير، الذى كان قد رجع قبل ذلك ليبشر النبى ﷺ بما فتح الله له ولدعوته من قلوب الأنصار، ثم عاد مهاجراً بعدما سمع برؤيا النبى ﷺ، وبشر الأنصار بهجرة إخوانهم المهاجرين إليهم.

٣٩ـ فعن البراء بن عازبٍ رضى الله عنهما قال:

«كان أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير أخو بنى عبد الدار بن قصى، فقلنا له: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فقال: هو مكانه، وأصحابه على أثرى، ثم أتى بعده عمرو بن أم مكتوم الأعمى، أخو بنى فهر، فقلنا له: ما فعل من وراءك رسولُ الله ﷺ وأصحابُه؟ قال: هم على الأثر، ثم أتى بعده عمار بن ياسر، وسعد ابن أبى وقاص، وعبد الله بن مسعود، وبلالٌ، ثم أتانا عمر بن الخطاب فى عشرين راكباً،

(١) فتح البارى ٧/ ٢٣٥.
(٢) أخرجه مسلم فى كتاب: الجنائز، باب: ما يقال عند المصيبة ٢/ ٦٣٢ (٩١٨/ ٣).
(٣) انظر: فتح البارى ٧/ ٢٦١.
(٤) فتح البارى ٧/ ٢٢٧.

ثم أتانا بعدهم رسول الله ﷺ وأبو بكر معه. .» الحديث(١).

فلما بايع الأنصار بيعة الحرب فى العقبة الثانية صدر الأمر الشرعى بالهجرة لجميع المسلمين، بحيث لم يبق الحكم على الإذن والإباحة، بل صار أمراً واجباً مفروضاً، ليتحول المسلمون جميعا إلى أرض الدولة الجديدة، ليتحقق بهم الغرض الذى سبق بيانه فى الفصل السابق.

هذا ما بدا لى بعد التأمل فى الروايات والموازنة بينها، وبه يندفع الإشكال الذى تثيره الروايات الصحيحة التى اختلفت فى تحديد أول من هاجر، والله أعلم.

---

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: مناقب الأنصار، باب: مقدم النبى ﷺ وأصحابه المدينة ٧/ ٢٦٠(٣٩٢٥)، وفى كتاب: التفسير، سورة الأعلى ٨/ ٦٩٩ـ ٧٠٠ (٤٩٤١)، وأحمد ٤/ ٢٨٤، ٢٩١، وابن سعد فى الطبقات ١/ ٢٣٤، والبيهقى فى الدلائل ٢/ ٥٠٥. وعزاه الهيثمى فى المجمع ٦/ ٦٠ إلى الطبرانى ـ مختصراً ـ وقال: «رجاله رجال الصحيح». وهو فى الأصل جزء من حديث البراء السابق برقم (٦).

الفصل الرابع
التخطيط النبوى لنجاح الهجرة المباركة

مما لا ريب فيه أن أىَّ عملٍ ـ صغيراً كان أو كبيراً ـ لا يمكن أن يُكتب له النجاح ما لم يكن عملاً منظَّماً، وما لم يكن هناك تخطيط وتنظيم للعمل، وتحديد لمسئوليات القائمين به، وتوظيف جيدٌ لطاقاتهم فى المجال المناسب، فستحل الفوضى والعفوية، مما يؤدى إلى الضعف والفشل.

والإسلام الحنيف يقوم منهجه فى الحياة على قواعد تنظيمية دقيقة فى كل المجالات والميادين.

وقد كان رسول الله ﷺ قدوة المسلمين العظمى فى الاهتمام بالنظام والتخطيط. وحادثة الهجرة هى إحدى الحوادث التى ظهرت فيها روعة ودقة التخطيط النبوى المبارك.

غير أنه لابد من التأكيد أولاً على أن هذه العبقرية النبوية ما كانت لتوجد أصلاً، وما كان ليحصل بسببها النجاح؛ لولا توفيق الله وتسديد الوحى.

وهذا هو حجر الزاوية فى انطلاق العاملين للإسلام، فإن عليهم أن يكتسبوا أسباب النجاح ما وسعهم الاكتساب، ثم يتركوا النتائج لله، فى ثقةٍ ويقينٍ من نصره للمؤمنين.

وقد كان هذا التخطيط النبوى للهجرة على ثلاثة محاور، وهى:

١ـ اختيار الأرض والأنصار.

٢ـ التخطيط لنجاح بيعة العقبة الكبرى.

٣ـ التخطيط لنجاح هجرته الكريمة.

وسوف أتناولها فيما يلى:

أولاً: اختيار الأرض والأنصار:

كان اختيار المدينة المنوّرة مُهَاجَراً لرسول الله ﷺ بوحيٍ من الله تعالى لنبيه ﷺ كما فى حديث عائشة رقم(٤).

٤٠ـ وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال:

«رأيتُ فى المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرضٍ بها نخلٌ، فذهب وهلى[1] إلى أنها اليمامة أو هجر[2]، فإذا هى المدينة يثرب»[3].

وكأنه ﷺ أُرى دار الهجرة أولاً بصفةٍ تجمع المدينة وغيرها، ثم أُرِى الصفة المختصة بالمدينة، فتعيَّنت[4].

وكان من توفيق الله تعالى وعنايته بهذه الرسالة أن استجاب لها الأوس والخزرج.

وكان هذا التعيين لأرض الهجرة ولأنصار الدعوة موفقاً غاية التوفيق لما يلى:

١ـ قرب يثرب نسبياً من مكة.

٢ـ وقوعها على طريق تجارة مكة إلى الشام، مما يجعلها مصدر تهديد لمكة، التى تعتبر الرحلة إلى الشام بالنسبة لأهله إحدى رحلتى التجارة، التى تمثل معظَم الاقتصاد المكى.

٣ـ أن أهلها من الأوس والخزرج كانوا عرباً سئموا عبادة الأصنام، وشغلتهم عنها الحروب والخصومات المتكاثرة التى نشبت بينهم، والتى كان آخرها حرب يوم بعاث[5].

---

(١) **وَهَلى** ـ بفتح الواو والهاء ـ: أى ظنى، يقال: وَهَل ـ بالفتح ـ يَهل ـ بالكسر ـ وهْلاً ـ بالسكون ـ: إذا ظن شيئاً، فتبين الأمر بخلافه. (فتح البارى ٧/ ٢٢٨) وقال ابن الأثير: «إذا ذهب وهمه إليه» (النهاية ٥/ ٢٣٣).

(٢) **هَجَر** ـ بفتح الهاء والجيم ـ: بلد معروف من البحرين، وهى من مساكن عبد القيس (فتح البارى ٧/ ٢٢٨).

قلت: والبحرين ليست هى دولة البحرين المعروفة الآن، وإنما كان «البحرين» اسماً لسواحل نجد بين قطر والكويت، وكانت هَجَر قصبته، وهى الهفوف اليوم، وقد تسمى «الحسا»، ثم أطلق على هذا الإقليم اسم «الأحساء» حتى نهاية العهد العثمانى، وانتقل اسم «البحرين» إلى جزيرة كبيرة تواجه هذا الساحل من الشرق، هذه الجزيرة كانت تسمى «أوَال»، وهى إمارة البحرين اليوم. وعندما تكونت المملكة العربية السعودية أطلق على هذا الإقليم اسم «المنطقة الشرقية» وجعلت مدينة الدمام قاعدتها، ويرتبط هذا الإقليم بدولة البحرين اليوم بجسر على البحر، وبالرياض بسكة حديد وطريق مزفتة. (معجم المعالم الجغرافية فى السيرة ص ٤٠ـ ٤١).

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب المناقب، باب: علامات النبوة ٦/ ٦٢٧(٣٦٢٢) وانظر أرقام (٣٩٨٧، ٤٠٨١، ٧٠٣٥، ٧٠٤١)، وعلقه فى كتاب: مناقب الأنصار، باب: هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة ٧/ ٢٢٦ فى ترجمة الباب، وأخرجه مسلم فى كتاب: الرؤيا باب: رؤيا النبى ﷺ ٤/ ١٧٧٩ـ ١٧٨٠ (٢٢٧٢/ ٢٠)، وابن ماجة فى كتاب: تعبير الرؤيا، باب تعبير الرؤيا ٢/ ١٢٩٢ (٣٩٢١)، والدارمى ٢/ ١٢٩، وابن حبان ١٤/ ١٧٥ـ ١٧٦ (٦٢٧٥ـ ٦٢٧٦).

(٤) قاله ابن التين. نقله ابن حجر فى الفتح ٧/ ٢٣٤.

(٥) **بعاث** ـ بضم الموحدة وتخفيف المهملة ـ: مكان، ويقال: حصن، ويقال: مزرعة، عند بنى قريظة على ميلين من المدينة(فى الشمال الشرقى من المدينة فى الطرف الغربى الشمالى من نخل العوالى اليوم)، =

٤١ـ فعن عائشة رضى الله عنها قالت:

«كان يوم بُعَاث يوماً قدّمه اللهُ لرسوله ﷺ، فقدم رسول الله ﷺ وقد افترق ملؤهم، وقُتلت سَرَوَاتهم[(١)]، فقدّمه الله لرسوله ﷺ فى دخولهم فى الإسلام»[(٢)].

ولذلك لما سمع وفد الأنصار الدعوة حين عرضها عليهم النبى ﷺ رجوا أن تكون سبباً فى جمع الشمل، وذهاب الشر والعداوة من بين قومهم، وأن يكونوا سببا فى إعزاز الدين.

ففى الحديث السابق برقم(٢٦) أنهم قالوا: «إنا تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمِّعهم الله بك، فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، وتَعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجلَ أعزّ منك».

٤ ـ أنه قد شاع بين أهلها ذكر النبى ﷺ عن طريق اليهود الذين جاوروهم فيها، والذين كانوا يهددون العرب به، إذا حصلت بينهم الحروب والمناوشات.

ففى الحديث السابق رقم(٢٥): «وكان مما صنع الله بهم فى الإسلام أن يهود كانوا معهم فى بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك وأصحابَ أوثان، وكانوا قد غزوهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شىء قالوا لهم: إن نبيّاً مبعوثٌ الآن، قد أظل زمانه، نتبعه، فنقتلكم معه قتل عادٍ وإرم».

وهذا مما دفع ذلك الوفد الخزرجى الأول إلى القبول بالدعوة، والإسراع بالسبق إليها، ففى الحديث: «فلما كلّم رسول الله ﷺ أولئك النفر، ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض: يا قوم، تعلَّموا، والله إنه للنبىُّ الذى توعَّدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه».

٥ ـ أن أهلها لم يشترطوا على النبى ﷺ ما اشترط غيرهم، فهم لم يشترطوا عليه

= وانظر: معجم المعالم الجغرافية فى السيرة ص٤٧) كانت به وقعة بين الأوس والخزرج، فقتل فيها كثير منهم، وكان رئيس الأوس فيه «حضير» والد أسيد بن حضير، وكان يقال له «حضير الكتائب» وبه قتل، وكان رئيس الخزرج يومئذ عمرو بن النعمان البياضى، فقتل فيها أيضا. وكان النصر فيها أولاً للخزرج، ثم ثبّتهم حضير، فرجعوا، وانتصرت الأوس، وجرح حضير يومئذ فمات فيها. وذلك قبل الهجرة بخمس سنين، وقيل بأربع، وقيل بأكثر، والأول أصح. (فتح البارى ٧/ ١١١).

(١) سَرواتهم: بفتح المهملة والراء والواو: أى خيارهم، جمع سَرَاة ـ بفتح السين المهملة والراء ـ جمع سَرِى، وهو الشريف. (فتح البارى٧/ ١١١).

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: مناقب الأنصار، باب: مناقب الأنصار ٧/ ١١٠ (٣٣٧٧)، وباب: القسامة فى الجاهلية ٧/ ١٥٦ (٣٨٤٦)، وباب: مقدم النبى ﷺ وأصحابه المدينة ٧/ ٢٦٤ (٣٩٣٠)، والبيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٢١.

أن يكون لهم الأمر من بعده، كما اشترط بنو عامر بن صعصعة[1]. ولم يفعلوا كما فعل بنو شيبان، الذين اشترطوا نصرته مما يلى العرب دون الفرس[2]، وإنما بايعوا بيعة مطلقة على السمع والطاعة والنصرة، بلا شرط ولا قيد، على أن لهم الجنة.

٦ـ أن أهلها من الأوس والخزرج كانوا أهل نجدة وعُدّة ونخوة وفروسية وقوة، أَلِفُوا الحرية، ولم يخضعوا لأحد، ولم يدفعوا قط إلى قبيلة أو حكومة إتاوة أو جباية[3].

قال ابن عبد ربه فى العقد الفريد: «ومن الأزد: الأنصار، وهم الأوس والخزرج، وهما ابنا حارثة بن عمرو بن عامر، وهم أعزّ الناس نفساً، وأشرفهم همماً، ولم يؤدوا إتاوةً قط إلى أحد من الملوك»[4].

وهذا ما صَرَّح سعد بن معاذ يوم الخندق، حين استشاره وسعدَ بنَ عبادة النبىُّ ﷺ فى أمر الصلح الذى كتبه بينه وبين قائدى غطفان، على أن يعطيهما ثلث ثمار المدينة ويرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه.

٤٢ـ فقد قال ابن إسحاق: حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أتهم عن **الزهرى**.. فذكر القصة، قال:

« فلما أراد (يعنى النبىَّ ﷺ) أن يفعل ذلك بعث إلى السعدين (ابن معاذ، وابن عبادة) فذكر لهما ذلك، واستشارهما فيه، فقالا: يا رسول الله، أمراً تحبه فنصنعه، أم شيئاً أمرك الله به، لابد لنا من العمل به، أم شيئاً تصنعه لنا؟ فقال: «**بل شىءٌ أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأنى رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما**». فقالَ له سعْد بن معاذ: يا رسول الله، قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله، ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرةً واحدةً إلا قِرَىً أو بيعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا له، وأعزّنا بك نعطيهم أموالنا؟ ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف، حتى يحكم الله بيننا وبينهم. فقال النبى ﷺ: «**أنت وذاك**». فتناول سعد ابن معاذ الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال: ليجهدوا علينا»[5].

---

(١) أخرج ذلك ابن إسحاق عن الزهرى (السيرة النبوية ١/ ٤٢٥).

(٢) سبق ذلك فى حديث على برقم (٢١).

(٣) انظر: مجتمع المدينة المنورة فى عهد الرسول ﷺ للدكتور محمد لقمان الأعظمى ص٤٠.

(٤) العقد الفريد ٣/ ٣٣٤ طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة (نقلا عن المصدر السابق).

(٥) السيرة النبوية ٢/ ٢٢٣ وهذا إسناد مرسل، وهو صحيح إلى الزهرى رحمه الله، وعن ابن إسحاق أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/ ٤٣٠ـ ٤٣١. =

ثانيا: التخطيط لنجاح بيعة العقبة الكبرى:

تمت بيعة العقبة الكبرى فى ظروف غاية فى الصعوبة، وكانت تمثل تحدِّياً خطيراً وجريئاً لقوى الشرك فى ذلك الوقت، ولذلك كان التخطيط النبوى لنجاحها فى غاية الإحكام والدقة، على النحو التالى[1]:

١ـ سرية الحركة والانتقال لجماعة المبايعين؛ حتى لا ينكشف الأمر، فقد كان وفد المبايعة المسلم سبعين رجلاً وامرأتين، من بين وفد يثربى قوامه نحو خمسمائة[2] مما يجعل حركة هؤلاء السبعين صعبة، وانتقالهم أمراً غير ميسور.

وقد تحدد موعد اللقاء فى ثانى أيام التشريق بعد ثلث الليل، حيث النوم قد ضرب أعين القوم، وحيث قد هدأت الرِّجْل، كما تم تحديد المكان فى الشِّعب الأيمن، بعيداً عن عين مَنْ قد يستيقظ من النوم لحاجة[3].

٢ـ الخروج المنظّم لجماعة المبايعين إلى موعد ومكان الاجتماع، فخرجوا يتسللون مستَخْفين، رجلاً رجلاً، أو رجلين رجلين.

٤٣ـ ففى حديث **جابر بن عبد الله** رضى الله عنهما، قال:

«فرحلنا حتى قدمنا عليه فى الموسم، فواعَدَنا شِعْب العقبة، فاجتمعنا فيه من رجلٍ ومن رجلين، حتى توافينا عنده...»[4].

ومع أن النبى ﷺ قد أمرهم أن لا ينبِّهوا نائماً ولا ينتظروا غائبا[5]، فإنه لم يتخلف منهم أحد، رجلاً كان أو امرأة، مما يدل على تمام تيقظهم واهتمامهم بالأمر.

٣ـ ضرب السرية التامة على موعد ومكان الاجتماع، بحيث لم يعلم به سوى

= وروى نحوه عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن سعيد بن المسيب، فى المصنف ٥/ ٣٦٧ـ ٣٦٨ (٩٧٣٧).

كما روى قريبا منه ابن أبى شيبة فى المصنف فى كتاب المغازى ـ غزوة الخندق ١٤/ ٤٢٠ (١٨٦٦٣) عن عبد الله بن إدريس عن أبى معشر.

(١) راجع حديث كعب بن مالك السابق برقم (٢٨).

(٢) الطبقات الكبرى ١/ ٢٢١. وعزاه الصالحى للحاكم ضمن حديث كعب بن مالك (سبل الهدى والرشاد ٣/ ٢٧٨).

(٣) انظر: الطبقات الكبرى ١/ ٢٢١.

(٤) جزء من حديث جابر السابق برقم (٢٥). وفى الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ٢٢١: «فخرج القوم بعد هدأة يتسللون، الرجل والرجلان، وقد سبقهم رسول الله ﷺ إلى ذلك الموضع، معه العباس بن عبد المطلب، ليس معه أحد غيره».

(٥) الطبقات الكبرى ١/ ٢٢١.

العباس بن عبد المطلب الذى جاء مع النبى ﷺ ليتوثق له، ولأنه كان أعرف بوجوه أهل يثرب، وجماعة المبايعين من الأوس والخزرج[1]، أما من عداهم من المسلمين وغيرهم فلم يكن يعلم عن الأمر شيئا.

وقد أُمر جماعة المبايعين أن لا يرفعوا الصوت وأن لا يطيلوا الكلام؛ حذراً من وجود عين يسمع صوتهم، أو يحس بحركتهم.

٤٤ـ فعن الشعبى عامر بن شراحيل رحمه الله قال:

«انطلق النبى ﷺ مع عمه العباس إلى السبعين من الأنصار عند العقبة، تحت الشجرة، قال: **«ليتكلّمْ متكلمُكم، ولا يُطِلْ؛ فإن عليكم من المشركين عيناً، وإن يعلموا بكم يفضحوكم..»** الحديث[2].

٤ـ وضوح بنود البيعة وتفصيلها، على النحو الوارد فى حديث جابر بن عبد الله السابق برقم (٢٥) ففيه: «.. فقلنا: يا رسول الله، نبايعك. قال: «تبايعونى على:

أ ـ السمع والطاعة فى النشاط والكسل.

ب ـ والنفقة فى العسر واليسر.

جـ ـ وعلى الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر.

د ـ وأن تقولوا فى الله لاتخافون لومة لائم.

هـ ـ وأن تنصرونى، فتمنعونى إذا قدمتُ عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم.

و ـ ولكم الجنة».

---

(١) ويقال: إن أبا بكر وعلياً حضرا البيعة، وكانت مهمتهما حراسة الشعب، حتى لا يفجأهم أحد، فأوقف العباس علياً على فم الشعب عيناً له، وأوقف أبا بكر على فم الطريق الآخر عيناً له. ذكر ذلك المقريزى فى «إمتاع الأسماع» ١/ ٣٥ط قطر، بتصحيح محمود شاكر.

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ١١٩ـ ١٢٠ مرسلاً هكذا، ثم أسنده بعده عن الشعبى عن أبى مسعود عقبة بن عمرو الأنصارى، وقال: «بنحوه» ولم يذكر متنا قال: وكان أبو مسعود أصغرهم سنا كما أخرج البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٥٠ـ ٤٥١ المرسل، ثم ساق المسند من طريق أحمد بن حنبل.
ونقلها الذهبى فى تاريخ الإسلام ١/ ٢٩٩، وابن كثير فى السيرة ٢/ ٢٠٢ـ ٢٠٣. قال الهيثمى فى المجمع ٦/ ٤٨: «رواه أحمد هكذا مرسلاً، ورجاله رجال الصحيح، وذكر بعده سنداً إلى الشعبى عن أبى مسعود عقبة بن عمرو الأنصارى وقال: بنحوه. وفيه مجالد، وفيه ضعف، وحديثه حسن إن شاء الله».
وعند ابن سعد فى الطبقات ١/ ٢٢٢ أن العباس بن عبد المطلب ـ حين لغطوا ـ قال، وهو آخذ بيد رسول الله ﷺ: «أخفوا جَرْسكم، فإن عليكم عيونا...» الحديث.

قال جابر: فقمنا إليه، فبايعناه».

وهذه هى نفس النصوص والبنود التى ذكرها عبادة بن الصامت، أحد المبايعين.

٤٥ـ فعن عبيد بن رفاعة، قال:

قدمت روايا خمر، فأتاها عبادة بن الصامت رضى الله عنه، فخرّقها، وقال: «إنّا بايعنا رسول الله ﷺ على: أـ السمع والطاعة فى النشاط والكسل، ب ـ والنفقة فى العسر واليسر، جـ ـ وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، د ـ وعلى أن نقول فى الله، لا تأخذنا فيه لومةُ لائم، هـ ـ وعلى أن ننصر رسول الله ﷺ إذا قدم علينا يثرب مما نمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأبناءنا، وـ ولنا الجنة.

فهذه بيعة رسول الله ﷺ، بايعناه عليها»[١].

٥ـ توكيد خطورة البيعة وبيان تبعاتها؛ تقويةً للهمم، واستنهاضاً للعزائم، ففى حديث جابر السابق أنهم لما قاموا يبايعونه ﷺ قام أسعد ابن زرارة، فقال: «رويداً يا أهل يثرب، إنا لم نضرب إليه أكباد المَطِىِّ إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وإن إخراجه اليوم مفارقة للعرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم قوم تصبرون على عضِّ السيوف إذا مسَّتْكم، وعلى قتل خياركم، وعلى مفارقة العرب كافة، فخذوه وأجركم على الله. وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه، فهو أعذر لكم عند الله. فقلنا: أمطْ يدك يا أسعد، فو الله لا نذر هذه البيعة، ولا نستقيلها[٢]. فقمنا إليه، نبايعه رجلاً رجَلاً، يأخذ علينا شرطه، ويعطينا على ذلك الجنة.

كما قام أبو الهيثم بن التَّيِّهان يسأل عما سيحدث، إذا قطعوا حبالهم مع القوم، ثم نصر الله نبيه ﷺ؟ فأجابه النبى ﷺ «بل الدم الدم، والهدم الهدم. . .» الحديث[٣].

وكذلك قام العباس بن نضلة رضى الله عنه، يستنهض الهمم، ويشد العقد فى الأعناق.

٤٦ـ فعن ابن إسحاق قال: «**وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة**، أن القوم لما اجتمعوا

---

(١) أخرجه البيهقى فى الدلائل٢/ ٤٥١ـ ٤٥٢، وقال ابن كثير: «وهذا إسناد جيد قوى، ولم يخرجوه» (السيرة النبوية لابن كثير٢/ ٢٠٣)، وانظر حديث عبادة السابق برقم (٢٩).

ولم يذكر كعب بن مالك فى حديثه السابق برقم (٢٨) سوى بند النصرة والمنعة؛ باعتباره أهم بنود تلك البيعة، وأمسّها بأمر الهجرة، والله أعلم.

(٢) أى لا نتركها تخلياً عنها، ولا نطلب من النبى أن يقيلنا منها ويحلّنا من شروطها.

(٣) جزء من حديث كعب بن مالك السابق برقم (٢٨).

لبيعة رسول الله ﷺ قال العباس بن عبادة بن نضلة الأنصارى، أخو بنى سالم بن عوف: يا معشر الخزرج، هل تدرون عَلاَمَ تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم. قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نُهكت أموالُكم مصيبةً، وأشرافُكم قتلاً؛ أسلمتموه، فمن الآن، فهو - والله إن فعلتم - خزىُ الدنيا والآخرة. وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نَهْكة[1] الأموال، وقتل الأشراف، فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة. قالوا: فإنا نأخذه على مصيبة الأموال، وقتل الأشراف، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفّينا بذلك؟ قال: **«الجنة»**. قالوا: ابسُط يدك. فبسط يده، فبايعوه.

وأما عاصم بن عمر بن قتادة، فقال: والله ما قال ذلك العباس إلا ليشد العقد لرسول الله ﷺ فى أعناقهم.

وأما عبد الله بن أبى بكر فقال: ما قال ذلك العباسُ إلا ليؤخِّر القوم تلك الليلة، رجاءَ أن يحضرها عبد الله بن أبىّ ابن سَلول، فيكون ذلك أقوى لأمر القوم. فالله أعلم أى ذلك كان»[2].

وأرى والله أعلم أن استنباط عاصم أدق وأحكم، وأقرب إلى طبيعة الأسلوب والحوار المذكور.

٦- توثيق وتحدد المسئولية، باختيار نقباء يكونون كفلاء على قومهم، ويتحمَّلون مسئولية الوفاء بشروط البيعة، ففى حديث كعب السابق برقم(٢٩): «**أخرجوا إلىّ منكم اثنى عشر نقيباً**[3]**، يكونون على قومهم**». فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيباً، منهم تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس.

وحدّد لهؤلاء النقباء مهمتهم ومسئوليتهم بوضوح:

---

(١) **النَّهْكَة**: مصدر نَهَك، وهى تعنى المبالغة فيما يصيب الأموال من كثرة الإنفاق، أو من العدوان عليها. ومنه «نُهكت الناقة حلبًا: إذا لم تبق فى ضرعها لبناً» (النهاية ٥/ ١٣٧).

(٢) السيرة النبوية ١/ ٤٤٦، وهذا مرسل حسن الإسناد، والمعلوم أن عاصمًا قد أخذ السيرة عن شيوخ من الأنصار، منهم من حضر تلك البيعة، والله أعلم. وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٥٠ من طريق ابن إسحاق عن عاصم بن عمر وعبد الله بن أبى بكر بن حزم، فالمرسل - إذاً - صحيح الإسناد.

(٣) **النقيب**: كالعريف على القوم المقدم عليهم، الذى يتعرف أخبارهم وينقب عن أحوالهم، أى يفتش، وكان النبى ﷺ قد جعل ليلة العقبة كل واحدٍ من الجماعة الذين بايعوه نقيباً على قومه وجماعته، ليأخذوا عليهم الإسلام، ويعرفوهم شرائطه. (النهاية ٤/ ١٦٧- ١٦٨) وقال الصالحى: «سمو بذلك لضمانهم إسلام قومهم» (سبل الهدى والرشاد ٣/ ٢٨٩).

٤٧ـ فعن ابن إسحق قال: «**فحدثنى عبد الله بن أبى بكر**؛ أن رسول الله ﷺ قال للنقباء: «**أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء، ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومى؟**» يعنى المسلمين. قالوا: نعم»[١].

والمقصود بقومه المسلمين المذكورين: مسلمو مكة المهاجرون إلى المدينة المنوّرة، والذين يشكّلون مع الأنصار المجتمع الجديد المجيد.

٧ـ **متابعة الإخفاء والسرية،** حين كشف الشيطان أمر البيعة، فأمرهم النبى ﷺ أن يرجعوا إلى رحالهم ولا يحدثوا شيئا، رافضًا الاستعجال فى المواجهة المسلحة التى لم تتهيأ لها الظروف بعد، وعندما جاءت قريش تستبرىء الخبر موّه المسلمون عليهم بالسكوت، أو بالمشاركة بالكلام الذى يشغل عن الموضوع.

٤٨ـ **فعن كعب بن مالك** رضى الله عنه قال:

«.. فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعتُه قط: يا أهل الجباجب[٢] ـ والجباجب: المنازل ـ هل لكم فى مُذَمَّم والصباة[٣] معه، قد اجتمعوا على حربكم؟ **قال**: فقال رسول لله ﷺ: «**هذا أَزَبُّ**[٤] **العقبة، هذا ابن أَزْيَب ـ قال ابن هشام: ويقال: ابنِ أُزَيب ـ أتسمع أى عدوَّ الله، أما والله لأفرَغَنّ لك**». **قال**: ثم قال رسول الله ﷺ: «**ارفَضُوا**[٥] **إلى رحالكم**».

---

(١) السيرة النبوية ١/ ٤٤٦، وهذا مرسل صحيح الإسناد. وانظر: الطبقات الكبرى ١/ ٢٢٣.

(٢) **الجَباجب**: بجيمين الأولى مفتوحة، والثانية مكسورة، وبعد كل جيم موحدة: فسرها ابن إسحاق فى النص بالمنازل، وقال الفيروز آبادى فى القاموس ١/ ٤٥: «جبال مكة حرسها الله تعالى، أو أسواقها، أو منحر بمنىً كان يلقى به الكروش» وقال ابن الأثير فى النهاية ١/ ٢٣٤ـ ٢٣٥: «أسماء منازل بمنى، سميت به لأن كروش الأضاحى تلقى فيها أيام الحج، والجبجبة: الكَرِش يجعل فيها اللّحم يتزود فى الأسفار».
والجباجب عند عرب اليوم: هى الجبال الحجرية االظاهر الطِينية الداخل، إذا حفر فيها وجدت هشة. (معجم المعالم الجغرفية فى السيرة النبوية ص٧٩).
وقال السهيلى: «يعنى منازل منى، وأصله: أن الأوعية من الأدم كالزنبيل ونحوه تسمى: جبجبة، فجعل الخيامِ والمنازل لأهلها كالأوعية» (الروض الأنف٢/ ٢٠٣).

(٣) **المذمّم**: المذموم جداً، وأرادت قريش عكس اسم النبى ﷺ، فكانوا يقولون عوض «محمد»: «مذمم» بوزنه وعكس معناه، وكذبوا، بل محمد من كثرة خصاله المحمودة، وكذلك كان النبى ﷺ، وهو اسم صادق علىٍ مسماه.
والصُّباة ـ ويقال: الصباء ـ بضم الصاد المهملة والباء المشددة: جمع صابئ وهو الخارج من دين إلى دين. (سبل الهدى والرشاد ٣/ ٢٩١).

(٤) **أزب**: هو اسم الشيطان، وقيل: الأزب: القصير، وقيل: الأزب فى اللغة: كثير الشعر. واختلف فى ضبط همزته بالفتح أو بالكسر، وأزيب، بضم الهمز مصغراً، وضبطه ابن هشام بفتح الهمزة وسكون الزاىٍ وفتح الياء. (انظر: الروض الأنف ٢/ ٢٠٣ـ ٢٠٤، النهاية ١/ ٤٣).

(٥) ارفضُوا: تفرقوا (سبل الهدى والرشاد ٣/ ٢٩١، النهاية ٢/ ٩٢).

قال: فقال له العباس بن نضلة: والذى بعثك بالحق، إن شئتَ لنميلَنّ على أهل منىً غداً بأسيافنا[١]. **قال**: فقال رسول الله ﷺ: «**لم نؤمر بذلك**[٢]، **ولكن ارجعوا إلى رحالكم**». قال: فرجعنا إلى مضاجعنا، فنمنا عليها حتى أصبحنا.

قال: فلما أصبحنا غَدَتْ علينا جِلّةٌ[٣] من قريش، حتى جاءونا فى منازلنا، فقالوا: يا معشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حىٍّ من العرب أبغضُ إلينا أن تنشب الحربُ بيننا وبينهم منكم.

قال: فانبعث مَنْ هنالك من مشركى قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شىءٌ، وما علمناه. **قال**: وقد صدقوا، لم يعلموه.

قال: وبعضنا ينظر إلى بعض. قال: ثم قام القوم، وفيهم الحارث ابن هشام بن المغيرة المخزومى، وعليه نعلان له جديدان. قال: فقلت له كلمة - كأنى أريد أن أُشْرِكَ القومَ بها فيما قالوا -: يا أبا جابر، أمَا تستطيع أن تتخذ - وأنت سيدٌ من ساداتنا - مثل نَعْلَىْ هذا الفتى من قريش؟. قال: فسمعها الحارثُ، فخلعهما من رجليه، ثم رمى بهما إلىّ، وقال: والله لتَنْتَعلنَّهما. قال: يقول أبو جابر: مَهْ، أَحْفَظْتَ[٤] - واللهِ - الفتى، فارْدُدْ إليه نَعْلَيه. قال: قلت: والله لا أردهما، فَأْلٌ - واللهِ - صالحٌ، لئن صدق الفأل لأسلبنّه»[٥].

٤٩- قال ابن إسحق: «**وحدثنى عبد الله بن أبى بكر**، أنهم أتَوْا عبد الله بن أبىّ بن سَلُول، فقالوا له مثل ما قال كعب من القول، فقال لهم: والله إن هذا الأمر جسيم، ما كان قومى ليتفوّتوا[٦] علىّ بمثل هذا، وما علمته كان. قال: فانصرفوا عنه[٧].

---

(١) يعنى أنهم مستعدون لقتال أهل منىً من جميع العرب المشركين، وهذا من علامات صدق البيعة والإيمان.

(٢) يعنى لم يكن الأمر بقتال الكافرين قد نزل، مع أن البيعة كنت بيعة الحرب، وقد استدل الشيخ محمد أبو شهبة بهذه العبارة على وهم ابن إسحاق (١/ ٤٦٨) فى فهمه أن الإذن بالقتال قد كان قبل الهجرة. (انظر: السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة ١/ ٤٥٥).

(٣) الجِلَّة: الكبراء والعظماء، والجليل: العظيم. وجِلّة الأموال: العظام الكبار من الإبل. (انظر: النهاية ١/ ٢٨٨).

(٤) أَحْفَظْتَ: بالحاء المهملة والفاء والظاء المعجمة: أى أغضبت، والحفيظة: الغضب (سبل الهدى والرشاد ٣/ ٢٩١، والنهاية ١/ ٤٠٨).

(٥) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٤٧- ٤٤٨، وهو جزء من حديث كعب بن مالك السابق برقم (٢٨).

(٦) **ليتفوّتوا على**: من الفَوْت، يقال: تفوّت فلان على فلان فى كذا، وافتات عليه: إذا انفرد برأيه دونه فى التصرف، ولما ضُمِّن معنى التغلب عُدِّى بعَلى. (النهاية ٣/ ٢١٧، سبل الهدى والرشاد ٣/ ٢٩١).

(٧) مرسل صحيح الإسناد. (السيرة النبوية١/ ٤٤٨- ٤٤٩) وأخرجه البيهقى من طريق ابن إسحاق فى الدلائل ٢/ ٤٤٩. وذكر نحوه ابن سعد فى الطبقات ١/ ٢٢٣).

وحتى حين انصرف المبايعون، وتأكدت قريش من صحة الخبر، وخرجت فى أثرهم، وأدركت سعد بن عبادة، وأقبل به أهل مكة يضربونه، فإنه لم يتحرك أحد من المسلمين لتخليص سعد[١]، إذ لم تتهيأ الظروف بعد للمواجهة المسلحة.

٨ـ **اختيار الليلة الأخيرة من ليالى الحج**، وهى ليلة الثالث عشر من ذى الحجة، حيث سينفر الحجاج إلى بلادهم ظهر اليوم التالى وهو يوم الثالث عشر، ومن ثم تضيق الفرصة أمام قريش فى اعتراضهم أو تعويقهم، إذا انكشف أمر البيعة، وهو أمر متوقع. وهذا ما حدث، فإن قريشاً لم تكد يتأكد لديها الخبر فى اليوم التالى بعد البحث والتنقيب حتى كان المبايعون قد أخذوا طريقهم إلى بلادهم، ولم تتمكن قريش من اللحاق سوى بسعد بن عبادة والمنذر بن عمرو أخى بنى ساعدة، فأما المنذر فأعجزهم فلم يدركوه، وأما سعد فأخذوه، كما سبق بيانه.

ثالثًا: التخطيط لنجاح هجرته الكريمة ﷺ:

لما هيّأ الله المدينة لتكون مقرّ دولة الإسلام، وهيّأ أبناءها ليكونوا هم الطاقات البشرية المذخورة لحماية هذه الدعوة، أمر النبى ﷺ أصحابه أن يهاجروا إليها، وبقى يشرف على تهجيرهم، منتظراً إذن الحق سبحانه وتعالى له فى الخروج، فخرج الصحابة من مكة مثنى وفرادى، مستخفين، تاركين وراءهم الأموال والديار، ولم تشعر قريش إلا وقد أقفرت طرقاتها وأزقتها ونواديها من المسلمين، وقد اجتهدت فى فتنة مَن قدرت عليه منهم، وأدركتْ أن محمداً ﷺ لابد لاحقٌ بأصحابه وأنصاره، وقدّرت ما سوف يترتب على ذلك من عواقب غير محمودة لهم، فاجتمعت اجتماعها المشئوم فى دار الندوة، فمكروا مكراً، ومكر الله بهم مكراً، فكان مكرهم بوراً، والله خير الماكرين[٢].

ولم يكن ليغيب عن بال النبى ﷺ أن قريشاً ستسعى بكل وسيلة إلى منعه من الهجرة، وإعاقته عن اللحوق بأنصاره، ولذلك كان يخطط لنجاح هذه الهجرة، ولم

---

(١) قصة إدراك سعد بن عبادة وتخليص جبير بن مطعم والحارث بن حرب بن أمية له، إذ كان يجير تجارتهما، أوردها ابن إسحاق. (السيرة النبوية ١/ ٤٤٩ـ ٤٥٠) وعنه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٥٥. كما أوردها ابن سعد فى الطبقات الكبرى ١/ ٢٢٣.
وروى الذهبى فى سير أعلام النبلاء١/ ٢٧٢ـ ٢٧٣عن أبى الطفيل عن سعد القصة، فذكر أن سعداً استجار بالعاص بن وائل، فأجاره ابن عمه عدىّ بن قيس السهمى. . . .

(٢) انظر الأحاديث السابقة (١ : ٣) فى أول الكتاب.

يؤخرٍّ تنفيذه لمخططه ذلك إلا انتظارُه الإذنَ من السماء، فما أن أُذِن له حتى قام بتنفيذ الخطة التى أعدها، والتى كانت فى غاية الدقة والإحكام، فقد وضع لهذه الهجرة برنامجاً يضمن الوصول إلى الهددف بأكبر قدرٍ من الضمانات، على النحو التالى:

١ـ اختيار الرفيق: وقد وقع الاختيار على أول الرجال إسلاماً، وأقربهم إليه مَوَدَّةً، وأشدهم له حبًّا، وألصقهم به، وهو أبو بكر الصديق رضى الله عنه، الذى كان قد تجهز للهجرة، فقال له النبى ﷺ:«**على رِسْلك فإنى أرجو أن يؤذن لى**»فحبس أبو بكر نفسه، وعلف راحلتين كانتا عنده، استعدادًا لِيوم الصحبة فى الرحلة الكريمة[١].

٢ـ اختيار الوقت المناسب لإعلام صاحبه بأمر الهجرة: بحيث يكون وقتاً لا ترقبه فيه العيون، فاختار وقت الظهيرة؛ لأمرين: الأول: ليخالف عادته فى المجىء لأبى بكر، فربما يتم رصده إذا جاء فى ميعاده المعتاد، وهو أحد طرفى النهار، بكرةً أو عشية. الثانى: لأنه وقت القيلولة، ويندر أن ترى أحداً فى مكة فى هذا الوقت خارج بيته، وخصوصاً أن ذلك كان في أحد أشهر الصيف.

كما أنه ﷺ جاء متقنِّعاً حتى لا يُعْرف، كما سبق فى الحديث رقم(٤).

٥٠ـ وعن عائشة رضى الله عنها قالت: «كان لا يخطىء رسولُ الله ﷺ أن يأتى بيت أبى بكر أحد طرفى النهار، إما بكرةً، وإما عشية، حتى إذا كان اليوم الذى أُذِن فيه لرسول الله ﷺ فى الهجرة والخروج من مكة من بين ظهرى قومه، أتانا رسول الله ﷺ فى ساعةٍ كان لا يأتى فيها.

قالت: فلما رآه أبو بكر قال: ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلا لأمرٍ حدث.

قالت: فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره، فجلس رسول الله ﷺ، وليس عند أبى بكرٍ إلا أنا وأختى أسماء بنت أبى بكر، فقال رسول الله ﷺ: «أخرج عنى مَنْ عندك». فقال: يا رسول الله، إنما هما ابنتاى، وما ذاك؟ فداك أبى وأمى! فقال: «إن الله قد أذن لى فى الخروج والهجرة».

قالت: فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله. قال: «الصحبة».

قالت: فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدًا يبكى من الفرح، حتى رأيت أبا بكرٍ يبكى يومئذ، ثم قال: يا نبى الله، إن هاتين راحلتان قد كنت أعددتُهما لهذا.

---

(١) انظر الحديث رقم (٤).

فاستأجرا عبد الله بن أرقط - رجلاً من بنى الدئل بن بكر، وكانت أمه امرأة من بنى سهم بن عمرو، وكان مشركاً - يدلهما على الطريق، فدفعا إليه راحلتيهما، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما»[1].

٣- الاستعانة بالدليل الماهر المأمون، ولو لم يكن على الدين، إذا أُمِن، ولم يُخش منه تسريب الأخبار إلى المشركين [2]. وفي هذا بيان لأهمية تقدير الكفاءات، وضرورة الاستفادة منها، ولو لم تكن مسلمة، طالما أُمِن جانبها، واشتهرت بالوفاء والصدق.

٤ - الكتمان التام لأمر الهجرة: فمع أن هجرته كانت أمراً متوقعاً تسعي قريش إلى إعاقته ومنعه، فإنه ﷺ كان حريصاً كل الحرص على عدم معرفة أحد بموعد الهجرة أو بخطته التى أعدها لنجاح هذ العمل، وهذ سرٌ من أسرار النجاح فى مثل هذه الأعمال. وحتى حينما ذهب يخبر رفيقه أبا بكر بأمر الهجرة وموعدها كان حريصاً على الكتمان، فقال له: «**أخرج عنى من عندك**»، فطمأنه أبو بكر على سرية الموضوع إذ أن الحاضرين السامعتين له هما ابنتا أبى بكر المؤمنتين الأمينتين، وإحداهما هى أهله التى زوجه الله إياها.

قال ابن إسحاق: «ولم يعلم - فيما بلغنى - بخروج رسول الله ﷺ أحدٌ، حين خرج، إلا عليّ بن أبى طالب، وأبو بكر الصديق، وآل أبي بكر. أما عليٌّ فإنّ رسول الله ﷺ - فيما بلغنى - أخبره بخروجه، وأمره أن يتخلف بعده بمكة، حتي يؤدى عن رسول الله ﷺ الودائع التى عنده للناس، وكان رسول الله ﷺ ليس بمكة أحدٌ عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده؛ لما يعلم من صدقه وأمانته ﷺ»[3].

وإذًا فلم يعلم بأمر الهجرة إلا مَنْ كان له دورٌ فيها، ومهمةٌ يقوم بها، على النحو الذى سأوضحه فيما بعد.

٥ - إخفاء عملية الخروج من مكة إلى الغار: فلم يخرج ﷺ من بيته هو إلى

(١) أخرجه ابن إسحاق، قال: حدثنى من لا أتهم، عن عروة بن الزبير، عن عائشة. (السيرة النبوية ١/ ٤٨٤ - ٤٨٥) وهذا المبهم سماه ابن جرير فى روايته من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، قال: حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمى، قال: حدثنى عروة (تاريخ الأمم والملوك ١/ ٣٧٧ - ٣٧٨)، ومحمد بن عبد الرحمن المذكور سكت عنه ابن حاتم، فلم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلا (الجرح والتعديل ٧/ ٣١٧) كما سكت عنه البخارى، وقال: «كان صواماً قواماً» (التاريخ الكبير ١/ ١٥٦ - ١٥٧)، وذكره ابن حبان في الثقات ٧/ ٤١٣، وقال: «كان صواماً قواماً من المتعبدين» وتتقوى هذه الرواية برواية الصحيح السابقة برقم(٤).

(٢) انظر الحديث رقم (٤).

(٣) السيرة النبوية ١/ ٤٨٥، وعنه الطبرى فى: تاريخ الأمم والملوك ١/ ٣٧٨.

الغار، بل تمت عملية الخروج من بيت أبي بكر، من خوخة في ظهر ذلك البيت؛ تحسبًا لاحتمال مراقبة أبى بكر من قبل أحدٍ من المشركين.

قال ابن إسحاق: فلما أجمع رسول الله ﷺ الخروج، أتى أبا بكر بن أبى قُحافة، فخرج من خوخة[1] لأبى بكر في ظهر بيته، ثم عمد إلى غار بثور - جبل بأسفل مكة - فدخلاه»[2].

٦ - **التمويه بمبيت عليٍّ رضى الله عنه فى فراشه ﷺ:** بحيث يظل الرصد الكفار واقفين أمام باب البيت، يرصدون علياً على أنه النبى ﷺ، ريثما يكون هو ﷺ قد غادر مكة. وقد نجح هذا التدبير فى التعمية علي الرصد الواقفين، فبعد أن أخذ الله بأبصارهم، وخرج النبى ﷺ من بينهم، ونثر التراب على رءوسهم[3]، ظلوا واقفين يتطلعون من خلل الباب، يتصورون أن النائم هو نبى الله ﷺ، حتى أصبح الصباح فإذا هو عليٌّ رضى الله عنه، أما النبى ﷺ وصاحبه فكانا قد استقر بهما المقام فى غار ثور، مما أثار ثائرة المشركين، فانطلقوا يبحثون فى كل اتجاه عن الصيد الذى ظنوا أنه قد صار فى قبضتهم، فإذا بهم يجدون أيديهم قد قبضت الهواء.

﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾.

٧ - **التمويه بالاتجاه جنوباً:** إذ أن الاحتمال الذى سيغلب على ظن قريش هو أن رسول الله ﷺ سيتوجه شمالاً إلى المدينة، حيث أصحابه وأنصاره الذين بايعوه وآمنو به، فكان من التمويه عليهم أن يسلك طريقاً معاكسةً لطريق المدينة، فاتجه ناحية الجنوب، حتى وصل إلى جبل ثور فنزل فى الغار الذى فيه.

٨ - **توزيع المهام المناسبة على آل أبى بكر الصديق رضى الله عنهم:** بحيث يكلف كلٌّ منهم بالمهمة المناسبة لطاقاته وقدراته، ويتحمل المسئولية التى يمكنه أداؤها، بلا تكلفٍ لافتٍ للنظر أو مثير للانتباه[4].

أ - أما النساء أسماء وعائشة، فجهزتا الزاد، وصنعتا السفرة للمهاجرين الكريمين.

ب - وأما عبد الله بن أبى بكر فكان شاباً ثقفاً لقناً، قادراً على التقاط الأخبار،

---

(١) الخَوْخة: باب صغيرة كالنافذة الكبيرة. (النهاية ١/ ٨٦).

(٢) السيرة النبوية ١/ ٤٨٥، وعنه الطبرى فى : تاريخ الأمم والملوك ١/ ٣٧٨.

(٣) انظر الحديث رقم (٣).

(٤) انظر الحديث رقم (٤) من أول قول عائشة: «فجهزنا هما أحث الجهاز» إلي قوله: «يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالى الثلاث».

وعلى حسن نقلها، وعلى دراسة الموقف وتحليله، فعُهد إليه بمهمة المخابرات، فكان يقضى نهاره فى أندية مكة، يسمع ما يأتمرون به، وما يتقاولونه فى شأن المهاجرين المباركين، فإذ اختلط الظلام أتى الغار، فأخبرهما خبر ذلك اليوم، حتى يكون التصرف على ضوء الواقع الفعلى؛ لا على مجرد الظن والتخمين، ثم ينصرف من عندهما فى السحر، فيصبح بين أهل مكة كأنه بائت فى مكة.

جـ - وأما عامر بن فُهيرة مولى أبى بكر وراعى غنمه، فكان نهاره يرعى غنمه، فإذا أمسى أراح عليهما، فاحتلبا وذبحا، فإذا غدا عبد الله من عندهما اتبع أثره بالغنم، حتى يُعَفِّى عليه، ليزيل الآثار التى قد تدل على تردد أحد إلى الغار[1].

٩- التمويه بالمكث فى الغار ثلاثة أيام: باعتبار أن الطلب والبحث عنهما سيخف بعد هذه المدة، حين ييأس الطلاب الذين سيأخذون فى كل اتجاه بحثاً عن الصاحبيْن، وعندئذ يأتيهما الدليل بالراحلتين، فيأخذون طريقهم إلى مهاجَرهم. وهذا ما حدث بالضبط، إذ جاءهما رجل المخابرات فى اليوم الثالث بخبر هدوء الرصد وخفة الطلب، وتقديم دية كل واحد منهما لمن يأتى بهما حّيين أو ميتين، بعد أن أعياهم البحث، فخرجا بعد ثلاثٍ دون إبطاء؛ لئلا يكون لافتا للنظر تكرار مرور عبد الله ناحية الغار كل يوم.

١٠ - اتخاذ طريق غير مأهولة ولا مألوفة: وذلك إمعاناً في التخفى والسرية والبعد عن الأنظار والطلب، وسيأتى الحديث عن هذا الطريق والاعتبارات التى روعيت فى سلوكه، فى الفصل السابع من الكتاب.

١١ - استخدام المعاريض فى التمويه على من يلقاهم فى الطريق: فالطريق لا يخلو من لقاء لبعض الركب، وأبو بكر تاجرٌ معروفٌ لكثيرين من رجال القبائل المختلفة، الذين لقيهم فى أسفاره ورحلاته، فكان لابد من إعداد جواب للسؤال المتوقع عمن يصحبه فى سفره، ويرافقه فى رحلته.

٥١ - عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال:

«لما هاجر رسول الله ﷺ إلي المدينة كان رسول الله ﷺ يركب، وأبو بكر ردفه، وأبو بكر يُعرَف فى الطريق؛ لاختلافه إلى الشام، فكان يمر بالقوم فيقولون: من هذا بين

(١) انظر ما قاله ابن إسحاق فى: لسيرة لنبوية ١/ ١٨٥ - ١٨٦، وعنه الطبرى فى: تاريخ الأمم والملوك ١/ ٣٧٨ - ٣٧٩.

يديك؟ فيقول: هادٍ يهدينى السبيل...»[(1)].

وفى الرواية السابقة برقم(8): «فيحسب الحاسب أنه إنما يعنى الطريق، وإنما يعنى سبيل الخير».

12ـ وأخيراً: الثقة التامة بتدخل العناية الإلهية عند استنفاد الأسباب: وهذا درسٌ من أبلغ الدروس وأهمها، فعلى الرغم من كل هذه الأسباب التي اتخذها النبى ﷺ، فإنه لم يرتكن إليها مطلقاً، وإنما كان كامل الثقة فى الله، عظيم الرجاء فى نصره وتأييده، دائم الدعاء بالصيغة التى علمهُ الله إياها **﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾** [الإسراء: 80]

وهذه الثقة واضحة فى خروجه من بيته من بينهم وهو يتلو الآيات الأولى من سورة يس[(2)].

وهى أكثر وضوحاً فى ثبات قلبه ورباطة جأشه وعمق يقينه، حين أحاط المشركون بالغار، وصار منهم رأى عين، فطمأن صاحبه بمعية الله لهما:

52 ـ فعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال:

قلت للنبى ﷺ وأنا فى الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا. فقال: «**ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما؟**»، فى ورواية: «**اسكت يا أبا بكر اثنان الله ثالثهما**»[(3)].

وسجل الحق عزوجل ذلك فى قوله تعالى: **﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ**

---

(1) أخرجه أحمد 3/ 122، 123، وأبو يعلى 6/ 203 ـ 204(3486)، وقال الهيثمى فى المجمع 6/ 60 «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح»، وابن سعد فى الطبقات 1/ 233 ـ 234. وهو جزء من الحديث الطويل السابق برقم(8)..

وفى رواية عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال لأبى بكر مدخله المدينة: «ألهِ الناس عنى، فإنه لا ينبغى لنبى أن يكذب فكان أبو بكر إذا سئل: ما أنت؟ قال: باغ. فإذا قيل: من الذى معك؟ قال: هادٍ يهديني. (أخرجه البيهقى فى الدلائل 2/ 489 ـ 490، وابن سعد فى الطبقات 1/ 234 من غير قول النبى ﷺ لأبى بكر).

(2) انظر الحديث السابق برقم (3).

(3) أخرجه البخاري في كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب المهاجرين وفضلهم منهم أبو بكر 7/ 8 ـ 9(3653)، وفى كتاب: مناقب الأنصار، باب: هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينه 7/ 257 (3922)، وفي كتاب: التفسير، سورة براءة 8/ 325(4663)، ومسلم فى كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبى بكر الصديق 4/ 1854 (2381/ 1)، وأحمد 1/ 4، وابن حبان 14/ 181 ـ 182 (6278)، والبيهقى فى دلائل النبوة 2/ 480 ـ 481.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠]

كذلك فإنه مع الاحتياط وسلوك طريق غير مألوفة ولا معتادة؛ تعمية على الطلب، فإن سراقة قد لحق بهم، وأدرك ركبهم، فقال: أبو بكر: أُتينا يا رسول الله فأجابه النبى ﷺ بثقة تامة: «**لا تحزن إن الله معنا**»، ثم توجه إلى الله بالرجاء والدعاء «**اللهم اكفناه بما شئت**»«**اللهم اصرعه**»، فصرعه الفرس، وحفظ الله نبيه وصاحبه[1].

إن الطاقة البشرية حين تستنفد الأسباب فإن القوة الإلهية باقية شاهدة تنجد الحق وتنصر أصحابه.

أما الفصل بين الأسباب وبين التوكل والثقة والرجاء في الله فهو الهلاك بعينه، وهو الجهل المطبق بحقيقة الطريق.

وإذًا؛ فإن على دعاة الحق وحملة راية الإسلام أن يستفرغوا الوسع، ويحسنوا التدبير، ويحكموا التخطيط، ويتخذوا الأسباب، ويضعوا الضمانات، ويستعدوا لكل الاحتمالات بما فى حدود الطاقة البشرية، ثم ليتركوا الأمر لله فى ثقة ويقين بوعده ونصره، مع الرضاء الكامل بقضائه، والأمل الدائم فى عطائه.

ويرحم الله الشرف البوصيرى الذى يقول فى«البردة»

أقسمت بالقمـــر المنشقِّ إنّ لــــــه ... مِنْ قلبـــه نسبةً مبـــــرورةَ القَسَم

وما حوى الغارُ من خيرٍ ومن كـــرم ... وكلُّ طَرْفٍ [2] من الكفار عنه عَمِى

فالصِّدْقُ فى الغار والصديق لم يَرِما ... وهم يقولون: ما بالغار مـــن أَرِمِ[3]

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت علـــى ... خـــير البـــرية لـم تَنْسِج ولم تَحُمِ

وقايةُ الله أغْنَـــتْ عن مضاعفــــةٍ ... مِن الدُّروع وعن عالٍ من الأُطُم[4]

(١) انظر الأحاديث السابقة رقم (٥، ٦، ٨)

(٢) الطَّرْف: العين.

(٣) **الصدق**: أى ذو الصدق وهو النبى ﷺ، **والصديق**: أبو بكر. و«**لم يرما**»: أى لم يبرحاه، و« **أَرِم**»: أى أحد. ويقال: الأرم والإرم: حجارة أو نحوها تنصب فى المغارة ليهتدى بها.

(٤) **الوقاية**: الحفظ. الدروع المضاعفة: المنسوجة حلقتين حلقتين تلبس للحفظ من العدو. **الأُطُم**: الحصون. انظر فى معانى المفردات السابقة: سبل الهدى والرشاد ٣/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦.

ويرحم الله الشاعر المصرى الأستاذ محمد مصطفى الماحى إذ يقول فى قصيدته «من وحى الهجرة»:

وصاح صائحهم حتّام صبركُمُ ... بنى قــريشٍ وهــذى فتنةٌ عَمَمُ

وأرصدوا فتيةً بالبأس قد عُرفوا ... من كـل مُضطغن بالحقد يضطرمُ

وبيّتوا أمرهم للشر، وائتمــوا ... بـه بليلٍ، فـردّ اللهُ كيـدَهُمـوَ

نجا النبىُّ ولـم يـظفر بصحـبتـه ... إلا الوفــىُّ الأبــىُّ الـصادقُ العَلَمُ

حتى إذا لجـآ للغـار ضمَّهــا ... علـى الوفـاء، فلا يأسٌ ولا ندمُ

أدركت رحـمةُ «المختار» خشيته ... فحـاطه وهو طَلْقُ الوجـه مبتسمُ

وقال: حـسبُك أن الله ثالثنـا ... وليـس بعـد أمـان الله معتصـمُ

وأقبلتْ عُصبةُ الطغيان باحـثةً ... حتى إذا بلغـوا الغَـارَ الأمينَ عَمُوا

وتلك آية ربـى حين أرسلهـا ... طاش الكمِىُّ وعَىَّ الحاذق الفَهِمُ (١)

ومن تكن قوةُ الإيمان ناصـر ... فأعظم الخَطبْ هَيْنٌ حين يصطدم(٢)

---

(١) الكَمِىُّ: الشجاع المُتَكَمِّى فى سلاحه، لأنه كمى نفسه، أى سترها بالدرع والبيضة(الصحاح للجوهرى ٦/ ٢٤٧٧)

عىّ: من العِىّ، وهو خلاف البيان، وعىّ بأمره: إذا لم يهتد لوجهه. (الصحاح ٦/ ٢٤٤٢)

الحاذق: الماهر، والحُذاقِىُّ: الفصيح اللسان البين اللهجة (الصحاح ٤/ ١٤٥٦) ومعنى البيت: أن الله جل وعلا حين أراد حفظ النبى ﷺ وصاحبه طاش الشجاع فلم تنفعه شجاعته، وتاه الماهرالعاقل فلم يهتد لأمره ولم يصل إلى بغيته.

(٢) ديوان الماحى ص ١٣٧ ـ ١٣٨ الطبعة الثالثة ـ ١٣٨٨ دار الفكر العربى ـ القاهرة.

الفصل الخامس
متى حدثت الهجرة النبوية بالتحديد

من المعلوم أن النبى ﷺ هاجر على رأس ثلاث عشرة سنة من مبعثه ﷺ.

٥٣ ـ فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال:

«أُنزل على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنةً، ثم أُمرَ بالهجرة، فهاجر إلى المدينة، فمكث بها عشر سنين، ثم تُوفى ﷺ»

وفى رواية: «ومات وهو ابن ثلاث وستين»(١).

٥٤ ـ أما ما روى عنه من قوله: «أَمْسك أربعين، بُعث لها خمس عشرة بمكة، يأمن ويخاف، وعشر من مهاجره إلى المدينة»(٢).

٥٥ ـ وكذا ما روى عنه من قوله: «أنزل على النبى ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين، فمكث بمكة عشراً، وبالمدينة عشراً، وقبض وهو ابن ثلاث وستين»(٣).

فان الرواية الأولى أصح منهما، كما ذكر ابن حجر فى الفتح(٤).

أما يوم الخروج: فأرى أنه خرج إلى الغار يوم الخميس ليلة الجمعة، مستهل ربيع الأول، وخرج منه ليلة الاثنين فسار حتى قدم المدينة يوم الاثنين التالى ضحىً.

٥٦ ـ فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال:

«ولد النبي ﷺ يوم الاثنين، واستنبىء يوم الاثنين، وتوفى يوم الاثنين، وخرج

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: مناقب الأنصار، باب: مبعث النبى ﷺ ٧/ ١٦٢ (٣٨٥١)، وانظر أرقام (٣٩٠٢, ٣٩٠٣, ٤٤٦٥, ٤٩٧٩)، ومسلم فى كتاب: الفضائل، باب: كم أقام النبى ﷺ بمكة والمدينة ٤/ ١٨٢٦ (٢٣٥١/ ١١٧ـ ١١٨)، والترمذى فى كتاب: المناقب، باب: فى سن النبى كم كان حين مات ٥/ ٦٠٥ (٣٦٥٢)، وأحمد ١/ ٢٤٩، ٣٧٠، ٣٧١، والطحاوى فى مشكل الآثار ٢/ ٣٨٥, ٣٨٦ وابن حبان ١٤/ ٣٠١(٦٣٩٠)، والبيهقى فى الدلائل ٧/ ٢٣٨, ٢٣٩.

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب: الفضائل، باب: كم أقام النبي ﷺ بمكة والمدينة ٤/ ١٨٢٧(٢٣٥٣/ ١٢١ ـ ١٢٣)، والطبرى فى تفسير ٢/ ٣٨٦، وأحمد ١/ ٢٧٩، ٢٩٠، ٢٩٤.

(٣) أخرجه أحمد ١/ ٢٢٨.

(٤) فتح البارى حيث قال عن الرواية الأولى فى ٧/ ١٦٤: «هذا أصح مما رواه مسلم من طريق عمار بن أبى عمار عن ابن عباس أن النبى ﷺ أقام بمكة خمس عشرة سنة».
وقال فى ٧/ ٢٣٠: «هذا أصح مما أخرجه أحمد... بهذا الإسناد قال: «أنزل علي النبى ...» فذكره وأصح مما أخرجه مسلم من وجه آخر عن ابن عباس: أن إقامة النبى ﷺ بمكة كانت خمس عشرة سنة».

مهاجراً من مكة إلي المدينة يو الاثنين، وقدم المدينة يوم الاثنين، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين»(١).

قال الحاكم: «تواترت الأخبار أن خروجه كان يوم الاثنين، ودخوله المدينة كان يوم الاثنين، إلا أن محمد بن موسى الخوارزمى قال: إنه خرج من مكة يوم الخميس».

قال الحافظ ابن حجر: «يجمع بينهما: بأن خروجه من مكة كان يوم الخميس، وخروجه من الغار كان ليلة الاثنين، لأنه أقام فيه ثلاث ليالٍ فهى: ليلة الجمعة، وليلة السبت، وليلة الأحد، وخرج فى أثناء ليلة الاثنين»(٢).

قلت: هذا الجمع هو الصواب إن شاء الله، فالثابت فى الروايات أنه ﷺ بقى فى الغار ثلاث ليال، وقضى فى الطريق ثمانية أيام. ويؤيد ذلك:

٥٧ ـ ما أخرجه ابن سعد، **عن عبد الملك بن وهب المذحجى قال:**

«وكان خروج رسول الله ﷺ من الغار ليلة الاثنين، لأربع ليالٍ خلون من شهر ربيع الأول»(٣).

وقال الحافظ مغلطاى: «ثم خرج منه ليلة الاثنين، لأربع ليال خلون من ربيع الأول على ناقته الجدعاء(٤).

وقد ذكر ابن إسحاق أنه قدم قباء لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين، حين اشتد الضحاء، وكادت الشمس تعتدل(٥).

٥٨ ـ وعن عاصم بن عدىّ الأنصارى قال:

«قدم رسول الله ﷺ المدينة يوم الاثنين، لا ثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول،

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٢٧٧، والطبراني فى الكبير ١٢/ ٢٣٧(١٢٩٨٤)وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ١/ ١٩٦: «فيه ابن لهيعة، ضعيف، وبقية رجاله ثقات من أهل الصحيح»

(٢) فتح البارى ٧/ ٢٣٦.

(٣) الطبقات الكبري ١/ ٢٣٢. أما الإمام ابن كثير فيرى أنه خرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين، وأن بين الخروج والدخول خمسة عشر يوماً.
(انظر السيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٢٥٧).

(٤) الإشارة إلى سيرة المصطفى ص ١٥٧.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٩٢، ٥٩٠، وانظر: عيون الأثر لابن سيد الناس ١/ ٢٣٢.
قال البيهقى فى الدلائل ٢/ ٥٠٣ ـ ٥٠٤: «والحديث المعروف أنه قدم لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين» وقال ابن الدَّيبع الشيبانى: «قال علماء السير: «دخل النبى ﷺ المدينة الشريفة ضحى يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الأول»(حدائق الأنوار ٢/ ٤٧٣). وانظر : تاريخ الطبرى ٢/ ٣٦٦، و٣٨١، وابن حبان في الثقات ١/ ١٣٠. وانظر : عيون الأثر ١/ ٢٣٢.

فأقام بالمدينة عشر سنين»[١].

٥٩ - أما ما أخرجه أبو سعيد النيسابورى فى «شرف المصطفى» من طريق أبى بكر بن حزم أنه: «قدم لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الأول».

فقد قال الحافظ ابن حجر: «هذا يجمع بينه وبين الذى قبله بالحمل على الاختلاف فى رؤية الهلال [٢].

وأما وقت الخروج إلى الغار، فكان ليلاً كما فى الروايات السابقة، كما كان خروجه من الغار ليلاً، كما فى الحديث السابق رقم (٥٧).

وأما وقت دخوله المدينة:

فكان فى وقت الضحى نهاراً، كما سبق، وجاء فى بعض الروايات أنه كان ليلاً:

٦٠ - فعن البراء بن عازب رضى الله عنهما فى حديثه عن أبى بكر رضى الله عنه فى قصة الراعى وقصة سراقة، قال: «ومضى رسول الله ﷺ، وأنا معه، حتى قدمنا المدينة ليلاً»[٣].

وقد جمع الحافظ ابن حجر بينهما: بأن القدوم كان آخر الليل، فدخل نهارا[٤].

وهو جمع طيب سديد، فقد كان من سنته ﷺ ألا يطرق أحداً بليل، وكان إذا قدم من سفر إلى المدينة لا يدخلها ليلاً.

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير ١٧/ ١٧٢, ١٧٣(٤٥٧) وقال الهيثمى فى المجمع ٦/ ٦٣: «رجاله ثقات» أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٥١١، وأورده الذهبى فى السيرة (تاريخ الإسلام ١/ ٣٣٦)، كما أورد نحوه عن عبد الرحمن بن عويم عن بعض قومه، قال: «قدم النبى ﷺ لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول».

(٢) فتح البارى ٧/ ٢٤٤.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب : الزهد،باب: في حديث الهجرة ٤/ ٢٣١٠(٩ ٢٠٠/ ٧٥)والبيهقى فى الدلائل ٢/ ٥٠٦ وهي رواية من روايات الحديث الذى سبق تخريجه رقم (٦) وأورد الإسماعيلى (فى مستخرجه على البخاري) مثل ذلك في آخر الرواية (فتح البارى ٧/ ١١)

(٤) فتح الباري ٧/ ٢٤٤. أما الحافظ ابن كثير فيرى أن المقصود بدخول المدينة بعد الظهيرة قد يكون بعد الزوال فيوافق الرواية الدالة على أنهما دخلا ليلاً، وقال: «وهذا والله أعلم إنما يكون يوم قدومه إلي قباء، فيكون حال وصوله إلى قرب المدينة كان فى حرّ الظهيرة، وأقام تحت تلك النخلة، ثم سار بالمسلمين، فنزل قباء، وذلك ليلاً، وأنه أطلق على ما بعد الزوال ليلاً؛ فإن العشى من الزوال.
وإما أن يكون المراد بذلك لما رحل من قباء، فسار، فما انتهي إلى بنى النجار إلا عشاءً». (البداية والنهاية ٣/ ١٩٤).

٦١ ـ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

«... كان رسول الله ﷺ إذا أتى المدينة من سفرٍ، لا يطرقها طُروقاً ...». [١]
الحديث أي لا يدخلها ليلاً [٢].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبى طلحة الأنصاري رضى الله عنه ١٩٠٩/٤ (١٠٧/٢١٤٤).

(٢) **كل آت بالليل طارق:** قيل: أصل الطُّرُوق من الطَّرق وهو الدّق، وسميّ الآتى بالليل طارقاً لحاجته إلى دق الباب. (النهاية ٣/ ١٢١).

الفصل السادس
شعوره ﷺ عند الخروج من مكة

كان النبى ﷺ شديد الحرص على أن تكون أم القرى مكة المباركة هى منطلق الدعوة، وقاعدة الرسالة، وأن يكون أهلها - وهم أهله الأقربون - حُماة الدين وحُرّاس العقيدة، على النحو الذى سبق بيانه فى الفصل الثانى.

ولذا فقد آلم نفسه أشد الإيلام اضطرارهم إياه للبحث عن قاعدة أخرى، ثم الخروج إلى بلد آخر، وهيَّج ذلك فى نفسه الكريمة معاني ومشاعر كبيرة وكثيرة، إذ لم يكن من السهل على صاحب هذه النفس العظيمة أن يصير حاله مع بلد الله الحرام التى نشأ فى ربوعها، واختلط بأهلها وأشيائها، وتجاوبت عواطفه مع مقدساتها، وطبعت ذكريات أيامه في مختلف نواحيها - إلى الاضطرار للخروج منها.

وقد صورّ النبىُّ الكريمُ ﷺ هذه المشاعر فى كلماتٍ مؤثرة خاطب بها بلد الله الحرام.

٦٢ - فعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال:

«لما خرج رسول الله ﷺ من مكة قال: «**أمَا والله لأخرج منك، وإنِّى لأعلم أنك أحب بلاد الله إلىَّ، وأكرمه على الله، ولولا أن أهلك أخرجونى منكِ ما خرجت**»[1].

٦٣ - وفى رواية: «أن النبى ﷺ لما خرج من الغار التفت إلي مكة، وقال: «**أنتُ أحبُّ بلاد الله إلى الله، وأنت أحبُّ بلاد الله إلىَّ، ولو أن المشركين لم يخرجونى لم أخرج منك، فأعدَى الأعداء مَنْ عَدَا على الله في حرمه، أو قتل غير قاتله، أو قتل بذحُول[2] الجاهلية**». فأنزل الله على نبيهﷺ ﴿ **وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ** ﴾.[3] [محمد: ١٣].

(١) أخرجه أبو يعلى الموصلى فى مسنده ٥/ ٦٩(٢٦٦٢)، وقال الهيثمى فى المجمع ٣/ ٢٨٣: «رجاله ثقات»، وأخرجه ابن سيد الناس فى «عيون الأثر»٦/ ٢١٩ بسنده.

(١) الذُّحُول: جمع ذَحْل، وهو العداوة، وهو أيضاً: الوتر وطلب المكافأة بجناية جنيت عليه من قتلٍ أو جرحٍ أو نحو ذلك. (النهاية ٢/ ١٥٥).

(٢) نقله ابن كثير فى تفسير الآية عن ابن أبى حاتم بإسناده، . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٤٨ إلى ابن أبى حاتم وعبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه.

٦٤ ـ وفى رواية قال:

«قال رسول الله ﷺ لمكة: **«ما أطيبك من بلدٍ، وأحبّك إلىّ! ولولا أن قومك أخرجونى منكِ ما سكنتُ غيرك»**[(١)].

ولئن كان الشعور بحب الوطن أمراً فطرياً مركوزاً فى النفوس، فإن الدعوة المباركة التى جاء بها النبى الكريمﷺ قد دَعت إليه، وحببت فيه، هذا فى عموم الأوطان وعموم الناس، فكيف إذا كان الوطن هو مكة بلدَ الله الحرام، وأحبَّ البلاد إلى الله، وكان المواطن هو محمَد بن عبد الله أرق الناس قلباً، وأصفاهم نفساً، وأقربهم مودة؟!

لقد ظل الشعور بالحنين إلى مكة ملازماً للنبى ﷺ، لا يقدم عليه من مكة قادمٌ إلا سأله عنها، واهتز قلبه شوقاً إليها.

٦٥ ـ روى ابن شهاب الزهرى قال:

«قدم أُصَيْلٌ الغفاريُّ قبل أن يُضرب الحجابُ على أزواج النبى ﷺ، فدخل على عائشة رضى الله عنها، فقالت له: يا أُصَيْل، كيف عهدت مكة؟ قال: عهدتها قد أخصب جنابها، وابيضت بطحاؤها. قالت: أَقِمْ حتي يأتيك رسول الله ﷺ. فلم يلبث أن دخل عليه النبى ﷺ، فقال: **«يا أُصَيْل، كيف عهدت مكة؟»** قال: عهدتُها ـ والله ـ قد أخصب جنابها، وابيضتْ بطحاؤها[(٢)]، وأعذق إذخرها، وأسلب ثُمامُها، وأَمْشَر سَلْمُها[(٣)]. فقال: **«حسبك يا أُصَيْل! لا تُحْزِنَّا»**[(٤)].

---

(١) أخرجه الترمذى ـ وقال: «حسن غريب من هذا الوجه»ـ فى كتاب: المناقب، باب: فى فضل مكة ٥/ ٦٧٩ـ ٦٨٠، والطبرانى فى الكبير ١٠/ ٣٢٥، ٣٢٩ (١٠٦٢٤، ١٠٦٣٣)، وصححه ابن حبان ٩/ ٢٣(٩ ٣٧٠٩)، والحاكم ١/ ٤٨٦ ووافقه الذهبى.

(٢) **أخصب جنابها:** أى أخصبت ناحيتها، والجنَاب، بالفتح: الفناء، وما قرب من محلة القوم، والجمع: أَجْنِبة، يقال: أخصب جَناب القوم، وفلان خصيب الجناب، وجديب الجناب، وتقول: مروا يسيرون جنَابيه، أى ناحيتيه (الصحاح للجوهرى ١/ ١٠٢).

والبطحاء، والأبطح: مسيل واسع فيه دقاق الحصى، وبطحاء مكة: مسيل واديها (انظر: الصحاح للجوهرى ١/ ٣٥٦، والنهاية ١/ ١٣٤.

(٣) قال ابن الأثير فى «أسد الغابة» ١/ ١٢١ـ ١٢٢: «قوله **«أعذق إذخرها»**: أى صارت له أفنان كالعذوق، والإِذْخَر: نبت معروف بالحجاز. و«أسلب ثُمامها»: أى أخوص، وصار له خوص، والثُمام: نبت معروف بالحجاز، ليس بالطويل. وقوله «أَمْشَر سَلْمُها»: أى أورق واخضرّ.

(٤) مرسل، ذكره ابن الأثير فى «أسد الغابة» ١/ ١٢١ نقلاً عن ابن عبد البر وأبى موسى. وأخرجه الخطابى فى غريب الحديث١/ ٢٧٨ بسنده إلى ابن شهاب الزهرى، وعنه «وأمَشَّ سَلَمُها» وقال: «هكذا قال الخزاعى، وقال: يريد أنه قد أخرج مُشَاشه وهو ما يخرج فى أطرافه ناعما رخصا كالمشاش. وهو غلط، وإنما هو «أمشر سَلَمُها» أى أورق واخضر».

وفى رواية أنه قال له: «**يا أُصَيْل، دع القلوبَ تقر**»[1].

٦٦ـ ورواه الحسن، **عن أَبَان بن سعيد بن العاص** رضى الله عنه، أنه قدم على النبى ﷺ، فقال له: «**يا أَبَانُ، كيف تركتَ أهلَ مكة؟**» قال: تركتُهم وقد جَيَّدُوا. وذكر نحو حديث أصيل[2].

وكان ﷺ يسمع كلام أصحابه رضوان الله عليهم فى الحنين إلى مكة، فيرق لحالهم، ويقدِّر عواطفهم، ويدعو لهم بأن يحبِّب الله إليهم المدينة كما حبّب إليهم مكة.

٦٧ـ فعن عائشة رضى الله عنها قالت:

«لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وُعِك[3] أبو بكرٍ وبلالٌ». قالت: «فدخلتُ عليهما، فقلتُ: يا أبتِ، كيف تجدك؟ يا بلالُ، كيف تجدك؟ قالت: فكان أبو بكر إذا أخذته الحُمَّى يقول:

كلُّ امرىءٍ مُصَبَّحٌ فـى أهلـه ... والموتُ أدنى من شِرَاك نعله[4]

وكان بلالٌ إذا أقلع عنه الحُمَّى يرفع عقيرته[5]، ويقول:

ألا ليتَ شِعرى هل أبيتنَّ ليلةً ... بوادٍ وحولى إِذْخَرٌ وجَـليل[6]

وهل أَرِدَنْ يوماً مياه مَجَنَّـة ... وهل يَبْدُوَنْ لىَ شامةٌ وطَفِيل[7]

---

(١) عزاه ابن حجر فى الإصابة ١/ ٥٣(٢١٣) فى ترجمة «أصيل» لأبِى موسى فى الذيل.

(٢) ذكره ابن الأثير فى «أسد الغابة» ١/ ١٢١ وقال: «قوله : جَيَّدوا»: أى أصابهم الجَوْد، وهو المطر الواسع، فهو مُجُود».

(٣) وُعِك، بضم أوله وكسر ثانيه: أى أصابه الوعك، وهى الحمى (فتح البارى ٧/ ٢٦٢، وسبل الهدى والرَشاد ٣/ ٤٣٢).

(٤) مُصَبَّح، بوزن محمد: أى مصاب بالموت صباحاً. وقيل: المراد أنه يقال له وهو مقيم بأهله: صبحك الله بالخير، وقد يفجؤه الميت فى بقية النهار، وهو مقيم بأهله.

والشِّراك، بكسر المعجمة وتخفيف الراء: السير الذى يكون فى وجه النعل، والمعنى: أن الموت أقرب إلى الشخص من شراك نعله لرجله (فتح البارى ٧/ ٢٦٢ـ ٢٦٣، وسبل الهدى والرشاد ٣/ ٤٣٢).

(٥) أى يرفع صوته ببكاء أو غناء. قال الأصمعى: أصله أن رجلاً انعقرت رجله، فرفعها على الأخرى، وجعل يصيح، فصار كل من رفع صوته يقال: رفع عقيرته، وإن لم يرفع رجله. (فتح البارى ٧/ ٢٦٣، وسبل الهدى والرشاد ٣/ ٤٣٣).

(٦) بوادٍ: أى بوادى مكة. وجليل: نبت ضعيف يحشى به خصاص البيوت وغيرها (فتح البارى ٧/ ٢٦٣). وقالَ ابن الأثير: «الجليل: الثمام، واحده جليلة، وقيل: هو الثُّمام إذا عظم وجل» (النهاية ١/ ٢٨٨).

(٧) **مجنة** ـ بفح الميم وتشديد النون المفتوحة وآخره تاء مربوطة ـ: موضع على أميال من مكة، كانت إحدى أسواق العرب فى الجاهلية، تقوم فى العشر الأواخر من ذى القعدة (انظر فتح البارى ٧/ ٢٦٣)، ومعجم المعالم الجغرافية فى السيرة ص٢٨٢). =

قالت عائشة: فجئت رسول الله ﷺ، فأخبرتُه، فقال: «**اللهمَّ حبِّبْ إلينا المدينة كحبِّنا مكةَ أو أشدَّ، وصحِّحْها، وبارِك لنا فى صاعها ومُدِّها، وانقل حُمَّاها فاجعلها بالجُحفة**»[(١)].

زادت فى رواية أنه ﷺ قال: «**اللهم العن شيبة بن ربيعة، وعتبة ابن ربيعة، وأمية بن خلف، كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء**»[(٢)].

ولم يزل هذا الحنين إلى البلد الحرام يزداد، حتى فتحها الله عليه، فدخلها قائداً فاتحاً مُظفَّرا، ولم يفتأ يخاطبها بنفس الشوق الذى خاطبها به يوم اضطر إلى الخروج منها.

٦٨ـ فعن عبد الله بن عدىّ بن حمراء الزهرى رضى الله عنه (صحابى جليل أسلم عام الفتح) قال:

«رأيتُ رسولَ الله ﷺ واقفاً على الحَزْوَرَة[(٣)]، فقال: «**والله إنكِ لخيرُ أرض الله، وأحبُّ أرض الله إلى الله، ولولا أنى أُخرِجت منكِ ما خرجت**»[(٤)].

= **وشامة** ـ بالشين المعجمة وألف وميم مخففًا: جبل بالساحل جنوب غربى مكة، مرّ بقربه طريق اليمن المزفّت، تجاوره حَرَّة تسمى «**طفيل**»ـ بفتح الطاء المهملة وكسر الفاء، ثم مثناة تحت ولام ـ وتقرن معه، فيقال: شامة وطفيل، وهما من ديار الجحادلة من كنانة (معجم المعالم الجغرافية فى السيرة ص١٦٧، ١٨٧).

(١) **الجُحفَة**، بجيم مضمومة، وحاء ساكنة، وفاء، ثم هاء: مدينة كانت عامرة على طريق الحاج بين الحرمين، توجد اليوم آثارها شرق مدينة رابغ بحوالى (٢٢) كيلاً، إذا خرجت من رابغ تؤم مكة كانت إلى يسارك حوز السهل من الجبل (انظر: معجم المعالم الجغرافية فى السيرة ص٧٩ـ ٨٠، وعلى طريق الهجرة ص٥٥ وما بعدها).

والحديث أخرجه البخارى فى كتاب: مناقب الأنصار، باب: مقدم النبى ﷺ وأصحابه المدينة٧/ ٢٦٢ (٣٩٢٦) وانظر أرقام (١٨٨٩، ٥٦٥٤، ٥٦٧٧) ومختصراً (٦٣٧٢)، ومسلم مختصرا فى كتاب: الحج، باب: الترغيب فى سكنى المدينة والصبر على لأوثها٢/ ١٠٠٣ (١٣٧٦/ ٤٨٠)، ومالك فى الموطأ: باب: ما جاء فى وباء المدينة ٢/ ٦٧٩ (١٤) وابن إسحاق (السيرة النبوية ١/ ٥٨٨ ـ٥٨٩) وابن حبان ٩/ ٤٠ـ ٤١ (٣٧٢٤)، والبيهقى فى الدلائل ٢/ ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، والبلاذرى فى فتوح البلدان ص٢٥، وأحمد ٦/ ٦٥، ٢٢٢، ٢٤٠، ٢٦٠، ومختصراً ٦/ ٥٦.

(٢) أخرجه البخارى في كتاب: فضائل المدينة، باب: ٤٠٠٠/ ٩٩ (١٨٨٩).

(٣) **الحَزْوَرَة** ـ بوزن قَسْورة ـ: معناها: الرابية الصغيرة، أو التل الصغير، وهى موضع بمكة عند باب الحناطين (النهاية ١/ ٣٨٠) وهى ما يعرف اليوم باسم «القُشَاشيّة»: مرتفع يقابل المسعى من مطلع الشمس، وكان ـ ولا يزال ـ سوقاً من أسواق مكة. (معجم المعالم الجغرافية فى السيرة ص٩٨).

(٤) أخرجه الترمذى ـ وقال: حسن غريب صحيح ـ فى كتاب المناقب، باب: فى فضل مكة ٥/ ٦٧٩ (٣٩٢٥)، وابن ماجه فى كتاب: المناسك، باب: فضل مكة ٢/ ١٠٣٧ (٣١٠٨)، وأحمد ٤/ ٣٠٥، وصححه ابن حبان ٩/ ٢٢(٣٧٠٨)، والحاكم على شرط الشيخين ٣/ ٧، ٢٨٠، ٤٣١، ووافقه الذهبى، وأخرجه البيهقى فى الدلائل٢/ ٥١٧ـ ٥١٨. وللحديث طرق أخرى عن أبى هريرة، والأصح أن الحديث عن عبد الله بن عدى. (انظر: البداية والنهاية٣/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤).

٦٩- وعن **أبى هريرة** رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ وقف على الحَجُون[1] عام الفتح، فقال: «**والله إنك لخير أرض الله، ولولم أُخرَج منك ما خرجت، وإنها لم تحلَّ لأحدٍ كان قبلى، وإنما أُحِلَّت لى ساعة من نهار...**» الحديث[2].

ويرحم الله البوصيرى حيث قال:

ويح قومٍ جَفَوْا نبياً بأرضٍ ... أَلِفَتْه ضبابها والظباءُ

وسَلَوْه وحَنّ جذعٌ إليـــه ... وقَلَوْه ووده الغربـــاء

دعاؤه ﷺ عند خروجه من مكة:

مضى النبى ﷺ خارجاً من مكة مهاجراً إلى ربه، ونفسه على حالها الدائم من الاتصال بمولاه، واللجوء إليه بالدعاء وطلب المعونة.

٧٠- فقد روى أبو نعيم من طريق إبراهيم بن سعد، عن **محمد ابن إسحاق** قال:

بلغنى أن رسول الله ﷺ لما خرج من مكة مهاجراً إلى الله يريد المدينة قال: «**الحمد لله الذى خلقنى ولم أكُ شيئا. اللهم أعنِّى على هول الدنيا، وبوائق الدهر، ومصائب الليالى والأيام. اللهم اصحبنى فى سفرى، واخلُفنى فى أهلى، وبارك لى فيما رزقتنى، ولك فَذَلِّلنى، وعلى صالح خُلُقى فقوِّمْنِى، وإليك ربِّ فحبِّبْنى، وإلى الناس فلا تكلْنى، أنت ربُّ المستضعفين، وأنت ربى، أعوذ بوجهك الكريم الذى أشرقت له السمواتُ**

---

(١) فى معجم البلدان لياقوت ٢/ ٢٢٥ أن **الحجون** - بفتح الحاء - جبل بأعلى مكة عند مدافن أهلها. وقال الأصمعى: هو الجبل المشرف الذى بحذاء مسجد البيعة على شعب الجزارين، ويقول عاتق بن غيث البلادى: الحُجون - بضم الحاء والجيم -: الثنية التى تفضى على مقبرة المعلاة، والمقبرة عن يمينها وشمالها مما يلى الأبطح، تسمى الثنية اليوم «ريع الحجون» والبادية تسميه «ريع الحجول» (معجم المعالم الجغرافية فى السيرة ص٩٣- ٩٤).

قلت: وقد يكون الجبل يسمى الحجون، والثنية تسمى ثنية الحجون، فلا اختلاف، والله أعلم.

(٢) أخرجه أبو يعلى بسند حسن فى المسند ١٠/ ٣٦٢ (٥٩٥٤)، والبزار (١١٥٧) وهو فى الصحاح غير الجملة الأولى التى هى موطن الشاهد.

أقول: والأحاديث المتكاثرة فى كون مكة خيرَ بلاد الله وأحبّها إليه ترد الحديث الذى أخرجه الحاكم ٣/ ٣- ومن طريقه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٥١٩- عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم إنك أخرجتنى من أحبِّ البلاد إلىَّ، فأسكنِّى أحبَّ البلاد إليك**»، فأسكنه الله المدينة. قال الحاكم: «رواته مدنيون من بيت أبى سعيد المقبرى». قال الذهبى: «لكنه موضوع، فقد ثبت أن أحبّ البلاد إلى الله مكة، وسعد (ابن سعيد المقبرى) ليس بثقة». وقال ابن كثير: «هذا حديث غريب جداً، والمشهور عن الجمهور أن مكة أفضل إلا المكان الذى ضم جسد رسول الله ﷺ» (البداية والنهاية ٣/ ٢٠٣).

والأرض، وكُشفتْ به الظلمات، وصلح عليه أمرُ الأولين والآخرين، أن تُحِلَّ عليّ غضبَك، وتنزل بي سخطك أعوذ بك من زوال نعمتك، وفجأة نقمتك، وتحوُّل عافيتك، وجميع سخطك. لك العتبى خير ما استطعت، لا حول ولا قوة إلا بك»(٣).

صلىَّ الله عليك يا رسول الله!

ما أشبه دعاءه عند الخروج من مكة مهاجراً بدعائه يوم عاد من الطائف كسيراً حزيناً!.

وما أشبه حاله في هذا اليوم بحاله في اليوم الآخر! وها هو ذا قلبُه يتصل بالملإ الأعلى، فيترجم لسانه هذا الاتصالَ دعاءً عذبًا يفيض إخلاصًا وإيماناً.

(١) البداية والنهاية ٣/ ١٧٦- ١٧٧، وسبل الهدى والرشاد ٣/ ٣٤٥، وهذا حديث معضل، غير أنه لا يتعلق بأحكام شرعية، بل هو بباب فضائل الأعمال ألصق، فلذا أوردته هنا. والله أعلم.

الفصل السابع

الطريق الذى سلكه المهاجر الأعظم ﷺ من الغار إلى المدينة

مرّ فى الحديث رقم(٣) أن عائشة رضى الله عنها قالت: «واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكرٍ رجلاً من بنى الدِّيل، وهو من بنى عبد بن عدى، هاديا خرِيتًا . . . وهو على دين كفار قريش، فأمناه، فدفعا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاثٍ، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل، فأخذ بهم طريق السواحل».

ومن الواضح البيِّن أن هذا الطريق كان غير الجادة العظمى، أو الطريق المعتادة فيما بين مكة والمدينة، وأنه قد روعيت فى سلوكه عدة اعتبارات مهمة، تضمن بإذن الله وصول المهاجر الأعظم ﷺ بأكبر قدرٍ من الضمانات، ومن هذه الاعتبارات[١]:

١ـ أنه كان في حاجة إلى أقصر الطرق وأسهلها.

٢ـ كان يحتاج إلى الطريق المستورة عن نظر العدو، بعيدة عن أعين الرقباء، الذين كانوا يتلهفون إلى نيل الجائزة التى بذلتها قريش لمن يأتى به.

٣ـ كان ـ كأى مسافر ـ يحبِّذ الطرق التى تمر بالعدود[٢] وموارد المياه؛ لسقى دواب الرحلة وشرب الرفاق.

٤ـ إذا اضطر أن يمشى فى الطريق المطروقة المعهودة تعمد أن يكون ذلك بعد منتصف الليل، حين يكف القدم ويقل الطارق.

٥ـ إذا أدركه الصباح، وهو على هذه الجادة أو قريبا منها، اختفى فى مكان مستور.

٦ـ يحاول قدر الإمكان أن يمر فى بلاد خزاعة؛ لأن خزاعة ليست على وفاق مع قريش، كما يحاول قدر الإمكان تجنب بلاد كنانة، وهما القبيلتان القاطنتا تهامة بين مكة والفُرع. فالأولى: تقطن الساحل من جنوب الليث إلى وادى الصفراء وينبع، والثانية: تسكن تهامة الداخلية كمرّ الظهران وعسفان وأَمَج وقُدَيْد ودوران والجُحْفة. . . إلخ.

وقد فصّل ابن إسحاق مراحل هذا الطريق، فروى الحاكم بسنده عنه قال:

٧١ـ حدثنى محمد بن الزبير ومحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن حسين، عن

---

(١) على طريق الهجرة ٢٥٧ (مع تصرف يسير)، وانظر: طريق الهجرة النبوية ص٦٥ـ ٦٩.

(٢) العدود: جمع عِد، وهو: الماء الدائم الذى لا انقطاع لمادته. (النهاية ٣/ ١٨٩).

عـــروة بن الزبير، **عن عائشة** رضى الله عنها قالت[1]: لما خـــرج رسول الله ﷺ من الغار مهاجراً، ومعه أبو بكـــر، وعـــامر بن فهيرة مردفه أبو بكـــر، وخـــلفه عـــبد الله ابن أريقط الليثى، فسلك بهما أسفل من مكة[2]، ثم مضى بهما، حتى هبط بهما على الساحـــل أسفل من عُسفان[3]، ثم استجاز بهما على أسفل أمَـج[4]، ثم عارض الطريق بعد أن أجاز قُدَيْداً[5]، ثم سلك بهما الخَرّار[6]، ثم أجاز بهما ثنية المرة[7]، ثم سلك بهما لِقْفاً[8] (قال ابن هشام[9]: ويقال: لَفْتا[10])، ثم أجاز بهما مدلجـــة

(١) من المعلوم أن عائشة إما أن تكون سمعت وصف الطريق من النبى ﷺ أو من أبيها أبى بكر الصديق رضى الله عنه.

(٢) أى فى الجهة الجنوبية من مكة، ويسمى جنوب مكة اليوم «المسفلة».

(٣) عند ابن هشام: «ثم مضى بهما على الساحل، حتى عارض الطريق أسفل من عُسْفَان». **وعُسْفان**: بضم العين وسكون السين، وفاء، وألف، ونون: بلدة عامرة على بعد(٨٠) كيلا من مكة شمالاً، عـلى الجـــادة إلى المدينة (انظر: معجم المعالم الجغرافية فى السيرة النبوية ص٢٠٨، وعلى طريق الهجرة ص١٩).

(٤) أمَج، بالتحريك، وآخره جيم، يعرف اليوم بـ«خُلَيْص»: واد زراعى على مائة كيل من مكة شمالاً، على الجادة العظمى. (معجم المعالم الجغرافية ص٣٢).

(٥) **قُدَيد**: بضم القاف، وفتح الدال المهملة، ومثناة تحت، ودال أخرى: وهو واد فحلٌ من أودية الحجاز التهامية، يأخذ أعلى مساقط مياهه من حرة «ذَرَة» فيسمى أعلاه «ستارة» وأسفله «قُديدا» يقطعه الطريق من مكة إلى المدينة، على نحو(١٢٠) كيلاً، ثم يصب فى البحر عند القضيمة. (معجم المعالم الجغرافية ص٢٤٩، على طريق الهجرة ص٣٩).

(٦) فى مطبوعة المستدرك «الحجاز»، والتصويب من سيرة ابن هشام وغيرها، وهو: وادى الجُحفة وغديرخُم، يقع شرق رابغ على قرابة (٢٥) كيلاً.
(معجم المعالم الجغرافية ص١١٢، على طريق الهجرة ص٦١).

(٧) فى مطبوعة المستدرك «المرار»، والتصويب من سيرة ابن هشام وغيرها، والمرة فى كثير من المراجع بتخفيف الراء، كأنها مخففة من المرأة، ويظهر أن الصواب «المرّة» ضد الحلوة وبئار المرة معروفة اليوم بعد الخرار، بين غدير خم والفرع. (معجم المعالم الجغرافية ص٢٨٩، على طريق الهجرة ص٢٥٤) والثنية: هى المسلك بين جبلين.

(٨) فى مطبوعة المستدرك «الحفياء»، والتصويب من سيرة ابن هشام وغيرها، وهو بكسر اللام، وسكون القاف، وآخره فاء: واد من روافد وادى الفرع يصب فيه من ضفته الشمالية عند بئر رضوان، قبل اجتماع الفرع والقاحة. (معجمٌ المعالم الجغرافية ص٢٧٣، على طريق الهجرة ص٢٥٤).

(٩) السيرة النبوية ١/ ٤٩١.

(١٠) **لَفْت**، بفتح اللام وسكون الفاء، وآخره تاء: ثنية تشرف على «**خليص**» من الشمال، يطؤها الدرب بينه وبين «قديد»، وتسمى اليوم «الفَيْت» ولعله تحريف **للُفَيْت** - بالتصغير - كما قالوا فى «لُقَيْم»: «القَيْم»؛ لقرب مخارج النطق، وقد هجرت «لفت» من زمن، ولم تعد مطروقة، وعندما عُبِّد الطريق تجاهله وتركها وأخذ عنها يساراً فى حَرّة لم تكن مطروقةمن قبل». (معجم المعالم الجغرافية ص٢٧٢- ٢٧٣، على طريق الهجرة ص٣٧).

قلت: يبدو أن «لَفْتا» ثنية ضمن وادى «لقف»، كما هو واضح من تعريفيهما. والله أعلم.

لَقْف[1]، ثم استبطن بهما مدلجة مَجَاح[2]، ثم سلك بهما مرجح(مجاح)[3]، ثم تبطَّن بهما[4] مَرْجح من ذى الغضوين[5] (قال ابن هشام: ويقال: العَضَوين[6])، ثم بطن ذى كُشُد[7]، ثم أخذ بهما على الجداجد[8]، (ثم على الأجرد)[9]، ثم سلك ذا سلم من بطن أعداء مدلجة تعهن[10]، (ثم على العبابيد، قال ابن هشام: ويقال: العبابيب،

---

(١) فى مطبوعة المستدرك «ثقف»، والتصويب من سيرة ابن هشام وغيرها، **والمَدْلَجة** هى: ما بين الحوض والبئر. **والمدلج والمدلجة**: الموضع الذى يدلج فيه، أى يمشى فيه فى آخر الليل. (انظر: الصحاح للجوهرى ١/ ٣١٥).

(٢) فى مطبوعة المستدرك «صحاح»، وفى سيرة ابن هشام: «محاج» ويقال: «مجاج» قال عاتق بن غيث البلادى: «والصواب «مجاح» بميم وجيم وحاء فى آخره مهملة» وهو واد كبير من روافد الفُرع. (انظر: على طريق الهجرة ص٨٥) ومدلجة مجاح: تأتى هذا الوادى من الجنوب، مقابلة لمصب العصوين. (على طريق الهجرة ص٢٥٥) وانظر فى تصويب «مجاح»: الروض الأنف ٢/ ٢٤٤.

(٣) فى مطبوعة المستدرك «مذحج» والتصويب وما بين القوسين من سيرة ابن هشام وغيرها **ومرجح مجاح**: شعب يصب فى مجاح من الشمال (على طريق الهجرة ص٢٥٥).

(٤) فى مطبوعة المستدرك «ببطن»، والتصويب من سيرة ابن هشام.

(٥) فى مطبوعة المستدرك «مذحج من ذى الغصن» والتصويب من سيرة ابن هشام.

(٦) قال عاتق بن غيث البلادى: ليست بالغضوين، ولا العضوين، إنما هما العصوان ـ بإهمال العين والصاد ـ مثنى عصا، يقال لهما: العصى اليمنى والعصى اليسرى، وهما: شعبتان تجتمعان، ثم تصبان فى «مجاح»، ويطلقون عليها اليوم «العصى» جمع عصا، وهى عادتهم فى المثنى، ويقولون «العصا» لكل واحدة منهما.
انظر: معجم المعالم الجغرافية ص٢٢٦ـ ٢٢٧، على طريق الهجرةص٨٥ـ ٨٦ وص٢٥٥).

(٧) فى سيرة ابن هشام «كشر» بفتح الكاف، وسكون الشين، والصواب: **ذو كُشُد**، بالدال المهملة، وتعرف اليوم بـ«أم كشد»: تلعة تسيل فى وادى ثقيب من الجنوب، مقابلة لأجيرد، يأخذها الطريق إلى القاحة (على طريق الهجرة ص٢٥٥).

(٨) فى مطبوعة المستدرك «ثم أخذ الجباجب»، والتصويب من سيرة ابن هشام، وقال السهيلى: «كأنها جمع جدجد، وأحسبها آباراً، ففى الحديث: أتينا على بئر جدجد. قال أبو عبيد: الصواب: بئر جد، أى قديمة. وقال الهروى عن اليزيدى: وقد يقال: بئر جدجد. قال: وهو كما يقال فى الكم: كمكم، وفى الرف: رفرف» (الروض الأنف ٢/ ٢٢٤)، والجداجد لا تعرف اليوم(معجم المعالم الجغرافية ص٨٠).

(٩) ما بين القوسين ساقط من مطبوعة المستدرك، والأجرد: يعرف هذا اليوم بأجيرد ـ بالتصغير ـ وهو: شعب يصب فى وادى ثقيب من الشمال، إذا أخذه الطريق هبط فى «تعهن»، ثم إلى السقيا فى القاحة. وثقيب: أحد روافد القاحة، وهو ومرجح والمدالج على طريق قديم قد هجر. وهذه المواضع تقع جنوب المدينة على قرابة (١٦٠) كيلا، قريبة من وادى القرع، بل تصب مياهها فيه. (معجم المعالم الجغرافية ص١٨، على طريق الهجرة ص٢٥٥).

(١٠) فى مطبوعة المستدرك «من بطن أعلى مدلجة»، والتصويب من سيرة ابن هشام وغيرها، و«**تعهن**» مختلف فى ضبط تائه، فهى فى السيرة بكسر التاء وسكون العين وكسر الهاء، وأهله اليوم يشددون الهاء، ولا يجوز ذلك إلا بتحريك العين: وهو وادٍ من كبار روافد القاحة، يأتيها من الشرق من جبال عوف (قُدْس) فيدفع أسفل من السُّقيا على مرأى منّها ونواشغه بين وادى الفرع والقاحة. ومدلجته تصب على عين تَعْهِن من الشمال. =

ويقال: العثيانة، يريد العبابيب[1].

ثم أخذ القاحة[2]، ثم هبط العَرْج[3]، ثم سلك ثنية الغائر[4]، عن يمين

= (معجم المعالم الجغرافية ص٦٣، على طريق الهجرة ص٨٢ وص٢٥٥) **وأعداء**: جمع عِدَاء أو عدا، وهو شاطىء الوادى كالعدوة، وعلى هذا فذو سلم المذكور هو فى بطن شاطىء الوادى الذى فيه أو تقرب منه عين تعهن. والله أعلم (طريق الهجرة النبوية لعبد القدوس الأنصارى ص٨٢ـ ٨٣.

(١) ما بين القوسين ساقط من مطبوعة المستدرك، وقال السهيلى: «**العبابيد** كأنه جمع عباد، **والعبابيب**، كأنها جمع عباب، من عببت الماء عبا، فكأنها ـ والله أعلم ـ مياه تعب عباباً أو تعب عبا» (الروض الأنف ٢/ ٢٤٥). والعبابيد أو العبابيب لا تعرف اليوم، والعثيانة، بكسر العين المهملة وسكون المثلثة، صوابه «الغثْرِيانة»: فج من القاحة على الضفة اليسرى، شمال شرقى السقيا «أم البرك اليوم» (معجم المعالم الجغرافية ص١٩٨ـ ١١٩، على طريق الهجرة ص٢٥٥).

(٢) فى السيرة: «قال ابن إسحاق: ثم أجاز بهما الفاجة، ويقال: القاحة، فيما قال ابن هشام»قال عاتق بن غيث: «الصواب: القاحة، بالقاف والحاء المهملة، ذلك أن الطريق من «تعهن» تأخذ القاحة طولاً، **والقاحة**: واد عظيم ذو روافد كبار، ومن روافده(**الفاجَّة**) بالفاء وتشديد الجيم، ومن هنا جاء التصحيف بين القاحة والفاجة»(على طريق الهجرة ص٢٥٥ـ ٢٥٦ وانظر: معجم المعالم الجغرافية ص٢٣٣).
وقال: **القاحة**: واد فحل من أودية الحجاز، يقع أوله مما يلى المدينة على أربع مراحل، ويسير فيه الطريق مرحلتين، وفيه مدينة السقيا ـ سقيا مزينة ـ ثم يجتمع بوادى الفُرع، فيسمى الوادى «الأبواء» على ست مراحل من المدينة، وخمس من مكة» (معجم المعالم الجغرافية ص٢٤٥، وانظر: على طريق الهجرة ص٧٧).

(٣) **العَرْج**، بفتح العين المهملة، وسكون الراء، آخره جيم: وادٍ فحل من أودية الحجاز التهامية، كان يطؤه طريق الحجاج من مكة إلى المدينة، جنوب المدينة على(١١٣) كيلاً (معجم المعالم الجغرافية ص٢٤٥).
ويرى عاتق بن غيث أن القول بأنه مرّ بالعرج قولٌ موهوم؛ لأن ذلك يتطلب زيادة فى المسافة كبيرةً وتعنتاً لا لزوم له، وإذا نظرت إلى الأرض على الطبيعة عرفت أن ذلك مستحيل فعله. (على طريق الهجرة ص٢٥٩) ويقول أيضا: «ولكن الغريب حقاً أن الطريق التى تمر على العَرْج لا تعود إلى رَكُوبة ورِئْم، كما سيمر معنا أن الرسول ﷺ أخذهما، فالطريق التى تخرج من القاحة على العرج تأخذ على شرف الأُثَاية، ثم الرُّوَيْثَة، ثم المنصرف ـ المسيجيد اليوم ـ ثم على الرَّوْحاء، ثم على ملل، فذى الحليفة. أما طريق رَكوبة أو الغائر (هما واحد) فإنها تأخذ من القاحة على ريع العقنقل، ثم حلقة الجى، ثم الغائر (ركوبة)، ثم رئم، من وادى النقيع، ثم عقيق الحسا، إلى ذى الحليفة. (على طريق الهجرة ص٢٥٦)
أقول: فلعل «العَرْج» المقصود فى الحديث هو غير العَرْج المعروف الذى ترجم له، ولعله مَعْلَم، ليس معروفاً اليوم، وما أكثر ما تتشابه الأسماء، وبخاصة فى البادية، والله أعلم.

(٤) فى السيرة، **ثنية العائر**، ويقال: **ثنية الغائر**، فيما قال ابن هشام. والصواب بالغين المعجمة، وهو من الغور، وهو العمق فى الأرض ونحوه، **والغائر**: ريع يقع شمال ركوبة، وقد مهد اليوم، وعبرته السيارات (معجم المعالم الجغرافية ص٢٢٣).

ركوبة[1]، ثم هبط بطن رئم[2]، فقدم قباء على بنى عمرو بن عوف»[3].

وكما يتضح من شرح مواقع الرحلة، فإنها كانت فى غاية المشقة، مثلما كانت فى غاية الإحكام.

وقد حدثت حوادث متعددة فى أثناء هذه الرحلة تدل بغاية الوضوح على حفظ الله لنبيه ﷺ، وسوف أذكرها فى مواضعها إن شاء الله تعالى.

---

(١) قال عاتق بن غيث: ثنية الغائر هى ثنية ركوبة، ولا تعرف ركوبة اليوم، ولعل الغائر كان اسم الوادى الذى ينقض من ثنية ركوبة، ذلك أنه (أى الغائر) غور مطبق بين الجبال. وهى جبال ورقان غربا، وجبال قدس شرقا، وكان الجمّالة يضطرون إلى إنزال ركابهم عن الجمال أثناء الصعود مما يلى مكة، وكثيراً ما تتعثر الجمال، ويهوى بعضها، فيتكسر، وهى من أعسر مسالك العرب.

(انظر: على طريق الهجرة ص٢٣٤ـ ٢٣٥، وص٢٥٦، معجم المعالم الجغرافية ص١٤٢ـ ١٤٣، طريق الهجرة النبوية ص٨٥ـ ٨٦).

(٢) فى المستدرك «ريم» بالياء، وهو: واد من روافد وادى النقيع (أو العقيق) يأتى من الغرب، فيصب فيه شمال الحنو، يمر فى رئم طريق الغائر بين الماشى والقاحة، على مقربة من بئر الماشى. يبعد مصب رئم عن المدينة قرابة (٦٠) كيلاً شمالاً. (معجم المعالم الجغرافية ص١٤٥، وانظر على طريق الهجرة ص٢٥٦).

(٣) قال الحاكم فى المستدرك: ٣/ ٨ «صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وسكت عليه الذهبى، وقال ابن حجر فى الفتح ٧/ ٢٣٨: «إسناده صحيح». **قلت**: فى إسناد الحاكم إلى ابن إسحاق «مسروق بن المرزبان» قال عنه الحافظ فى التقريب: «صدوق له أوهام».

وهو فى السيرة النبوية لابن هشام عن ابن إسحاق من غير إسناد. وعن ابن كثير فى السيرة ٢/ ٢٥٥ـ ٢٥٦. وأورد الذهبى عن عروة بن الزبير قريباً من ذلك، إلا أنه ترك فى روايته بعض المحطات، (تاريخ الإسلام/ قسم السيرة النبوية ص٣٢٢ـ ٣٢٣).

وقال ابن حجر فى الفتح ٧/ ٢٣٨: «وأخرجه الزبير بن بكار فى «أخبار المدينة» مفسراً منزلة منزلة إلى قباء، وكذلك ابن عائذ من حديث ابن عباس»

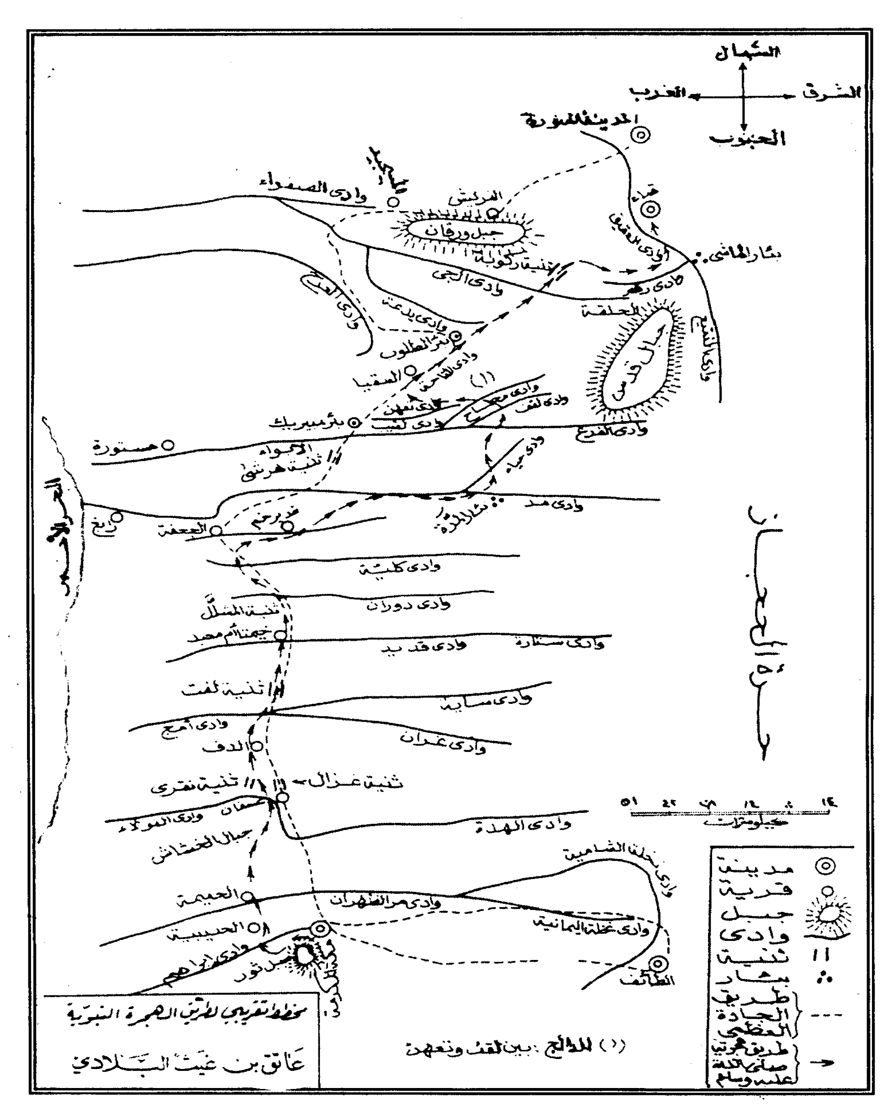
قلت: وقد اعتمدت ـ كما ترى ـ فى تعريف الأماكن وتحديدها على كتابى «عاتق بن غيث البلادى» وهما «معجم المعالم الجغرافية فى السيرة النبوية» و«على طريق الهجرة» (رحلات فى قلب الحجاز)، ثم على كتاب «عبد القدوس الأنصارى» «طريق الهجرة النبوية» ذلك أنهما، وبخاصة الأول، قد سارا فى الطريق، وتتبعاه عياناً، وذلك فى عهد قريب، مما جعل تحديدهما أدق وأوضح، وليس الخبر كالعيان، فجزاهما الله عن دارسى السيرة خيراً كثيراً.

وقد رسم كل منهما مخططاً تقريبياً لطريق الهجرة النبوية، لا يختلف أحدهما عن الآخر إلا شيئاً يسيراً، وأنا أرجح مخطط عاتق؛ لأنه سار فى الطريق بنفسه، ورأى معظم المحطات بعينه، كما أن عبد القدوس كثيراً ما يرجع إلى رأيه ويرجحه. وسوف أثبت هنا صورة المخططين للتوضيح، وانظر للأول: كتاب «على طريق الهجرة» وبخاصة ما ذكره تحت عنوان «طريق الهجرة بالمشاهدة» ص٢٥٧ـ ٢٥٩. وللثانى: كتاب «طريق الهجرة النبوية» وبخاصة الفصل الثانى عشر بعنوان: «بيان مسلسل يحدد مراحل طريق الهجرة النبوية» ص١١٧ـ ١٢٠.

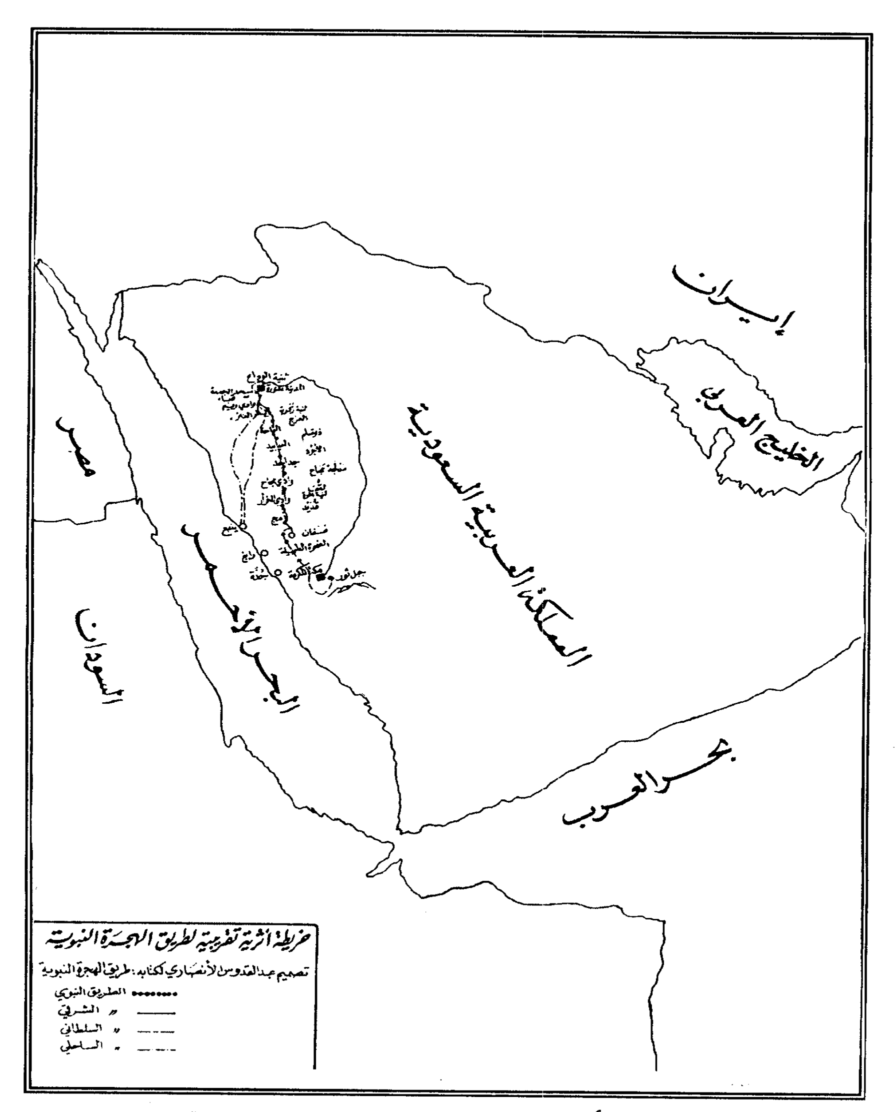
وقبل مغادرة هذا الفصل لابد من الإشارة إلى أن بعض أصحاب السير قد ذكروا طريق الهجرة ومراحله، فوافقوا هذا السرد فى أكثر مواضعه، وربما خالفوا هذه الرواية فى ذكر بعض أسماء المواضع الأخرى التى مرّ بها النبى ﷺ فى طريق هجرته[1]، غير أنى أكتفى هنا بذكر هذا الحديث باعتباره أصحها جميعاً، والله أعلم.

مع وضع هذين الرسمين التقريبيين لطريق الهجرة من عمل الأستاذين: عاتق بن غيث البلادى وعبد القدوس الأنصارى اللذين ذكرا أنهما سارا فى الطريق، وحاولا التعرف على معالمه من خلال مراجعة الكتب السابقة، وسؤال ساكنى المناطق التى مرّا بها.

(١) انظر مثلا: الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ٢٣٢- ٢٣٣، والثقات لابن حبان ١/ ١٢٩- ١٣٠.



خريطة تخطيطية تقريبية لطريق الهجرة النبوية



خريطة أثرية تقريبية لطريق الهجرة النبوية

الفصل الثامن
من دلائل النبوة فى طريق الهجرة

لا شك أن حدوث الهجرة على هذه الصورة التى ذكرت من أعظم الدلائل على نبوة نبينا محمد ﷺ، ولهذا سماها الله نصراً، فقال عز وجل: ﴿**إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين**﴾ الآية.

بل إن هجرة أصحابه بهذه الصورة تعتبر أدلة دامغة على نبوته ﷺ.

إلا أننى أقصد بدلائل النبوة فى طريق الهجرة: تلك الأحداث التى تدل على حفظ الله لنبيه ﷺ، وتلك الأمور الخارقة للعادة التى أجراها الله على يديه فى طريق الهجرة.

والفرق بين دلائل النبوة أو علامات النبوة وبين المعجزة: أن المعجزة أخص، لأنه يشترط فيها أن يتحدى من يكذبه بأن يقول: إن فعلت كذلك أتصدق بأنى صادق؟ أو يقول من يتحداه: لا أصدقك حتى تفعل كذا(١).

وقد مرّ معنا فيما سبق شىء من ذلك، أشير إليه دون إعادة تفصيله:

١ـ خروجه، من بيته: فقد أعمى الله القوم الذين كانوا على بابه وأخذ بأعينهم فخرج، ولم يروه، ووضع على رءوسهم التراب، وحفظه الله من مكرهم(٢).

٢ـ حفظ الله إياه فى الغار: إذ أمر العنكبوت فنسجت على باب الغار، فاختلط الأمر على المشركين حين وصلوا إلى الغار(٣)، ومع أنهم كانوا فى غاية القرب منه إلا أن الله أخذ بأبصارهم، ولو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرهما، كما قال أبو بكر رضى الله عنه، لكن النبى كان على غاية الثقة فى الله(٤)، وقد وصف الله تعالى ذلك فى قوله تعالى ﴿**إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها**﴾ الآية.

٣ـ حفظ الله إياه من سراقة بن مالك: فحين مرّ ببلاد كنانة، وأدركه سراقة بن مالك بن جُعْشُم، وصار بحيث لا يبعد عنهم إلا عدة أمتار، حتى إنه ليسمع أصواتهم

---

(١) انظر: فتح البارى ٦/ ٥٨١ـ ٥٨٢.
(٢) انظر الحديث السابق برقم (٣).
(٣) انظر الحديث السابق برقم (١).
(٤) انظر حديث أبى بكر السابق برقم (٥).

وقراءته ﷺ، أخذ الله بقوائم فرسه، فساخت فى أرض صلبة، وأدرك سراقة أن النبى ﷺ معصوم وممنوع من أن يُنَال بأذىً، فأعطى رسول الله ﷺ عهداً بأن يرد عنه الطلب، واستكتبه كتاب أمنٍ، ورجع يرد الرصد عن طريقه ﷺ[1].

٤ـ إعلام الله إياه بما صنع صهيب رضي الله عنه فى هجرته: إذ افتدى نفسه من الكفار بماله، حتى يتمكن من اللحاق برسول الله ﷺ، فلما أدرك النبى ﷺ بقباء قال له «**ربح البيع أبا يحيى**»، فقال صهيب: والله ما سبقنى إليك أحدٌ، وما أخبرك إلا جبريل عليه السلام[2]، يعنى أنه نزل عليه الوحى من الحق عز وجل عن طريق جبريل.

٥ـ إيمان حَبْر اليهود عبد الله بن سلام بعد ما تأكد من أوصافه ﷺ المذكورة فى التوراة:

ذلك أن أوصافه ﷺ كانت معلومة لليهود من التوراة التى بشرت برسول الله ﷺ، كما جاء فى قوله تعالى: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ**﴾. (الأعراف ١٥٦ : ١٥٧).

وقد كانت معرفة علماء اليهود وأحبارهم بالنبى ﷺ معرفةً دقيقةً، كما قال عز وجل: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ (البقرة ١٤٦).

ولذلك ما إن وصل النبى ﷺ المدينة ورآه الحَبْر عبد الله بن سلام حتى أسلم وشهد بأنه على الحق وأنه جاء بالحق[3].

وقد جاءت روايات متعددة فى قصة إسلامه تؤكد ذلك:

---

(١) انظر الأحاديث أرقام (٥، ٦، ٨).

(٢) سيأتى تفصيل ذلك فى الفصل العاشر فى هجرة صهيب بن سنان، الأحاديث رقم: ١٠٨ : ١١١

(٣) انظر الحديث السابق برقم (٨).

٧٢ـ فمن ذلك ما رواه **عبد الله بن سلام** نفسه رضى الله عنه قال:

لما قدم النبىُّ ﷺ المدنية انجفل[١] الناس عليه، فكنت فيمن انجفل، فلما تبينتُ وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شىء سمعته يقول: «**أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»[٢].

قال ابن كثير: «ومقتضى هذا السياق يقتضى أنه سمع بالنبى ﷺ ورآه أول قدومه، حين أناخ بقباء فى بنى عمرو بن عوف، وتقدم فى رواية عبد العزيز بن صهيب عن أنس (الحديث السابق رقم ٨) أنه اجتمع به حين أناخ عند دار أبى أيوب عند ارتحاله من قباء إلى دار بنى النجار، كما تقدم. فلعله رآه أول ما رآه بقباء، واجتمع به بعد ما صار إلى دار بنى النجار، والله أعلم»[٣].

٧٣ـومن ذلك ما رواه **أنس بن مالك** رضى الله عنه:

«أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم النبى ﷺ المدينة، فأتاه يسأله عن أشياء فقال: إنى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟

قال: «**أخبرنى به جبريلُ آنفاً**». قال ابن سلام: ذاك عدوّ اليهود من الملائكة. قال: «**أما أول أشراط الساعة: فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أولُ طعام يأكله أهل الجنة: فزيادةُ كبد الحوت، وأما الولد: فإذا سبق ماءُ الرجل ماءَ المرأة نزع الولدَ، وإذا سبق ماءُ المرأة ماءَ الرجل نزعت الولدَ**».

قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله. قال: يا رسول الله، إن اليهود قومٌ بُهْتٌ، فاسألهم عنى قبل أن يعلموا بإسلامى. فجاءت اليهود، فقال النبى ﷺ: «**أى رجل عبد الله بن سلام فيكم؟**» قالوا: خيرُنا وابنُ خيرنا، وأفضلنا وابن أفضلنا. فقال

---

(١) انجفل الناس: ذهبوا مسرعين نحوه، يقال: جَفَل وأجفل وانجفل (النهاية ١/ ٢٧٩).

(٢) أخرجه أحمد ٥/ ٤٥١ بإسناد صحيح، والترمذى ـ وقال: صحيح ـ فى كتاب: صفة القيامة، باب: حديث أفشوا السلام ٤/ ٦٥٢ (٢٤٨٥)، وابن ماجه فى كتاب: إقامة الصلاة، باب: ما جاء فى قيام الليل ١/ ٤٢٣ (١٣٣٤)، والدارمى فى كتاب: الصلاة، باب: فضل صلاة الليل ١/ ٤٠٥ (١٤٦٠)، وصححه الحاكم ٣/ ١٣ على شرط الشيخين، ووافقه الذهبى، وكذلك صححه فى ٤/ ١٦٠، وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٥٣١.

(٣) البداية والنهاية ٣/ ٢٠٨.

النبى ﷺ: «**أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام؟**». قالوا: أعاذه الله من ذلك. فأعاد عليهم، فقالوا مثل ذلك. فخرج إليهم عبد الله، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. قالوا: شرُّنا وابن شرِّنا. وتنقَّصوه. قال: هذا كنتُ أخافُ يا رسولَ الله»[1].

٧٤ـ ومنها ما روى ابن إسحاق قال: «حدثني عبد الله بن أبى بكر، عن يحيى بن عبد الله، **عن رجل من آل عبد الله بن سلام قال:** كان من حديث عبد الله بن سلامَ حين أسلم، وكان حَبْراً عالماً، قال: لما سمعتُ رسول الله ﷺ يقول، وعرفت صفته واسمه وهيأته، والذى كنا نتوكّف[2] له، فكنت مُسرًّا لذلك، صامتاً عليه، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة، فلما نزل بقباء فى بنى عمرو بن عوف، فأقبل رجلٌ حتى أخبر بقدومه، وأنا فى رأس نخلة لى، أعمل فيها، وعمتى خالدة بنت الحارث تحتى جالسة، فلما سمعتُ الخبر بقدوم رسول الله ﷺ كبّرتُ، فقالت لى عمتى حين سمعتْ تكبيرى: لو كنتَ سمعتَ بموسى بن عمران مازدتَ! قال: قلت لها: أى عمة، هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه، بُعث بما بُعث به. قال: فقالت: يا ابنَ أخى، أهو النبى الذى كنا نُخْبَر به أنه يُبعث مع بعث الساعة؟ قال: قلت لها: نعم. قالت: فذاك إذاً.

قال: ثم خرجتُ إلى رسول الله ﷺ، فأسلمتُ، ثم رجعتُ إلى أهل بيتى، فأمرتُهم فأسلموا، وكتمتُ إسلامى من اليهود، ثم جئتُ رسول الله ﷺ، فقلت: إن اليهود قوم بُهْتٌ، وإنى أحب أن تدخلنى فى بعض بيوتك، تغيِّبنى عنهم، ثم تسألهم عنى، فيخبروك كيف أنا فيهم، قبل أن يعلموا بإسلامى، فإنهم إن علموا بذلك بهتونى وعابونى. قال: فأدخلنى بعض بيوته، فدخلوا عليه، فكلّموه وساءلوه، قال لهم: «**أى رجل عبد الله بن سلام فيكم؟**» قالوا: سيدنا وابن سيدنا، وحَبْرنا وعالمنا. قال: فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم، فقلت لهم: يا معشر يهود، اتقوا الله، واقبلوا ما جاءكم به، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله، تجدونه مكتوباً عندكم فى التوراة باسمه

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: الأنبياء، باب: خلق آدم وذريته ٦/ ٣٦٢ (٣٣٢٩) مناقب الأنصار، باب: . . ٧/ ٢٧٢ (٣٩٣٨)، وفى كتاب: التفسير، باب: من كان عدواً لجبريل ٨/ ١٦٥(٤٤٨٠)، وأحمد ٣/ ١٠٨، وأبو يعلى ٦/ ٤٥٨ـ ٤٥٩ (٣٨٥٦)، وابن حبان ١٦/ ١١٧ـ ١١٨(٧١٦١)، والبيهقى فى الدلائل ٢/ ٥٢٨ـ ٥٢٩.

(٢) **نتوكّف**: ننتظر ونتوقع. (انظر: النهاية ٤/ ٢٢٨).

وصفته، فإنى أشهد أنه رسول الله، وأومن به، وأصدقه، وأعرفه. قالوا: كذبت، ثم وقعوا فىّ.

قال: فقلت: يا رسول الله، ألم أخبرك أنهم قومٌ بُهْتٌ، أهل غدرٍ وكذبٍ وفجور.

قال: فأظهرت إسلامى، وإسلامَ أهل بيتى، وأسلمت عمتى ابنة الحارث، فحسن إسلامها»[١].

ومن هذه الرواية يتضح جليّاً أن اليهود كانوا على يقينٍ كامل من صدق نبوة نبينا محمد ﷺ، لتطابق حاله ووصفه مع ما جاء عنه فى التوراة، وفى الرواية السابقة رقم(٨) أنه قال لهم: «يا معشر اليهود، اتقوا الله، فوالله الذى لا إله إلا اهو إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بحق».

ويؤكد ذلك ما سبق فى الحديث رقم(٢٦) من أن اليهود كانوا إذا كان بينهم وبين العرب من الأوس والخزرج شىء قالوا لهم: «إن نبيّاً مبعوثٌ الآن، قد أظل زمانه، نتبعه، فنقتلكم معه قتل عادٍ وإرَم».

وذلك ما دفع الوفد الخزرجى أن يقول بعضهم لبعض حين دعاهم النبى ﷺ إلى الإسلام: «يا قوم، تعلّموا، والله إنه للنَّبىُّ الذى توعَّدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه».

ولم يكن عبد الله بن سَلاَم وحده هو الذى اعترف بصدق نبوته ﷺ حين قدم المدينة، بل اعترف بذلك سائر أحبارهم وسادتهم، ولكنهم كفروا بغياً وحسداً.

٧٥ـ قال ابن إسحاق: حدثنى عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، قال: حُدِّثت عن **صفية بنت حُيىّ بن أَخْطَب** (رضى الله عنها) أنها قالت:

«كنتُ أحبَّ ولد أبى إليه، وإلى عمِّى أبى ياسر، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذانى دونه». قالت: «فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قباء فى بنى عمرو بن عوف، غدا عليه أبى حُيَىّ بن أخطب، وعمى أبو ياسر بن أَخْطَب، مُغَلِّسَيْن»[٢] قالت:

---

(١) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٥٣٠ـ ٥٣١، وابن كثير فى البداية والنهاية ٣/ ٢٠٩ـ ٢١٠، وفيه إبهام فى الراوى عن عبد الله بن سلام.

وفى السيرة لابن هشام ١/ ٥١٦ـ ٥١٧: «قال ابن إسحاق: وكان من حديث عبد الله بن سلام ـ كما حدثنى بعض أهله عنه وعن إسلامه حين أسلم ـ..» فذكر القصة.

(٢) مُغَلِّسَين: يعنى فى وقت الغلس، وهو ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح (النهاية ٣/ ٣٧٧).

«فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس». قالت: «فأتيا كالَّين، كسلانين، ساقطين، يمشيان الهُوَيْنى[1]». قالت: فهَشِشْتُ[2] إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلىّ واحدٌ منهما، مع ما بهما من الغمّ». قالت: «وسمعت عمى أبا ياسر، وهو يقول لأبى حُيَىّ بن أخطَب: أهو هو؟ قال: نعم، والله. قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم. قال: فما فى نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت»[3].

وصدق الله مولانا العظيم إذ يقول فى شأنهم:

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ . بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (البقرة ٨٩: ٩١).

٦ـ دعاؤه ﷺ بنقل وباء المدينة إلى الجحفة واستجابة الله تعالى له:

قال ابن إسحاق: «قدم رسول الله ﷺ المدينة، وهى أوبأ أرض الله من الحُمَّى، فأصاب أصحابه منها بلاءٌ وسقمٌ، حتى أجهدهم ذلك، وصرف الله ذلك عن نبيه عليه السلام»[4].

٧٦ـوعن عائشة رضى الله عنها قالت:

«قدمنا المدينة، وهى أوبأ أرض الله، فكان بُطْحَان[5] يجرى

---

(١) **الهُوَيْنى**: تصغير الهُونَى، وهى تأنيث الأهون، وهو المشى الرفيق اللين. (انظر: النهاية ٥/ ٢٨٤).

(٢) **هَشِشت**: من هشّ يَهِش هشاشةً: إذا فرح واستبشر وارتاح للأمر وخفّ له. (انظر: النهاية ٥/ ٢٦٤).

(٣) السيرة النبوية ١/٥١٨ ـ ٥١٩، وهذا إسناد منقطع، ومن طريق ابن إسحاق أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٥٣٣.

(٤) دلائل النبوة للبيهقى ٣/ ٥٦٨، والبداية والنهاية ٣/ ٢٢٢.

(٥) **بُطْحان**: واد من أودية المدينة، وهو يتخلل منطقة العوالى الواقعة شرق المدينة المنورة، وأصبح يسمى بثلاثة أسماءٍ: أعلاه: أم عشرة، ثم قُربان فى الوسط، ثم أبا جِيْدة إذا دخل المدينة، وتمتد فيه حدائق=

نَجْلا[1]» تعنى ماءً آجناً[2].

٧٧ـ وفى رواية عن هشام بن عروة، عن أبيه، **عن عائشة** رضى الله عنها، قالت:

«قدم رسول الله ﷺ المدينة، وهى أوبأ أرض الله، ووادبها بطْحانٌ نَجْلٌ يجرى عليه الأَثْل»[3].

قال هشام: وكان وباؤها معروفاً فى الجاهلية، وكان إذا كان الوادى وبيئاً فأشرف عليه إنسان قيل له: انهق كنهيق الحمار. فإذا فعل ذلك لم يضره وباء ذلك الوادى. وقد قال الشاعر حين أشرف على المدينة:

لعمرى لئن عشَّرت من خيفة الردى نهيقَ الحمار إننى لجزوعُ[4]

٧٨ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما:

«أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة هو وأصحابه أصابتهم حُمَّى المدينة، حتى جهدوا مرضاً، وصرف الله تعالى ذلك عن نبيه ﷺ، حتى كانوا ما يصلون إلا وهم قعود. قال: فخرج عليهم رسول الله ﷺ وهم يصلون كذلك، فقال لهم: «**اعلموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم**» قال: فتجشَّم[5] المسلمون القيام على ما بهم من الضعف والسقم؛ التماسَ الفضل»[6].

= النخيل، وهو يشق المدينة مع الوسط. (انظر: على طريق الهجرة ص١٠٨، ١٣٧، ١٣٨) وهو بضم الباء الموحدة وسكون الطاء المهملة، وقيل: بفتح أوله وكسر ثانيه. (سبل الهدى والرشاد ٣/ ٤٣٢).

(١) **نَجْلاً**: بفتح النون وسكون الجيم: أى أن واديها كان نزاً. والنَّجْل: الماء حين يسيل، والماء الحاصل من النز بصدد أن يتغير، وإذا تغير كان استعماله مما يحدث الوباء فى العادة. (انظر فتح البارى ٤/ ١٠١، وسبل الهدى والرشاد ٣/ ٤٣٢).

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: فضائل المدينة، باب: . . . ٤/ ٩٩ـ ١٠٠(١٨٨٩)، وانظر تخريج الحديث رقم (٦٧) فى الفصل السادس.

(٣) **الأَثْل**: شجر شبيه بالطَّرْفاء، إلا أنه أعظم منه. (النهاية ١/ ٢٣).

(٤) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٥٦٧، وعنه ابن كثير فى البداية والنهاية ٣/ ٢٢١ـ ٢٢٢.

(٥) **التَّجشُّم**: التكلف، يقال: جَشِمت الأمر وتجشمته: إذا تكلفته (النهاية ١/ ٢٧٤).

(٦) أخرجه ابن إسحاق، فقال: وذكر ابن شهاب الزهرى، عن عبد الله بن عمرو به (السيرة النبوية ١/ ٥٩٠)، ويشهد له حديث أنس المذكور بعده، كما يشهد له ما أخرجه مسلم فى كتاب: صلاة المسافرين، باب: جواز النافلة قائماً وقاعداً ١/ ٥٠٧ (٧٣٥/ ١٢٠) وأحمد ٢/ ١٦٢ عن عبد الله بن عمرو، أنه أتى النبى ﷺ فوجده يصلى جالساً، فقال له: حُدِّثتُ يا رسول الله أنك قلت: «صلاة الرجل قاعداً على نصف الصلاة». . . الحديث.

٧٩ـ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال:

«قدم النبىّ ﷺ المدينة، وهى مُحِمَّةٌ، فحُمَّ الناس، فدخل النبى ﷺ المسجد والناس قعودٌ يصلون. . .» فذكر نحوه[٧].

٨٠ـ وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال:

«قدمنا المدينة، فنالنا وباءٌ من وَعَك المدينة شديد، وكان الناس يكثرون أن يصلوا فى سُبْحتهم جلوساً. . .» فذكر نحوه[٢].

تصوِّر النصوص السابقة حقيقة كانت معلومةً للقاصى والدانى، وهى أن أرض المدينة كانت وَخِمةً وبيئة، حتى إن قريشاً كانت على معرفة بذلك، مما دعا النبىَّ ﷺ أن يأمر أصحابه فى عمرة القضاء بالرَّمَل والإسراع فى الطواف وفى السعى، حين قدم عليهم مكة فى عمرة القضاء.

٨١ ـ فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال:

«قدم رسول الله ﷺ وأصحابه، فقال المشركون: إنه يَقْدَم عليكم وفدٌ قد وَهَنَتْهم[٣] حُمَّى يثرب. فأمرهم النبى ﷺ أن يَرْمُلوا الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا ما بين الركنين، ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلّها إلا الإبقاء عليهم».

زاد فى رواية: «فقال المشركون: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمَّى وهنتهم؟ لهؤلاء أجلد من كذا»[٤].

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ١٣٦، وعبد الرزاق ٢/ ٤٧١ـ ٤٧٢(٤١٢١)، وابن ماجه فى كتاب: إقامة الصلاة، باب: صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم١/ ٣٨٨ (١٢٣٠)، وفى الزوائد: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٤٧١(٤١٢٠). **والسُّبْحة**: صلاة النافلة. (انظر: النهاية ٢/ ٣٣١).

(٣) **وهَنتهم**، بتخفيف الهاء وتشديدها: أى أضعفتهم. (فتح البارى ٧/ ٥٠٩).

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: الحج، باب: كيف كان بدء الرمل ٣/ ٤٦٩ـ ٤٧٠ (١٦٠٢) وفى كتاب: المغازى، باب: عمرة القضاء ٧/ ٥٠٨ـ ٥٠٩(٤٢٥٦)، ومسلم فى كتاب: الحج، باب: استحباب الرمل فى الطواف والعمرة ٢/ ٩٢٣ (١٢٦٦/ ٢٤٠)، وأبو داود فى كتاب: المناسك، باب: فى الرَّمَل ٢/ ١٧٨ (١٨٨٦)، والنسائى فى كتاب: المناسك، باب: العلة التى من أجلها سعى النبىﷺ بالبيت ٣/ ٢٣٠ـ ٢٣١.

قال ابن كثير: «وعمرة القضاء كانت فى سنة سبع فى ذى القعدة، فإما أن يكون تأخر دعاؤه عليه السلام بنقل الوباء إلى قريب من ذلك، أو أنه رفع وبقى آثار منه قليل. . .» (البداية والنهاية ٣/ ٢٢٢).

قلت: الاحتمال الثانى أقرب، يدل لذلك حديث عائشة، إذ فيه أنها لما أخبرت رسول الله ﷺ بوعك أصحابه دعا بهذا الدعاء.

ولا شك أن هذا الوباء وهذه الحمّى قد آذت الصحابة، وأضرَّت بهم، كَما هو واضحٌ من النصوص المذكورة.

ومن ثَمَّ فقد دعا النبىُّ ﷺ ربَّه جل وعلا أن ينقل وباء المدينة إلى الجحفة، فاستجاب الله عز وجل له، وكان ذلك علامة من علامات نبوته ﷺ.

٨٢ ـ فعن عائشة رضى الله عنها قالت:

«قدمنا المدينة، وهى أوبأ أرض الله من الحمّى، فأصاب أصحابه منها بلاءٌ وسقمٌ، فصرف الله تعالى ذلك عن نبيه ﷺ. قالت: فكان أبو بكرٍ، وعامر بن فهيرة، وبلال موليا أبى بكر رضى الله عنهم مع أبى بكر فى بيتٍ واحدٍ، فأصابتهم الحمّى، فدخلتُ عليهم أعودهم، وذلك قبل أن يضرب الحجاب، وبهم مالا يعلمه إلا الله من شدة الوَعْك، فدنوتُ من أبى بكر، فقلت له: كيف تجدك يا أبت؟ فقال: .

كلُّ امرىءٍ مُصَبَّحٌ فى أهله والموت أدنى من شراك نعله

قالت: فقلت: والله ما يدرى أبى ما يقول.

قالت: ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة، فقلت له: كيف تجدك يا عامر؟ فقال:

لقد وجدتُ الموتَ قبل ذوقه إن الجبان حَتْفُه من فوقه

كل امرىءٍ مجاهدٌ بطوقه كالثور يحمى جلده برَوْقه[1]

قالت: فقلت: والله ما يدرى عامرٌ ما يقول.

قالت: وكان بلالٌ إذا تركته الحُمّى اضطجع بفناء البيت، ثم رفع عقيرته، فقال:

ألاَ ليتَ شعرى هل أبيتنَّ ليلةً بفخٍّ وحولى إذْخَرٌ وجليلُ

وهل أَرِدَنْ يوماً مياة مَجنَّةٍ وهل يَبْدُوَنْ لى شامةٌ وطفيل

قالت عائشة رضى الله عنها: فذكرتُ لرسول الله ﷺ ما سمعت منهم، فقلت: إنهم لَيَهْذُون[2]، وما يعقلون من شدة الحمّى.

قالت: فقال رسول الله ﷺ: **«اللهم حبِّبْ إلينا المدينة؛ كما حببتَ إلينا مكةَ، أو**

---

(١) قال ابن هشام فى السيرة ١/ ١٨٩: «(بطوقه) يريد: بطاقته» وقال الصالحى: «الطوق هنا: الطاقة والعُدة. والرَّوْق، بالراء والقاف: القرن» (سبل الهدى والرشاد ٣/ ٤٣٢).

(٢) يَهْذون: يخلطون، ويتكلمون بما لا ينبغى. (سبل الهدى والرشاد ٣/ ٤٣٣).

أشد، وبارك لنا فى مُدّها وصاعها، وانقل وباءها إلى مَهْيَعَة» ومَهْيَعَة: الجُحفة[1].

٨٣ـ زاد فى رواية أخرى: «**قال هشام (ابن عروة)**: فكان المولود يُولَد بالجُحفة، فلا يبلغ الحُلُم حتى تصرعه الحُمَّى»[2].

وقد خرجت الحُمَّى من المدينة، فلم تَعُد إليها بعدُ، ببركة دعائه ﷺ، وقد أُرى رسول الله ﷺ خروجها فى منامه.

٨٤ـ فعن ابن عمر رضى الله عنهما، أن النبى ﷺ قال:

«رأيت امرأةً سوداء ثائرةَ الرأس، خرجتْ من المدينة، حتى نزلتْ بمَهْيَعة، فتأوَّلْتُها أن وباء المدينة نُقِل إلى مَهْيَعة، وهى الجُحفة»[3].

٨٥ـ وعن عروة بن الزبير قال:

«أصبح رسول الله ﷺ يوماً، فجاء إنسانٌ قدم من ناحية طريق مكة، فقال له: «**هل لقيتَ أحداً؟**» قال: لا، يا رسول الله، إلا امرأة سوداءَ عريانةً ثائرة الشعر. فقال رسول الله ﷺ: «**تلك الحُمَّى، ولن تعود بعد اليوم أبدا**»[4].

٧ـ اجتياز النبى ﷺ براعٍ وحلبه شاةً لم يكن بها لبن:

فى طريقه ﷺ إلى المدينة لاشك أنه كان فى حاجة إلى التزوُّد بالطعام والشراب، إما بالشراء من الرعاة الذين ينتشرون فى طول الطريق فى الصحراء، وإما بما هو معهود عند

---

(١) رواه ابن إسحاق قال: «حدثنى هشام بن عروة وعمر بن عبد الله بن عروة عن عروة عن عائشة» فهو إسناد صحيح (السيرة النبوية ١/ ٥٨٨ـ ٥٨٩)، ومن طريقه أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٥٦٦ـ ٥٦٧، وأحمد ٦/ ٦٥، ٢٢٢، وليس فيه هشام بن عروة.

وقد سبق تخريج هذا الحديث فى الفصل السادس برقم(٦٧) إلا أن ابن إسحاق انفرد بذكر عامر بن فهيرة. وقد ذكرها مالك أيضا فى روايته عن يحيى بن سعيد بالقصة (وهو سند معضل) الموطأ، كتاب: الجامع، باب: ما جاء فى وباء المدينة ٢/ ٧٨٧(١٥).

وأخرجه البلاذرى فى فتوح البلدان ص٢٥ من طريق عباد بن عباد، عن هشام، وذكره ابن حبان فى الثقات ١/ ١٣٨ من غير إسناد.

(٢) أخرجه أحمد ٦/ ٢٦٠، والبيهقى فى الدلائل ٢/ ٥٦٨. وعنه ابن كثير فى البداية والنهاية ٣/ ٢٢٢، وقال النووى فى شرح مسلم ٩/ ١٥٠: «وفى هذا الحديث علم من أعلام نبوة نبينا ﷺ، فإن الجحفة من يومئذ مجتنبة، ولا يشرب أحد من مائها إلا حُمّ».

(٣) أخرجّه البخارى فى كتاب: التعبير، باب: المرأة السوداء ١٢/ ٤٢٦ (٧٠٣٩) وانظر(٧٠٣٨، ٧٠٤٠)، والترمذى ـ وصححه ـ فى كتاب: الرؤيا، باب: ما جاء فى رؤيا النبى ﷺ الميزان والدلو ٤/ ٥٤١(٢٢٩٠)، والنسائى فى الكبرى فى كتاب: التعبير، باب: السوداء ٤/ ٣٩٠(٧٦٥١)، وابن ماجه فى كتاب: تعبير الرؤيا، باب: تعبير الرؤيا ٢/ ١٢٩٣ (٣٩٢٤)، والدارمى فى كتاب: الرؤيا، باب: في القمص والبئر. ٢/ ١٧٤ (٢١٦١)، وأحمد ٢/ ١٠٧، ١١٧، ١٣٧، والبيهقى فى الدلائل ٢/ ٥٦٨.

(٤) مرسل، عزاه الصالحى فى سبل الهدى والرشاد ٣/ ٤٢٩ للزبير بن بكار، والله أعلم بإسناده.

العرب من المكارمة وإطعام وسقى ابن السبيل، وقد مرّ ﷺ فى طريقه براعٍ، فسأله أبو بكر: هل أنت حالبٌ؟ قال: نعم. فأخذ شاةً، فحلب للنبى ﷺ ولأبى بكر، كما سبق ذكره فى الحديث رقم(٦) عن البراء.

وهذه قصة راع آخر، فيها دليل من دلائل نبوته ﷺ:

٨٦ـ فعن قيس بن النعمان رضى الله عنه قال:

«لما انطلق النبى ﷺ وأبو بكر مستخفيين مراً بعبد يرعى غنما، فاستسقياه من اللبن، فقال: ما عندى شاة تحلب، غير أن هاهنا عناقاً[١] حملت فى أول الشتاء، وقد أخدجت[٢]، وما بقى لها لبن. فقال: **«ادع بها»**. فدعا بها، فاعتقلها النبىُّ ﷺ، ومسح ضرعها، ودعا حتى أنزلت.

قال: وجاء أبو بكر رضى الله عنه بمجن[٣]، فحلب فسقى أبا بكر، ثم حلب، فسقى الراعى، ثم حلب، فشرب، فقال الراعى: بالله من أنت، فوالله ما رأيت مثلك قط، قال: **«أو تراك تكتم علىّ حتى أخبرك؟»** قال: نعم. قال: **«فإنى محمد رسول الله»**. فقال: أنت الذى تزعم قريش أنه صابىء؟ فقال: **«إنهم ليقولون ذلك»**. قال: فأشهد أنك نبىٌّ، وأشهد أن ما جئت به حق، وأنه لا يفعل ما فعلتَ إلا نبىٌّ، وأنا متبعك. قال: **«إنك لا تستطيع ذلك يومك، فإذا بلغك أنى قد ظهرت فأتنا»**[٤].

٨ـ مروره بخيمتى أم معبد، وما ظهر فى ذلك من دلائل النبوة:

أم معبد: هى عاتكة بنت خالد بن منقذ بن ربيعة بن أصرم، وقال ابن هشام: عاتكة بنت كعب، وقال الأموى: عاتكة بنت تبيع حليف بنى منقذ بن ربيعة بن أصرم، وهى امرأة من خزاعة[٥]. ومعلوم أن خزاعة لم تكن على وفاقٍ مع قريش.

---

(١) **العَنَاق**: هى الأنثى من أولاد المعز، ما لم يتم له سنة (النهاية ٣/ ٣١١).

(٢) **أخدجت**: ولدت ولدها ناقص الخلق وإن كان لتمام الحمل(انظر: النهاية ٢/ ١٢).

(٣) **المجن**: التُّرس، وسمى كذلك لأنه يوارى حامله ويستره. (انظر: النهاية ١/ ٣٠٨).

(٤) أخرجه الحاكم ٣/ ٨ـ ٩ وقا: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبى، ومن طريقه أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٩٧، وابن سيد الناس فى عيون الأثر ١/ ٢٣١.

وأخرجه البزار ٢/ ٣٠١(١٧٤٣) وقال الهيثمى فى المجمع ٦/ ٥٨: «ورجاله رجال الصحيح» غير أنه قال: «مرا بأبى معبد».

(٥) انظر: دلائل النبوة للبيهقى ١/ ٢٨٠ و٢/ ٤٩٣، والسيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٨٧، والبداية والنهاية ٣/ ١٨٨، والروض الأنف ٢/ ٢٣٥.

وقد مرَّ النبى ﷺ بخيمتها فى قُدَيد[1]، حيث مساكن خزاعة، وهى أخت حبيش بن خالد الخزاعى، الذى روى قصتها، وهى قصة تناقلها الرواة وأصحاب السير، وقال عنها ابن كثير: «وقصتها مشهورة مروية من طرقٍ يشد بعضها بعضاً»[2]. وهاك قصتها:

٨٧ ـ عن خالد بن حبيش الخزاعى رضى الله عنه، صاحب رسول الله ﷺ:

«أن **رسول الله** ﷺ حين خرج من مكة، وخرج منها مهاجراً إلى المدينة، هو وأبو بكر رضى الله عنه، ومولى أبى بكر عامرُ بن فُهَيْرة رضى الله عنه، ودليلُهما الليثىُّ عبد الله بن الأريقط، مرُّوا على خيمتى أم معبد الخزاعية، وكانت برزة[3] جلدة[4]، تحتبى[5] بفناء القبة، ثم تسقى وتطعم، فسألوهما لحماً وتمراً؛ ليشتروه منها، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك، وكان القومُ مُرْمِلين[6] مُسْنِتين[7]، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة فى كِسْرِ الخيمة[8]، فقال: «**ما هذه الشاة يا أم معبد؟**». قالت: خلّفها الجهْدُ عن الغنم. قال: «**فهل بها من لبن؟**». قالت: هى أَجْهَدُ من ذلك. قال: «**أتأذنين أن أحلبها؟**». قالت: بلى بأبى أنت وأمى، نعم إن رأيتَ بها حَلْبا فاحلبها.

---

(١) ويعرف هذا الموضع اليوم باسم **«أم معبد»** بطرف وادى قُدَيد من الشمال إذا فاض فى الساحل، تشرف عليها من الشمال ثنية المشلّل، وهى تبعد عن الطريق المعبدة حوالى ثمانية كيلومترات تقريبا. وقد ظل هذا المكان يتوارثه الناس، فيروى قصته الأحفاد عن الأجداد. (انظر: معجم المعالم الجغرافية فى السيرة ص١١٩ـ ١٢٠، وعلى طريق الهجرة ص٤٥).

(٢) البداية والنهاية ٣/ ١٨٨.
وسوف أورد فى التعليقات التالية معانى غريب حديث أم معبد، ورغبةً فى الاختصار فإننى أذكر هنا مصادر تلك المعانى، وهى: دلائل النبوة للبيهقى ١/ ٢٨٢ وما بعدها، ودلائل النبوة لأبى القاسم الأصبهانى ٢/ ٥٣٤ وما بعدها، تاريخ الإسلام للذهبى قسم السيرة ص٤٤٢ وما بعدها، وسبل الهدى والرشاد ٣/ ٣٦٨ وما بعدها فإن نقلت من غير هذه المصادر فإنى أذكره إن شاء الله.

(٣) **بَرْزَة**: كهلة كبيرة السن، لا تحتجب احتجاب الشواب، وهى مع ذلك عفيفة عاقلة، تجلس للناس، تحدثهم، من البروز، وهو الظهور.

(٤) **جَلْدة**: إما قوية صلبة، وإما عاسية كبيرة السن، وقيل: عاقلة.

(٥) **تحتبى**: أى تجلس وتضم يديها إحداهما إلى الأخرى، على ركبتيها، وتلك جلسة الأعراب. **قلت**: وذلك بأن تجلس على أَلْيتها ناصبة ركبتيها، عاقدةً يديها على ساقيها.

(٦) **مَرْمِلين**: نفذ زادهم، وأصله من الرَّمْل، كأنهم لصقوا بالرمل.

(٧) **مُسْنِتين**: أى داخلين فى السنة وهى الجدب والمجاعة والقحط.

(٨) **كَسْرَ الخيمة**: بفتح الكاف وكسرها، وسكون المهملة: أى جانبها، ولكل بيت كسران عن يمين وشمال.

فدعا بها رسول الله ﷺ، فمسح بيده ضرعها، وسمّى الله عز وجل، ودعا لها فى شاتها، فتفاجّت[١] عليه، ودرّت[٢]، واجترّت[٣]. ودعا بإناء يُرْبض[٤] الرهط، فحلب فيها ثجًّا[٥]، حتى علاه البهاء[٦]، ثم سقاها حتى رَوِيَتْ، وسقَى أصحابه حتى رَوَوْا، وشرب آخرهم ﷺ، ثم أراضوا[٧]، ثم حلب فيها ثانياً بعد بدء حتى ملأ الإناء، ثم غادره عندها، ثم بايعها، وارتحلوا عنها.

فقلّما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أَعْنُزاً عجافاً[٨]، يتساوكن هُزْلاً ضحى[٩]، مخُّهن قليل، فلما رأى أبو معبد اللبن عجب، وقال: من أين لك هذا اللبن يا أم معبد، والشاة عازبٌ حيال[١٠]، ولا حَلُوبة فى البيت؟ قالت: لا والله، إلا أنه مرّ بنا رجلٌ مباركٌ، من حاله كذا وكذا. قال: صفيه لى يا أم معبد.

قالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة[١١]، أبلج الوجه[١٢]، حسن الخلق، لم تَعبْه نُحْلَة[١٣]، ولم تُزْر به صَعْلة[١٤]، وسيم[١٥]، فى عينيه ....

(١) **تفاجّت**: فتحت ما بين رجليها للحلب.
(٢) **درّت**: أرسلت اللبن.
(٣) **اجترّت**: من الجرّة، وهى ما تخرجها البهيمة من كرشها تمضغها.
(٤) **يُرْبض الرهط**: يُرْويهم حتى يثقلوا فيربضوا، أى يقعوا على الأرض للنوم والاستراحة، من ربض فى المكان يربض إذا لصق به وأقام ملازماً له.
ويروى «**يريض الرهط**» أى يرويهم، من أراض الحوض إذا صب فيه من الماء ما يوارى أرضه.
والرهط: من الثلاثة إلى العشرة.
(٥) **الثج**: السيلان، ومعنى «**ثجاً**»: لبنا كثيراً سائلاً، ومنه قوله تعالى ﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾ (النبأ: ١٤).
(٦) **علاه البهاءُ**: أى علا الإناءَ بهاء اللبن وهو وبيص - أى بريق - رغوته، والمعنى أنه ملأ الإناء تماماً.
(٧) **أراضوا**: أى رَوَوْا، فنقعوا بالرى، يريد شربوا مرةً بعد مرة حتى رووا، من أراض الوادى إذا استنقع فيه الماء. (وانظر النهاية ١/ ٣٩).
(٨) **العجاف**: ضد السِّمان، وهو جمع عجفاء وهى المهزولة.
(٩) **يَتَسَاوَكْن هُزْلاً**: يتمايلن من الضعف، ويروى: يتشاركن، أى قد عمَّهن الهزال، واشتركن فيه.
(١٠) **عازبٌ**: بعيدة المرعى لا تأوى إلى البيت إلا فى الليل، **وحِيَال**، بكسر الحاء المهملة: أى لم تحمل.
(١١) **ظاهر الوَضَاءة**: ظاهر الجمال والحسن.
(١٢) **أَبْلَج الوجه**: مشرق الوجه مضيئه.
(١٣) نُحْلة، بالنون المضمومة، والحاء المهملة: من النُّحول والدقة والضُّمور، أى أنه ليس نحيلاً.
ويُرْوَى «ثُجْلة» بضم الثاء المثلثة، وسكون الجيم، وهى عظم البطن وسعته مع استرخاء أسفله.
(١٤) الصَّعْلة: بفتح الصاد وإسكان العين: صغر الرأس، وهى تعنى الدقة والنحول فى البدن.
ويروى «صقلة» بالقاف بدل العين: وهى الدقة والضمرة، والصَّقْل: منقطع الأضلاع من الخاصرة.
(١٥) وسيم، ويروى «وسيم قسيم»: والوسيم المشهور بالحسن كأنه صار الحسن له سمة، والقسيم: الحسَن قسمة الوجه.

دَعَجٌ(1)، وفى أشفاره وَطفٌ(2)، وفى صوته صَهَلٌ(3)،وفى عنقه سَطَع(4)، وفى لحيته كثاثة، أَزَجٌ(5)،أقرن(6)،إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سما(7) وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، حلو المنطق، فصل لا هذر ولا نزر(8)، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن، رَبْعٌ(9) لا يأس من طول(10)، ولا تقتحمه العين من قصرَ(11)، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظراً، وأحسنهم قدراً، له رفقاء يحفُّون به، إن قال أنصتوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، مَحْفُودٌ(12)، محشودٌ(13)، لا عابسٌ ولا مفند(14).

قال أبو معبد: هو والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة، ولقد هممتُ أن أصحبه، ولأفعلنّ إن وجدتُ إلى ذلك سبيلا.

فأصبح صوت بمكة عالياً، يسمعون الصوت، ولا يدرون من صاحبه، وهو يقول:

---

(1) **الدَّعَج**: شدة سواد العين فى شدة بياضها.

(2) **فى أشفاره وطف: الأشفار**: جمع شُفْر - بضم الشين وقد تفتح - وهو طرف جَفن العين الذى ينبت عليه الشعر، والمراد هنا: الشعر االنابت على الجفن.

والوَطَف: بفتح الواو والطاء، ويُرْوَى «**الغَطَف**» بالغين المعجمة بدل الواو، هو الطول. ويروى «**العَطَف**» بالعين المهملة وهو التثنى، وهو أن تطول أشفار العين حتى تنعطف.

(3) **صَهَل**: ويروى «**صَحَل**»: هو كالبُحَّة وهو ألا يكون حاد الصوت.

(4) **السَّطَع**: طول العنق.

(5) **أزَج**: دقيق شعر الحاجبين مع طولهما. وقال ابن الأثير: الزَّجَج: تقوس فى الحاجب مع طول فى طرفه وامتداد. (النهاية ٢/٢٩٦).

(6) **أقرن**: متصل ما بين حاجبين من الشعر، أو مقرون الحاجبين (النهاية ٤/ ٥٤).

(7) **إن تكلم سما**: يعنى علا، برأسه أو بيده وارتفع.

(8) **لا هَذْر، ولا نَزْر**: الهذر من الكلام: ما لا فائدة فيه، والنزر: القليل. **قلت**: والمقصود أن كلامه ﷺ كان فصلاً بيّناً لا كثير فيُمَلّ، ولا قليل لا يُفْهم.

(9) **رَبْع**: ليس بالقصير ولا بالطويل.

(10) **لا يأس من طول**: ليس بالطويل الذى يُؤيس مُبَارِيَه من مطاولته. قال البيهقى؛ ويحتمل أن يكون تصحيفاً، وأحسبه «لا بائن من طول». **قلت**: وقد روى كذلك ومعناه: لا يجاوز الناس طولاً.

(11) **لا تقتحمه العين قصر**: لا تزدريه ولا تحتقره، أو لا تتجاوزه إلى غيره، احتقاراً له، وكل شىء ازدريته فقد اقتحمته.

(12) **مَحْفُود**: مخدوم.

(13) **مَحْشود**: يجتمع الناس حواليه، من قولك: حشدت لفلان فى كذا: إذا أردت أنك أعددت له وجمعت، وقيل: المحشود: المحفوف، وحشده أصحابه: أطافوا به.

(14) **لا عابسٌ ولا مُفَنّد**: ليس عابس الوجه، ولا مفند: أى ليس منسوباً إلى الجهل وقلة العقل. ويروى «ولا مُعْتَد»: من العدا وهو الظلم، أى ليس بظالم.

جزى اللهُ ربُّ الناس خير جزائه رفيقين قالا[1] خيمتى أم مَعْبدِ
هما نزلا بالهُدى واهتدت به فقد فاز من أمسى رفيق محمد
فيَا لَقُصَىٍّ ما زوى اللهُ عنكمُ به من فعالٍ لا تجارى وسُؤدَدِ[2]
لِيَهْنِ[3] بنى كعبٍ مكانُ فتاتهم ومقعدها للمؤمنين بمرصدِ
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاةٍ حائل[4] فتحلّبت عليه صريحاً ضرةُ الشاة مُزْبد[5]
فغادرها رهناً لديها لحالب يرددها فى مصدرٍ ثم موردِ[6]

فلما سمع حسان بن ثابت بذلك شبَّب[7] ، يجاوب الهاتف وهو يقول:

لقد خاب قومٌ زال عنهم نبيُّهمْ وقُدِّس من يسرى إليهم ويَغْتدى[8]
ترحَّل عن قومٍ فضَلّتْ عقولُهمْ وحلّ على قومٍ بنورٍ مجدَّدِ
هداهم به بعد الضلالة ربُّهم وأرشدهم، من يتبع الحق يرْشد

---

(١) **قالا**: نزلا فى وقت القيلولة على الخيمتين.

(٢) **الفَعَال**: بفتح الفاء وتخفيف العين: الكرم، ويجوز أن يكون بكسر الفاء، جمعا. **والسؤدَد**: من السيادة، يقال: ساد قومه سيادة وسوددا، وهو مصدر.

(٣) **لَيَهْن**: يعنى هنيئاً، وأصلها: ليهنا.

(٤) **حائل**: غير حامل (النهاية ١/ ٤٦٣)، وهى مفرد «حيَال» التى سَبَقت.

(٥) **الصريح**: الخالص، **والضرة**: لحم الضرع، **ومزبد**: صفة لصريح: ولكنه مجرور على المجاورة. وقد روى «له بصريح ضرة الشاة مزبد» وهو أولى.

(٦) **فغادرها رهناً لديها لحالب**: أى أنه خلّف الشاة عندها مرتهنةً بأن تدرَّ. وقد عزا الصالحى فى (سبل الهدى والرشاد ٣/ ٣٤٧) إلى ابن سعد وأبى نعيم عن أم معبد قالت: «بقيت الشاة التى لمس النبى ﷺ ضرعها عندنا حتى كان زمان الرمادة، وهى سنة ثمانى عشرة من الهجرة زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وكنا نحلبها صبوحاً وغَبوقاً، وما فى الأرض قليل ولا كثير». وقال هشام بن حبيش: «أنا رأيت تلك الشاة وإنها لَتَأدِم أمَّ معبد وجميع صِرْمتها «أى أهل ذلك الماء» **ومعنى «يرددها فى مصدر ثم مورد»** يحلبها مرةً ثم أخرى.

(٧) **شبَّب**: أى ابتدأ فى جواب الهاتف، وليس من التشبيب بالنساء فى الشعر والتعرض لذكرهن (منال الطالب لابن الأثير ص١٩٢ـ ١٩٣).

(٨) **قُدِّس**: طُهِّر.

وهل يستوى ضُلاَّل قوم تسفَّهوا ... عِمايَتَهم، هادٍ به كلٌّ مهتدِ[1]

وقد نزلت منه على أهل يثرب ... ركابُ هُدىً حلّت عليهم بأسْعُدِ[2]

نبىٌّ يرى ما لا يرى الناسُ حوله ... ويتلو كتابَ الله فى كل مَسْجِدِ

وإن قال فى يومٍ مقالة غائبٍ ... فتصديقُها فى اليوم أو فى ضُحى الغدِ

لِيَهْنِ أبا بكر سعادةُ جدِّه[3] ... بصحبته، مَن يُسعِدِ اللهُ يَسْعَدِ

لِيَهْنِ بنى كعبٍ مكانُ فتاتهم ... ومقعدُها للمؤمنين بمرصد[4]

قال الحافظ مُغلطاى بن قليج: «ثم هاجرت بعد ذلك هى وزوجها، فأسلما، وكان أهلها يؤرخون بيوم نزول الرجل المبارك»[5].

ولعله يشير بذلك إلى اتحاد قصتها مع القصة الأخرى المروية عن أبى بكر:

٨٨ ـ فعن عبد الرحمن بن أبى ليلى، عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال:

---

(١) **هاد به كلٌّ مهتد**: هذا كلام مستأنف فيه تقديم وتأخير، أى كل مهتد هاد به. ومعنى «**عَمَايتهم**»: ضلاّلهم. و«**يستوى**» بمعنى: يستقيم، أى هل يستقيم ضُلاّلُ قوم تعمدواً السفه فى ضلالهم. أو هى من التسوية، ويكون قد حذف المساوَى به لدلالة ما قبله عليه وهو قوله «من يتبع الحق يرشد»، وعليه فالمعنى: هل يستوى ضلال قوم تسفهوا عَمايتهم مع من اتبع الحق ورشد. (انظر: منال الطالب لابن الأثير ص١٩٤).

(٢) أَسْعُد: جمع سعد، وهو جمع قلة.

(٣) سعادة: فاعل لِيَهْنِ، والمفعول: أبا بكر، و«جدّه»: حظه.

(٤) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٤/ ٤٨ـ ٥١(٣٦٠٥)، والحاكم ـ وصححه ووافقه الذهبى ـ ٣/ ٩ـ ١٠، وابن سعد فى الطبقات الكبرى ١/ ٢٣٠ـ ٢٣٢، والبيهقى فى الدلائل١/ ٢٧٦ـ ٢٨١ وأبو القاسم الأصبهانى فى دلائل النبوة ٢/ ٥١٧ـ ٥٢٦ (٥٣ : ٥٦)، وابن سيد الناس فى عيون الأثر ١/ ٢٣٠، وأورده الذهبى فى السيرة من تاريخ الإسلام ص٤٣٧ـ ٤٤٢، ومغلطاى فى الإشاره ص١٥٩ـ ١٦١ وابن كثير فى البداية والنهاية ٣/ ١٩٠ـ ١٧٢، وقد سبق قوله: «وقصتها مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضاً».
وقال الحاكم: «ويستدل على صحته وصدق رواته بدلائل، فمنها: نزول المصطفى ﷺ بالخيمتين متواتراً فى أخبارٍ صحيحةٍ ذوات عدد، ومنها: أن الذين ساقوا الحديث على وجهه أهل الخيمتين من الأعاريب الذين لا يُتهمون بوَضع الحديث، والزيادة والنقصان، وقد أخذوه لفظاً بعد لفظٍ عن أبى معبد وأم معبد، ومنها: أن له أسانيد كالأخذ باليد أخذ الولد عن أبيه، والأب عن جده، لا إرسال ولا وَهَن فى الرواة، ومنها أن الحُرّ بن الصَّيَّاح النخعى أخذه عن أبى معبد كما أخذه ولده عنه» ثم ساق أسانيده وطرقه إلى أبى أحمد بشر بن محمد السكرى، عن عبد الملك بن وهب المذحجى، عن الحرّ بن الصَّيَّاح عن أبى معبد.
قال الذهبى: «ما فى هذه الطرق شىء على شرط الصحيح».
وقد أورد ابن حبان القصة بدون إسناد فى كتاب «الثقات» ١/ ١٢٣ـ ١٢٨.

(٥) الإشارة إلى سيرة المصطفى ص١٦١ـ ١٦٢.

«خرجت مع رسول الله ﷺ، فانتهينا إلى حيٍّ من أحياء العرب، فنظر رسول الله ﷺ إلى بيت منتحياً، فقصد إليه، فلما نزلنا لم يكن فيه إلا امرأة، فقالت: يا عبد الله، إنما أنا امرأة، وليس معى أحد، فعليكما بعظيم الحى إذا أردتم القِرَى. قال: فلم يجبها، وذلك عند المساء، فجاء ابن لها بأعُنز له يسوقها، فقالت له: يا بنى، انطلق بهذه العنز والشَّفْرة إلى هذين الرجلين، فقل لهما: تقول لكما أمى: اذبحا وكلا وأطعمانا. فلما جاء قال له النبى ﷺ: «**انطلق بالشّفْرة، وجئنى بالقدح**». قال: إنها قد عزبت[1]، وليس لها للبن. قال: «انطلق». فانطلق، فجاء بقدح، فمسح النبىُّ ﷺ ضرعها، ثم حلب، حتى ملأ القدح، ثم قال: «**انطلق به إلى أمك**». فشربت حتى رويت، ثم جاء به، فقال: «**انطلق بهذه، وجئنى بأخرى**» ففعل بها كذلك، ثم سقى أبا بكر، ثم جاء بأخرى، ففعل بها كذلك، ثم شرب النبى ﷺ.

قال: فبتْنا ليلتنا، ثم انطلقنا، فكانت تسميه المبارك. وكثرت غنمها، حتى جلبت جَلْباً إلى المدينة، فمرّ أبو بكر الصديق رضى الله عنه، فرآه ابنها فعرفه، فقال: يا أمه، إن هذا الرجل الذى كان مع المبارك. فقامت إليه، فقالت: يا عبد الله، مَن الرجل الذى كان معك؟ قال: وما تدرين ما هو؟ قالت: لا. قال: هو النبى ﷺ. قالت: فأَدْخِلنى عليه. قال: فأدخلها عليه، فأطعمها وأعطاها».

زاد فى رواية: «قالت: فدُلَّنى عليه. فانطلقَتْ معى، فأهدتْ له شيئاً من أقطٍ ومتاع الأعراب. قال: فكساها وأعطاها. قال: ولا أعلمه إلا قال: أسملت»[2].

قال البيهقى: «وهذه القصة، وإن كانت تنقص عما روينا فى قصة أم معبد، ويزيد فى بعضها؛ فهى قريبة منها، ويشبه أن يكونا واحدة.

وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار من قصة أم معبد شيئاً يدل على أنها وهذه واحدة، والله أعلم»[3]. ثم ساق القصة التالية بسنده لابن إسحاق.

---

(١) عزبت: صارت عزباء أو عازب، من العزوبة، وهى عدم النكاح، أى أنها لم تنكح حتى تحمل وتلد، ويكون لها لبن.

(٢) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٩١- ٤٩٢، وقال ابن كثير فى البداية والنهاية ٣/ ١٨٩- ١٩٠ «إسناد حسن»، لكن قال الذهبى فى السيرة (تاريخ الإسلام ١/ ٣٢٩- ٣٣٠): «إسناده نظيف، لكن منقطع بين أبى بكر وعبد الرحمن بن أبى ليلى».

(٣) دلائل النبوة ٢/ ٤٩٢، ونقله عنه ابن كثير فى البداية والنهاية ٣/ ١٩٠ دون تعليق.

٨٩ ـ **عن محمد بن إسحاق** قال:

«ونزل رسول الله ﷺ بخيمة أم معبد، وهى التى غرّد بها الجن بأعلى مكة، واسمها: عاتكة بنت خالد بن منقذ بن ربيعة بن أصرم، فأرادوا القِرَى، فقالت: والله ما عندنا طعام، ولا لنا منحة، ولا لنا شاةٌ، إلا حائل. فدعا رسول الله ﷺ ببعض غنمها، فمسح ضرعها بيده، ودعا الله، وحلب فى العس[١]، حتى رغّى[٢]، وقال: «**اشربى يا أم معبد**». فقالت: اشرب فأنت أحق به. فرده عليها، فشربت.

ثم دعا بحائل أخرى، ففعل بها مثل ذلك، فشرب.

ثم دعا بحائل أخرى، ففعل بها مثل ذلك، فسقى دليله.

ثم دعا بحائل أخرى، ففعل بها مثل ذلك، فسقى عامراً، ثم يروح.

وطلبت قريش رسول الله ﷺ، حتى بلغوا أم معبد، فسألوها عنه، فقالوا: رأيتِ محمداً، وحليته كذا؟ فوصفوه لها، فقالت: ما أدرى ما تقولون، قد ضافنى حالب الحائل. قالت قريش: فذاك الذى نريد».

ثم قال البيهقى: «فيحتمل أن يكون أولاً رأى التى فى كسر الخيمة، كما روينا فى حديث أم معبد (الذى سبق ذكره عن حبيش بن خالد)، ثم رجع ابنها بأعنز، كما روينا فى حديث ابن أبى ليلى، ثم لما أتى زوجها وصفته له، والله أعلم»[٣].

---

(١) **العس**: القدح الكبير، وجمعه: أعساس وعساس. (النهاية ٣/ ٢٣٦).

(٢) **رغّى اللبن**: صارت له رغوة.

(٣) دلائل النبوة ٢/ ٤٩٣ـ ٤٩٤، وذكره ابن كثير فى السيرة (البداية والنهاية ٣/ ١٨٨ـ ١٨٩) ونقل معنى كلام البيهقى فى ٣/ ١٩٢.

الفصل التاسع

استقبال الأنصار للنبى ﷺ والمهاجرين

فرح الأنصار بقدوم إخوانهم المهاجرين عليهم أيما فرح، فأكرموهم، وأنزلوهم فى دورهم، وآووهم، وآسوهم، حتى جاء النبى ﷺ فآخى بينهم، وحلّت أخوّة الإيمان محلّ أخوة النسب، حتى ورث كلٌ من الأخوين الآخر، وقدّم الأنصارُ المثلَ الصادق للأخوّة الإسلامية، فآثروا إخوانهم المهاجرين على أنفسهم، وقاسموهم لقمة العيش، وأذهبوا عنهم وحشة الغربة، ومفارقة الأهل والديار، فى أريحيةٍ عاليةٍ، وإيثارٍ عجيب، حتى إنهم اقترحوا على النبى ﷺ أن يقسم نخلهم بينهم وبين المهاجرين، ولما كان المهاجرون غير عارفين بأصول الزراعة، ورعاية النخل، فقد أشار النبى ﷺ على الأنصار أن يبقى لهم نخلهم فى ملكهم، وأن يشركوا معهم المهاجرين فى الثمر فقط، فأجابوا إلى ذلك فى سعادة وحبور.

٩٠ـ فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال:

«قالت الأنصار: **أقسم بيننا وبينهم النخل**. قال: «**لا**». قال: «**يكفوننا المؤنةَ، ويَشْرَكَونُنا فى الثمر**». **قالوا: سمعنا وأطعنا**»[١].

٩١ـ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال:

«لما قدم المهاجرون المدينة من مكة، وليس بأيديهم، وكانت الأنصار أهل الأرض والعقار، فقاسمهم الأنصار[٢]، على أن يعطوهم ثمار أموالهم كل عام، ويكفوهم العمل والمؤنة» إلى أن قال: «إن النبى ﷺ لما فرغ من قتال أهل خيبر، فانصرف إلى

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: المزارعة، باب: إذا قال: اكفنى مؤونة النخل وغيره تشركنى فى الثمر ٥/ ٨(٢٣٢٥)، وفى كتاب: الشروط، باب: الشروط فى المعاملة ٥/ ٣٢٢(٢٧١٩)، وفى كتاب: مناقب الأنصار، باب: إخاء النبى ﷺ بين المهاجرين والأنصار٧/ ١١٣(٣٧٨٢)، والنسائى فى الكبرى فى كتاب: المناقب، باب: ذكر قول النبى ﷺ «لو لا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار» ٥/ ٨٦(٨٣٢١).

(٢) قال ابن حجر فى الفتح ٥/ ٢٤٤: «ظاهره مغاير لقوله فى حديث أبى هريرة «قالت الأنصار: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل. قال: لا». والجمع بينهما: أن المراد بالمقاسمة هنا القسمة المعنوية، وهى التى أجابهم إليها فى حديث أبي هريرة، حيث قال: «قالوا: فيكفوننا المؤنة ونشركهم فى الثمر» فكان المراد هنا: مقاسمة الثمار، والمنفى هناك: مقاسمة الأصول».

المدينة ردّ المهاجرون إلى الأنصار منائحهم من ثمارهم» الحديث[1].

٩٢ـ وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم:

«قال رسول الله ﷺ للأنصار: «**إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد، وخرجوا إليكم**». فقالوا: أموالنا بيننا قطائع. فقال رسول الله ﷺ: «**أو غير ذلك؟**». قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «**هم قوم لا يعرفون العمل، فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر؟**» **قالوا: نعم**»[2].

أما طريقة التقاسم فهى صورة من أعظم صور الإيثار والمواساة والأخوة.

٩٣ـ فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال:

«كانت الأنصار إذا جدُّوا[3] نخلهم قسم الرجل تمره قسمين: أحدهما أقل من الآخر، ثم يجعلون السَّعَف[4] مع أقلهما، ثم يخيّرون المسلمين، فيأخذون أكثرهما، ويأخذ الأنصار أقلّهما من أجل السَّعَف، حتى فتحت خيبر...» الحديث[5].

ولما أراد النبى ﷺ أن يكافىء الأنصار، ويختصهم بإقطاعهم البحرين وتخصيصهم

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: الهبة، باب: فضل المنيحة ٥/ ٢٤٢(٢٦٣٠)، ومسلم فى كتاب: الجهاد، باب: رد المهاجرين إلى الأنصار منائحهم من الشجر والثمر حين استغنوا عنها بالفتوح ٣/ ١٣٩١ـ ١٣٩٢(١٧٧١/ ٧٠)، والنسائى فى الكبرى فى كتاب: المناقب، باب قول النبى ﷺ «لولا الهجرة لكنت امرءاً الأنصار ٥/ ٨٦(٨٣٢٠)، وابن حبان ١٤/ ١٩٢(٦٢٨٢).

(٢) مرسل ذكره ابن كثير فى البداية والنهاية ٣/ ٢٢٧ وفى التفسير٤/ ٣٣٨، ويشهد لصحبته الحديث المتصل المرفوع قبله، هذا ويفترض بعض الباحثين سبباً آخر له وجاهته، هو رغبة رسول الله ﷺ ألا ينغمس المهاجرون الآن فى الزراعة والعمل، بل يبقوا على أهبة الاستعداد للمواجهة والجهاد والغزو، فهم الرصيد الذى يتحرك بهم لعلمياته العسكرية خارج المدينة، والملاحظ أن كل السرايا والبعوث قبل بدرٍ كانت عوالاً على المهاجرين. (فقه السيرة لمنير محمد غضبان ص٣٦٤).

وثمة سبب آخر ذكره العلماء لرفض النبى ﷺ القسمة ذكره ابن حجر فى الفتح ٥/ ٨ـ ٩ فقال: «قال المهلب: إنما قال لهم النبى ﷺ «لا» لأنه علم أن الفتوح ستفتح عليهم، فكره أن يخرج شىء من عقار الأنصار عنهم، فلما فهم الأنصار ذلك جمعوا بين المصلحتين: امتثال ما أمرهم به، وتعجيل مواساة إخوانهم المهاجرين، فسألوهم أن يساعدوهم فى العمل، ويشركوهم فى الثمر» وقد أيد ذلك ابن حجر رحمه الله.

(٣) جَدُّوا: من الجداد ـ بالفتح والكسر ـ وهو صِرَام النخل أى قطع ثمارها (انظر: النهاية فى غريب الحديث ١/ ٢٤٤).

(٤) السَّعَف: جمع سَعَفَة ـ بالتحريك ـ وهى أغصان النخيل. (الصحاح٤/ ١٣٧٤، والنهاية ٢/ ٣٦٨).

(٥) أخرجه البزار ٣/ (٢٠٤١) بإسنادين عن مجالد عن الشعبى عن جابر، وقال: «لا نعلمه عن جابر إلا بهذا الإسناد» وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٤٠: «وفيهما مجالد، وفيه خلاف، وبقية رجاله رجال الصحيح».

بما يتحصل من جزيتها وخراجها، وذلك بعد أن صالح النبى ﷺ أهلها، وضرب عليهم الجزية. لما أراد النبى ﷺ ذلك، رفض الأنصار فى إيثار عجيب أن يستأثروا بخراجها دون إخوانهم المهاجرين.

٩٤ـ فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال:

«دعا النبىُّ ﷺ الأنصار ليكتب لهم بالبحرين، فقالوا: لا والله، حتى تكتب لإخواننا من قريش ـ وفى رواية: لإخواننا المهاجرين ـ بمثلها. فقال لهم ذلك ما شاء الله على ذلك يقولون له[1]. قال: «**فإنكم سترون بعدى أثرةً، فاصبروا حتى تلقونى على الحوض**»[2].

وقد تسابق الأنصار وتنافسوا فى استضافة المهاجرين، حتى إنه لم ينزل مهاجرى على أنصارى إلا بقرعة:

٩٥ـ فعن خارجة بن زيد بن ثابت، أن أم العلاء ـ امرأةٌ من نسائهم بايعت النبى ﷺ ـ أخبرته أن عثمان بن مظعون طار لهم[3] فى السكنى، حيت اقترعت الأنصار على سكنى المهاجرين. . الحديث فى وفاة عثمان بن مظعون رضى الله عنه[4].

وليس هذا محلَّ الحديث عن مظاهر الإخاء، وقصص البر والإكرام، التى امتلأت بها بطون الكتب والأسفار، ويكفى أن نردد الآيات الكريمة التى تحدثت عن حب الأنصار للمهاجرين، واحتفائهم بهم، وإيثارهم إياهم على أنفسهم، إذ يقول عز وجل:

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ . وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ

---

(١) أى أنه كرّر عليهم هذا الأمر كثيراً، وفى كل مرة كانوا يردون بنفس الجواب.

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: الجزية والموادعة، باب: ما أقطع النبى ﷺ من البحرين ٦/ ٢٦٨ (٣١٦٣) وفى كتاب: مناقب الأنصار، باب: قول النبى ﷺ للأنصار: «اصبروا حتى تلقونى على الحوض» ٧/ ١١٧ (٣٧٩٤)، وعلقه فى كتاب: المساقاة، باب: كتابة القطائع ٥/ ٤٨ـ ٤٩(٢٣٧٧)، وأحمد ٣/ ١١١، ١٨٢ـ ١٨٣، وأبو يعلى ٦/ ٣٢٦ (٣٦٤٩)، وابن حبان ١٦/ ٢٦٥ـ ٢٦٦ (٧٢٧٥ـ ٧٢٧٦).

(٣) **طار لهم**: أى خرج فى القرعة لهم (فتح البارى ٧/ ٢٦٥).

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب: مناقب الأنصار، باب: مقدم النبى ﷺ وأصحابه المدينة ٧/ ٢٦٤ (٣٩٢٩).

﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٨ـ ٩)[١].

ولم ينس المهاجرون لإخوانهم الأنصار هذا الفضل، بل حفظوه وعرفوه، بغاية التقدير والإكبار، حتى لقد خشوا أن يذهب إخوانهم الأنصار بالأجر كله، لما رأوا من سماحة نفوسهم وسخاوة أيديهم.

٩٦ـ فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال:

«قال المهاجرون: يا رسول الله، ما رأينا مثل قوم قَدِمْنا عليهم، أحسنَ مواساةً فى قليل، ولا أحسن بذلاً فى كثير. لقد كفونا المؤنة، وأشركونا فى المهنأ[٢]، حتى لقد خَشِينا أن يذهبوا بالأجر كله. قال: **«لا، ما أثنيتم عليهم، ودعوتم لهم الله عز وجل»**[٣].

ومع أن الميراث بين المهاجرين والأنصار قد نُسخ، فإن الولاء فيما بينهم ظلّ فى غاية القوة فبقى بعضهم أولياء بعض.

٩٧ـ فعن جرير بن عبد الله رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال:

«المهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض فى الدنيا والآخرة»[٤].

---

(١) ذكر البلاذرى فى فتوح البلدان ص٣٣ـ ٣٤ أنه لما ظهر رسول الله ﷺ على أموال بنى النضير، فكانت مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب، قال ﷺ للأنصار: **«ليست لإخوانكم من المهاجرين أموال، فإن شئتم قسمت هذه وأموالكم بينكم وبينهم جميعا، وإن شئتم أمسكتم أموالكم، وقسمت هذه فيهم خاصة»** فقالوا: بل قسم هذه فيهم واقسم لهم من أموالنا ما شئت، فنزلت **﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾** فقال أبو بكر: جزاكم الله يا معشر الأنصار خيرا، فوالله ما مثلنا ومثلكم إلا كما قال الغنوى:

جزى الله عنا جعفراً حين أزلقت	بنا نعلنا فى الوطأتين فزلّتِ
أَبَوْا أن يملُّونا، ولو أن أمَّنا	تلاقى الذى يلقون منا لملَّتِ
فذو المال موفور وكل معصب	إلى حجرات ادفات وأظلّتِ

(٢) المهنأ ـ بفتح الميم وضمها ـ: كل أمرٍ يأتيك من غير تعب. (النهاية ٥/ ٢٧٧).

(٣) أخرجه أحمد ٣/ ٢٠٠، ٢٠٤، وقال ابن كثير فى البداية والنهاية ٣/ ٢٢٧: «هذا حديث ثلاثى الإسناد على شرط الصحيحين». وأخرجه الترمذى فى كتاب: صفة القيامة، باب: رقم(٤٤) (بدون) ٤/ ٦٥٣ (٢٤٨٧) وقال: «حديث صحيح حسن غريب من هذا الوجه»، وأخرجه أبو داود مختصراً فى كتاب: الأدب، باب: فى شكر المعروف٤/ ٢٥٥ (٤٨١٢). وعزاه الصالحى فى سبل الهدى والرشاد٣/ ٥٢٨ـ ٥٢٩ للخرائطى.

(٤) أخرجه الطيالسى ص٩٣(٦٧١) بإسناد حسن، وأخرجه الطبرانى فى الكبير٢/ ٣١٣ (٢٣٠٢) وأرقام (٢٢٨٤، ٢٣١١، ٢٣١٤، ٢٤٣٨، ٢٤٥٦) وأحمد ٤/ ٣٦٣، وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ١٥: «أحد أسانيد الطبرانى رجاله رجال الصحيح» وصححه الحاكم ٤/ ٨٠ـ ٨١ ووافقه الذهبى، وصححه ابن حبان ١٦/ ٢٥٠ (٧٢٦٠).

أما استقبال الأنصار لرسول الله ﷺ: فأمر لم يسبق لأحدٍ من العرب فعله من مظهر الحب الصادق، والاحتفاء الحقيقى، والفرح الغامر، فهم منذ أن بلغهم خبر خروجه إليهم، وهم فى تلهُّفٍ وانتظار وشوق إلى قدومه عليهم، حتى إنهم كانوا إذا صلوا الصبح خرجوا كل يومٍ إلى ظاهر الحَرَّة، ينتظرون إشراقة وجهه المبارك عليهم، ويبقون على ذلك حتى يؤذيهم حرّ الظهيرة، فينقلبون إلى بيوتهم، وكان ذلك فى أيام شديدة الحرارة فى أشهر الصيف وظل هذا المشهد يتجدد يوميا من يوم مخرجه حتى يوم قدومه ﷺ[1].

٩٨ـ قال ابن إسحاق: فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة قال: **حدثنى رجال من قومى من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا:**

«لما سمعنا بمخرجِ رسول الله ﷺ من مكة، وتَوَكَّفْنا[2] قدومه، كنا نخرج إذا صلينا الصبح إلى ظاهر حَرَّتنا، ننتظر رسول الله ﷺ، فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال، فإذا لم نجد ظلاً دخلنا، وذلك فى أيامٍ حارّة، حتى إذا كان اليوم الذى قدم فيه رسول الله ﷺ، جلسنا كما كنا نجلس، حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا، وقدم رسول الله ﷺ حين دخلنا البيوت، فكان أولَ من رآه رجلٌ من اليهود، وقد رأى ما كنا نصنع، وأنا ننتظر قدوم رسول الله ﷺ علينا، فصرخ بأعلى صوته: يا بنى قَيْلة[3]، هذا جَدُّكم قد جاء.

قال: فخرجنا إلى رسول الله ﷺ، وهو فى ظل نخلة، ومعه أبو بكر رضى الله عنه فى مثل سنِّه، وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله ﷺ قبل ذلك، وركبه الناس[4]، وما يعرفونه من أبى بكر، حتى زال الظل عن رسول الله ﷺ، فقام أبو بكرٍ، فأظله بردائه، فعرفناه عند ذلك»[5].

---

(١) انظر الحديث السابق برقم (٧).

(٢) توكَفْنا: توقعنا وانتظرنا واستشعرنا، والتوكُّف: التوقع، من وكف المطر يوكف وكفاً: إذا وقع، وتوكف الخبر، إذا انتظر وكفه يعنى وقوعه. (انظر النهاية ٤/ ٢٢٨).

(٣) قيلة ـ بفتح القاف وسكون الياء التحتية ـ الجدة الكبرى للأنصار. (سبل الهدى والرشاد ٣/ ٣٨٤).

(٤) ركبه الناس: أى ازدحموا عليه.

(٥) السيرة النبوية ١/ ٤٩٢، وهذا إسناد صحيح. ومن طريق ابن إسحاق أخرجه الطبرى فى تاريخ الأمم والملوك ١/ ٣٨١ـ ٣٨٢، والبيهقى فى الدلائل ٢/ ٥٠٢ـ ٥٠٣، وذكره الذهبى فى تاريخ الإسلام قسم السيرة ص٣٣١، وابن كثير فى البداية والنهاية ٣/ ١٩٤.

وبقى النبىُّ ﷺ فى قباء أربع عشرة ليلةً، على الصحيح من الروايات[١] بنى فيها المسجد الذى أسس على التقوى، ثم أرسل إلى أخواله من بنى النجار، ليدخل إلى باطن المدينة وينزل عليهم، يكرمهم بذلك، فجاءوا متقلدين سيوفهم، وخرج أهل المدينة يتلقون رسولَ الله ﷺ، وركب رسول الله ﷺ ناقته، وحشد المسلمون، ولبسوا السلاح، وساروا مئات عن يمينه وعن شماله وخلفه، منهم الماشى والراكب، وفيهم الصغير والكبير، فى مشهد رائع عجيب، واحتفالٍ عظيم مَهيب، وعمت الفرحة البيوت والطرقات، وتناشد الرجال والنساء والصبيان والولائد الأشعار، وكان يوماً لم تشهده المدينة من قبل[٢].

٩٩ـ عن أنس رضى الله عنه قال:

«لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كلُّ شىء...» الحديث[٣].

١٠٠ـ وعنه أيضاً قال:

«شهدته عليه الصلاة والسلام يوم دخل علينا المدينة، فلم أرَ يوماً أضوأ منه، ولا أحسن منه...» الحديث[٤].

١٠١ـ وعنه أيضاً قال:

«إنى لأسعى فى الغلمان، يقولون: جاء محمد، فأسعى فلا أرى شيئاً، ثم يقولون: جاء محمد، فأسعى فلا أرى شيئاً، حتى جاء رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر، فكَمنَّا[٥] فى بعض حِرَار[٦] المدينة، ثم بعثنا رجلاً من بعض البادية ليُؤْذن بهما الأنصار، فاستقبلهما زُهاء خمسمائة من الأنصار، حتى انتهوا إليهما، فقالت الأنصار: انطلقا آمنَيْن مُطاعينْ.

---

(١) انظر حديث أنس السابق برقم (٩).

(٢) انظر الحديثين رقمى (٨، ٩).

(٣) أخرجه الترمذى ـ وقال: غريب صحيح ـ فى كتاب: المناقب، باب: فى فضل النبى ﷺ ٥/٥٤٩ (٣٦١٨)، وابن ماجه فى كتاب: الجنائز، باب: ذكر وفاته ودفنه ١/٥٢٢(١٦٣١)، وابن سعد فى الطبقات ١/٢٣٤.

(٤) أخرجه أحمد بإسناد صحيح فى المسند ٣/٢٤٠، والدارمى فى المقدمة باب: فى وفاة النبى ﷺ ١/٥٤(٨٨)، وابن سعد فى الطبقات ١/٢٣٤، والبيهقى فى الدلائل٢/٥٠٧ـ ٥٠٨، وصححه الحاكم٣/١٢ على شرط مسلم، ووافقه الذهبى.

(٥) فى سبل الهدى والرشاد: «كمنّا فى بعض جدار المدينة» وفسّر كَمنّا بمعنى «استترنا» (٣/٣٩٦).

(٦) حِرَار: جمع حرَّة، وهى الأرض ذات الحجارة السود (النهاية١/٣٦٥).

فأقبل رسول الله ﷺ وصاحبه بين أظهرهم، فخرج أهل المدينة، حتى إن العواتق[1] لفوق البيوت يتراءينه، يقلْن: أيهم هو؟ أيهم هو؟ فما رأينا منظراً شبيهاً به يومئذ»[2].

١٠٢ـ وعنه أيضا رضى الله عنه قال:

«لما قدم رسول الله ﷺ المدينة لعبت الحبشة لقدومه بحرابهم؛ فرحاً لذلك»[3].

١٠٣ـ وفى بعض روايات حديث البراء السابق رقم(٦) **عن أبى بكر** رضى الله عنه قال:

«وقدم الناس حين قدمنا المدينة فى الطريق وعلى البيوت، والغِلمانُ والخدمُ يقولون: جاء رسول الله، جاء رسول الله، الله أكبر، جاء محمد، الله أكبر، جاء محمد»[4].

١٠٤ـ وفى حديث آخر **للبراء** رضى الله عنه قال:

«... ثم قدم النبىُّ ﷺ، فما رأيتُ أهل المدينة فرحوا بشىء فرحَهم برسول الله ﷺ، حتى جعل الإماءُ يقلْن: قدم رسول الله ﷺ...» الحديث[5].

وتنازع رجال القبائل المختلفة خطام ناقته ﷺ، كلهم يريد أن يحظى بشرف نزوله ﷺ عنده، لتكون تلك مفخرة الدهر التى يعتز بها، وكل منهم يقول على سبيل الإغراء: يا رسول الله، هلمّ إلى العزة والمنَعة والثروة والقوة والمواساة، والنبى ﷺ يأمرهم أن يتركوا خطام الناقة، ويقول: «**خلُّوا سبيلها؛ فإنها مأمورة**»، حتى أتى أخواله من بنى النجار، يقصد إكرامهم بالنزول عندهم، فتنازعه بنو النجار، يريد كل منهم أن يحظى بشرف استضافته عنده، وهو ﷺ يقول لهم: «**دعُوا الناقة؛ فإنها مأمورة**»، والجوارى من بنى النجار يرتجزن ويُنشدن؛ فرحاً بجوار النبى ﷺ، حتى نزل على أبى أيوب الأنصارى.

---

(١) العواتق: جمع عاتق، وهى الشابة أول ما تدرك. وقيل: هى التى لم تَبِنْ (أى لم تفترق وتنفصل) من والدتها، ولم تَزَوّج، وقد أدركت وشبت. (سبل الهدى والرشاد٣/ ٣٩٦).

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٢٢٢ بإسناد صحيح، والبيهقى فى الدلائل ٢/ ٥٠٧، وعزاه ابن حجر في الفتح٧/ ٢٥١ للبخارى فى الصغير بإسناد صحيح. وقال الذهبى فى تاريخ الإسلام قسم السيرة ص٣٣٣: «صحيح».

(٣) أخرجه أحمد ٣/ ١٦١، وأبو داود فى كتاب: الأدب، باب: النهى عن الغناء٤/ ٢٨١(٤٩٢٣) وإسناده صحيح.

(٤) وانظر: دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٥٠٦، والحاكم ٣/ ١٢ـ ١٣ وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبى، وابن حبان فى الثقات ١/ ١٣٢.

(٥) هو تكملة الحديث السابق رقم (٣٩).

١٠٥ـ فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال:

«قدم رسول الله ﷺ المدينة، فلما دخل المدينة جاءت الأنصار برجالها ونسائها، فقالوا: إلينا يا رسول الله. فقال: **«دعوا الناقة؛ فإنها مأمورة»**، فبركت على باب أبى أيوب. قال: فخرجت جوارٍ من بنى النجار يضربن بالدفوف، وهن يقلن:

نحن جَوَارٍ من بنى النجار   يا حبّذا محمد من جار

فخرج إليهم رسول الله ﷺ، فقال: **«أتحبونى؟»**. فقالوا: إى والله يا رسول الله. قال: **«أنا والله أحبكم، أنا والله أحبكم، أنا والله أحبكم»**[1].

١٠٦ـ وفى رواية قال: «مرّ رسول الله ﷺ بحىٍّ بنى النجار، وإذا جوارٍ يضربن بالدُّفِّ يقلن:

نحن جوارٍ من بنى النجّار   يا حبّذا محمد من جار

فقال النبى ﷺ: **«الله يعلم أن قلبى يحبكن»**[2].

وقام خطباء الأنصار مجددين البيعة لرسول الله ﷺ.

١٠٧ـ فعن أنس رضى الله عنه قال:

«خطب ثابت بن قيس عند مقدم النبى ﷺ المدينة، فقال: نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأولادنا، فما لنا؟. قال: **«الجنة»**. قال: رضينا»[3].

---

(١) أخرجه البيهقى فى الدلائل٢/٥٠٨، وعزاه ابن كثير فى البداية والنهاية ٣/١٩٨ وابن حجر فى الفتح ٧/ ٢٦١ إلى الحاكم، وقال ابن كثير: «هذا حديث غريب من هذا الوجه لم يرده أحد من أصحاب السنن»، وزاد الصالحى فى سبل الهدى والرشاد ٣/ ٣٩٠ عزوه لأبى سعيد النيسابورى.

(٢) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٥٠٨. وأخرجه ابن ماجه فى كتاب: النكاح، باب: الغناء والدف١/ ٦١٢(١٨٩٩) وفيه أن النبى ﷺ مرّ ببعض المدينة، فإذا هو بجوار... فذكره، وقال البوصيرى فى الزوائد: «إسناده صحيح، ورجاله ثقات» وأخرجه أبو يعلى٦/ ١٣٤ (٣٤٠٩) لكنه قال: **«اللهم بارك فيهن»** بدل «الله يعلم...»، وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٤٢: «رواه أبو يعلى من طريق رشيد، عن ثابت، ورشيد هذا قال الذهبى: مجهول».

(٣) صححه الحاكم ٣/ ٢٣٤ على شرط الشيخين، ووافقه االذهبى، وأخرجه أبو يعلى ٦/ ٤١٠ (٣٧٧٢). قال الهيثمى فى المجمع ٦/٤٨: «رجاله رجال الصحيح» وذكره.الذهبى فى ترجمة قيس بن ثابت فى سير أعلام النبلاء ١/ ١٠٩.

الفصل العاشر
من مشاهد العظمة فى الهجرة

لم تكن الهجرة حدثًا عاديًا، أو مجرد انتقال من دار إلى دار، وإنما كانت عملا مُضْنيًا فى غاية المشقة، وتضحيةً نادرةً بكل شىء فى سبيل الله، وإنَّ فيها لَمَشَاهدَ يندهش لها بصر التاريخ وسمعه، تفصح عن عَزْمة الإيمان التى بعثها محمد ﷺ فى النفوس، فشرت أنفسها ابتغاء مرضات الله.

لقد سعت قريشُ إلى عرقلة هجرة المؤمنين بكل وسيلة، وأثارت المشاكل الكثيرة أمامهم، ودبرت الحِيَل لمنعهم، عساها تثنيهم عن الهجرة، فمرة تغتصب وتحتجز أموالهم، وتارة تمنع منهم زوجاتهم، وثالثة تحتال لإعادتهم إلى مكة.

غير أن ذلك كله لم يفتَّ فى عضد المؤمنين المهاجرين، ولم يَعُقْهم عن متابعة رحلتهم المباركة، إذ كانوا على أتم الاستعداد للتخلى عن أى شىء فى سبيل الله.

رأينا - فيما سبق - مواقف علىٍّ وأبى بكر، وفيها من قوة الإيمان وعمق اليقين ومضاء العزيمة ما لا يكاد يوجد إلا فى الرجل بعد الرجل، وعلى قدر أهل العزم تأتى العزائم.

غير أن هذه المواقف الرائعة لم تكن هى كلَّ مواقف العظمة والشموخ فى الهجرة المباركة، بل امتلأ هذا الحدث العظيم بكثيرٍ من مشاهد العظمة والتجرد والتضحية، التى تعطى الأمة دروسًا بليغةً فى بناء المجد وتحصيل العزة.

وهاك بعضَ هذه المشاهد - كما هى - بلا تزويق ولا ترويق، وليحاول كلُّ مسلمٍ أن يستنبط الدروس ويتلمس العبر من هذه المشاهد العظيمة.

١ - هجرة صهيب بن سنان:

كان صهيب بن سنان النَّمرى من النَّمر بن قاسط، أغارت عليهم الروم، فسُبى وهو صغير، وأخذ لسان أولئك الذين سَبَوْه، ثم تقلّب فى الرِّق، حتى ابتاعه عبد الله بن جُدْعان، ثم أعتقه، ودخل الإسلام هو وعمار بن ياسر رضى الله عنهما فى يومٍ واحدٍ[(١)].

وكانت هجرة صهيب رضى الله عنه عملاً تتجلى فيه روعة الإيمان، وعظمة التجرد

(١) انظر ترجمته فى الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ١٦٩، والمستدرك ٣/ ٣٩٧، وحلية الأولياء ١/ ١٥١ - ١٥٦، أسد الغابة ٣/ ٣٦ (٢٥٣٦)، الإصابة ٣/ ٢٥٤ (٤٠٩٩).

لله، حيث ضحّى بكل ما يملك فى سبيل الله ورسوله واللحوق بكتيبة التوحيد والإيمان.

١٠٨ ـ فعنه رضى الله عنه قال:

«قال رسول الله ﷺ: **أُريتُ دارَ هجرتكم، سَبْخَةً بين ظهراني حَرَّة، فإمّا أن تكون هَجَرًا أو تكون يثرب**».

قال: وخرج رسول الله ﷺ إلى المدينة، وخرج معه أبو بكر، وكنتُ قد هممتُ بالخروج معه، فصدّنى فتيانٌ من قريش، فجعلتُ ليلتى تلك أقوم ولا أقعد، فقالوا: قد شغله الله عنكم ببطنه ـ ولم أكن شاكيًا ـ فناموا، فلحقنى منهم ناسٌ بعد ما سِرْتُ بريدًا[١]؛ ليردونى، فقلت لهم: هل لكم أن أعطيكم أواقى من ذهب، وتخلُّون سبيلى، وتَفُون لى؟ فتبعتُهم إلى مكة، فقلت لهم: احفروا تحت أُسْكُفَّة الباب[٢]، فإن تحتها الأواق، واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحُلَّتين.

وخرجتُ حتى قدمتُ على رسول الله ﷺ قبل أن يتحوّل منها ـ يعنى قباء ـ فلما رآنى قال: «**يا أبا يحيى، ربح البيع**» ثلاثًا. فقلت: يا رسول الله، ما سبقنى إليك أحد، وما أخبرك إلا جبريل عليه السلام»[٣].

١٠٩ ـ وعن أبى عثمان النهدى رحمه الله قال:

«بلغنى أن صهيبًا حين أراد الهجرة إلى المدينة قال له أهل مكة: أتيتنا ها هنا صُعْلُوكًا[٤] حقيرًا، فكثر مالُك عندنا، وبلغتَ ما بلغتَ، ثم تنطلق بنفسك ومالك؟ والله لا يكون ذلك. فقال: أرأيتم إن تركتُ مالى تخلون أنتم سبيلى؟ قالوا: نعم. فجعل لهم ماله أجمع.

فبلغ ذلك النبىَّ ﷺ، فقال: «**ربح صُهيب، ربح صُهيب**»[٥].

---

(١) **البريد:** أربعة فراسخ، والفرسخ: ثلاثة أميال، والميل: أربعة آلاف ذراع. (انظر: النهاية ١/ ١١٦).

(٢) **أُسْكُفَّة الباب:** العتبة التى يوطأ بها. (مجمل اللغة لابن فارس ١/ ٤٦٨).

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٤٠٠ وقال: «صحيح الإسناد» ولم يخرجاه» ووافقه الذهبى. وأخرجه الطبرانى فى الكبير ٨/ ٣٦ ـ ٣٧ (٧٢٩٦)، وأبو نعيم فى الحلية ١/ ١٥٢، والبيهقى فى الدلائل ٢/ ٥٢٢ ـ ٥٢٣.

(٤) **الصّعْلُوك:** الفقير، والتصعلك الفقر. (الصحاح للجوهرى ٤/ ١٥٩٥ ـ ١٥٩٦).

(٥) هذا منقطع أخرجه ابن سعد فى الطبقات الكبرى ٣/ ١٧١ بسند حسن إلى أبى عثمان. وذكره ابن هشام فى السيرة النبوية ١/ ٤٧٧ قال: ذُكر لى عن أبى عثمان النهدى .. فذكره. وعزاه ابن كثير فى التفسير ١/ ٢٤٧ لابن مردوية، وهو يتقوى بالحديث السابق، وبالحديث التالي.

١١٠ ـ وعن عكرمة رحمه الله قال:

«لما خرج صُهيبٌ مهاجرًا تبعه أهل مكة، فنثل[١] كنانته، فأخرج منها أربعين سهمًا، فقال: لا تَصِلُون إليَّ حتى أضع فى كل رجل منكم سهمًا، ثم أصيرُ بعدُ إلى السيف، فتعلمون أنى رجلٌ، وقد خلَّفت بمكة قينتين، فهما لكم»[٢].

١١١ ـ وعن أنس رضى الله عنه نحو حديث عكرمة، وقال:

«ونزلت على النبى ﷺ ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ** ﴾ (البقرة: ٢٠٧) فلما رآه النبى ﷺ قال: «**أبا يحيى، ربح البيع**». قال: وتلا عليه الآية[٣].

كما روى نحو ذلك عن سعيد بن المسيب رحمه الله[٤].

تلك كانت القصة بطرقها المختلفة، ورواياتها المتعددة، وهى روايات يكمل بعضها بعضًا.

لكأنى بصهيب رضى الله عنه يقدم الدليل القاطع على فساد عقل أولئك الماديين، الذين يزنون حركات التاريخ وأحداثه كلها بميزان المادة. فأين هى المادة التى سوف يكسبها صهيب فى هجرته، والتى ضحّى من أجلها بكل ما يملك؟!

هل تراه ينتظر أن يعطيه محمد ﷺ منصبًا يعوّضه عما فقده؟ أم هل ترى محمدًا ﷺ يُمنِّيه بالعيش الفاخر فى جوار أهل يثرب؟!

اللهم إنا نشهدك ـ ولا نزكى عليك إلا ما زكيت ـ أن صهيبًا ما فعل ذلك، وما انحاز إلى الفئة المؤمنة إلا ابتغاء مرضاتك، بالغًا ما بلغ الثمن، ليضرب لشباب الإسلام مثلاً فى التضحية عزيز المنال، عساهم يسيرون على الدرب، ويقتفون الأثر.

٢ ـ هجرة آل أبى سلمة:

هذا مشهدٌ أخرٌ يضارع المشهد السابق عظمةً وجلالاً. إنها أسرةٌ مؤمنةٌ باعت نفسها

---

(١) نَثَلَ كنانته: استخرج ما فيها من النَّبل والسهام (الصحاح ٥/ ١٨٢٥) ، والنهاية ٥/ ١٦)

(٢) مرسل أخرجه الحاكم ٣/ ٣٩٨.

(٣) أخرجه الحاكم ٣/ ٣٩٨ وقال: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» وسكت عليه الذهبى.

(٤) أخرجه ابن سعد فى الطبقات الكبرى ٣/ ١٧١، وأبو نعيم فى الحلية ١/ ١٥١. ، وفى الإسناد على بن زيد بن جدعان، ضعيف. ولعل سعيدًا سمعه من صهيب، فإن رواية صهيب السابقة هي عن سعيد عنه. والقصة بطرقها المرفوعة والمرسلة يقوّى بعضها بعضا.

لله، تتكون من أبٍ وأمٍ وطفلٍ، أصابهم فى سبيل الهجرة إلى الله ورسوله ما أصابهم، فتحملوا صابرين، وهاجروا مؤمنين، وجاهدوا مثابرين.

وهذا ابن إسحاق ينقل لنا القصة على لسان تلك الأم، فيقول:

١١٢ ـ حدثنى أبى إسحاق بن يسار، عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبى سلمة، عن جدته **أم سلمة** زوج النبي ﷺ (ورضى الله عنها) قالت:

لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل[١] لى بعيره، ثم حملنى عليه، وحمل معى ابنى سلمة بن أبى سلمة في حجرى، ثم خرج بى يقود بى بعيره، فلما رأته رجال بنى المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم (رهط أم سلمة) قاموا إليه، فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتك هذه، علام نتركك تسير بها فى البلاد؟

قالت: فنزعوا خطام البعير من يده، فأخذونى منه.

قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد، رهط أبى سلمة، فقالوا: والله لا نترك ابننا عندها، إذ نزعتموها من صاحبنا.

قالت: فتجاذبوا بُنَىَّ سلمةَ بينهم، حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسنى بنو المغيرة عندهم، وانطق زوجى أبو سلمة إلى المدينة.

قالت: ففرق بينى وبين زوجى وبين ابنى.

قالت: فكنت أخرج كل غداةٍ، فأجلس بالأبطح[٢]، فما أزال أبكى، سنةً أو قريبًا منها، حتى مرّ بى رجلٌ من بني عمى، أحد بنى المغيرة، فرأى ما بى، فرحمنى، فقال لبنى المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة؟! فرّقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها؟

قالت: فقالوا لى: الحقى بزوجك إن شئت.

قالت: وردّ بنو عبد الأسد إلىّ عند ذلك ابنى.

قالت: فارتحلتُ بعيري، ثم أخذت ابنى، فوضعتُه فى حجرى، ثم خرجت أريد

---

(١) رَحَل البعير يرحله رَحْلاً ورحلة من باب فتح: جعل عليه الرَّحْل، وهو ما يوضع على ظهر البعير للركوب، وكل شىء يُعد للرحيل. والرحل للناقة كالسرج للفرس (انظر: النهاية ٢/٢٠٩، دلائل النبوة للأصبهانى ٢/ ٥٥١).

(٢) الأبطح: جزع من وادى مكة بين المنحنى إلى الحجون، ثم تليه البطحاء إلى المسجد الحرام، وكلاهما من المعلاة، وهو اليوم شارع واسع عليه طريق الحاج من المسجد الحرام إلى منى (انظر: معجم المعالم الجغرافية فى السيرة صـ١٣ ـ ١٤).

زوجي بالمدينة.

قالت: وما معي أحدٌ من خلق الله.

قالت: فقلت: أتبلّغ بمن لقيتُ، حتى أقدم على زوجي، حتى إذا كنت بالتنعيم[1] لقيتُ عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، أخابني عبد الدار، فقال لي: إلى أين يا بنت أبي أمية؟

قالت: فقلت: أريد زوجي بالمدينة. قال: أو ما معك أحد؟ فقلت: لا والله، إلا اللهُ وبُنَيَّ هذا. قال: والله مالَكِ من مَتْرَك.

فأخذ بخطام البعير، فانطلق معي، يَهْوِي بي، فو الله ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه. كان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني، حتى إذا نزلتُ استأخر ببعيري، فحطّ عنه، ثم قيّده في الشجرة، ثم تنحّى عني إلى شجرة، فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري، فقدمه، فرحله، ثم استأخر عنّي وقال: اركبي. فإذا ركبتُ واستويتُ على بعيري أتى، فأخذ بخطامه، فقاده حتى ينزل بي.

فلم يزل يصنع ذلك بي، حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال: زوجك في هذه القرية ـ وكان أبو سلمة نازلاً بها[2] ـ فادخليها على بركة الله. ثم انصرف راجعًا إلى مكة.

قال: **فكانت تقول:** والله ما أعلم أهل بيتٍ في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيتُ صاحبًا قط كان أكرمَ من عثمانَ بن طلحة»[3].

الله أكبر الله أكبر!

أرأيتم أثر الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب؟!

هذه أسرة فُرِّق شملها، وامرأة تبكي شدة مصابها، وطفل خلعت يده وحُرِم من

---

(١) التنعيم: واد خارج الحرم من الشمال، في محاذاة الطريق العام المتجه إلى المدينة، (انظر: معجم المعالم الجغرافية في السيرة صـ٦٥).

(٢) كان أبو سلمة نازلاً بقباء على مبشر بن عبد المنذر. ذكره ابن إسحاق (انظر: السيرة النبوية ١/ ٤٧١ ـ ٤٧٢).

(٣) السيرة النبوية ١/ ٤٦٩ ـ ٤٧٠، وهذا الإسناد حسن، لأن فيه سلمة بن عبد الله، وثقة ابن حبان (الثقات ٦/ ٣٩٩) ولم يذكر فيه ابن أبي حاتم جرحًا ولا تعديلاً (الجرح والتعديل ٤/ ١٦٦)، وصحح له الحاكم في المستدرك ٢/ ٣٠٠ على شرط البخاري (وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٤/ ١٤٨ ـ ١٤٩، وتقريب التهذيب صـ٢٤٨).

أبويه، وزوج وأبٌ يسجل أروع صور التضحية والتجرد؛ ليكون أول مهاجر يصل أرض الهجرة، محتسبين فى سبيل الله ما يلقون، مصممين على المضىّ فى طريق الإيمان، والانحياز إلى كتيبة الهدى، فماذا عسى أن ينال الكفر وصناديده من أمثال هؤلاء؟!

إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

على أنه لا ينبغى أن أغادر هذا المشهد قبل أن أتوقف قليلاً أمام صنيع عثمان بن طلحة رضى الله عنه، فقد كان يومئذٍ كافرًا (وأسلم قبل الفتح)، ومع ذلك تشهد له أم سلمة رضى الله عنها بكرم الصحبة، على النحو المذكور فى القصة، وذلك شاهد صدق على نفاسة معدن العرب، وكمال مروءتهم، وحمايتهم للضعيف، «فقد أبت عليه مروءته وخُلقه العربى الأصيل أن يَدَع امرأةً شريفةً تسير وحدها فى هذه الصحراء الموحشة، وإن كانت على غير دينه، وهو يعلم أنها بهجرتها تراغمه وأمثاله من كفار قريش!.

فأين من هذه الأخلاق - يا قومى المسلمين والعرب - أخلاق الحضارة فى القرن العشرين، من سطوٍ على الحريات، واغتصابٍ للأعراض، بل وعلى قارعة الطريق، وما تطالعنا به الصحافة كل يومٍ من أحداثٍ يندى لها جبين الإنسانية، ومن تفننٍ فى وسائل الاغتصاب، وانتهاك الأعراض، والسطو على الأموال.

إن هذه القصة - ولها مُثُلٌ ونظائر - لتشهد أنّ ما كان للعرب من رصيد فى الفضائل كان أكثر من مثالبهم ورذائلهم، فمن ثَمَّ اختار الله منهم خاتم أنبيائه ورسله، وكانوا أهلاً لحمل الرسالة، وتبليغها للناس كافة»[1].

٣ - هجرة ضَمُرَة بن جُندب:

ثالث هذه المشاهد يرينا ما كان عليه هذا الجيل الكريم من سرعةٍ فى امتثال الأمر، وتنفيذه فى النشاط والشدة، كائنة ما كانت ظروفهم، فلا يلتمسون لأنفسهم المعاذير، ولا يطلبون الرخص.

فقد فرض الله الهجرة على المؤمنين بحيث أن «كل من أقام بين ظهرانى المشركين وهو قادر على الهجرة، وليس متمكنًا من إقامة الدين، فهو ظالمٌ مرتكبٌ حرامًا بالإجماع...»[2].

---

(١) السيرة النبوية فى ضوء القران والسنة للدكتور محمد أبو شهبة ١/ ٤٦١ (بتصرف يسير).
(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٥٤٢.

لكن الله أعفى من هذا الفرض المستضعفين من الرجال والنساء والولدان المحبوسين بعذرٍ أو مرضٍ ولا حيلة لهم، فقال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ (النساء: ٩٧- ٩٩).

وقد كان ضَمُرَةُ بن جُنْدب[١] مريضًا ذا عذر، لكنه أراد أن يلحق بركب التوحيد إلى أرض الإيمان، بالغةً ما بلغت المشقة.

١١٣ ـ فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال:

«خرج ضَمُرة بن جُنْدُب من بيته مهاجرًا: فقال لأهله: احملونى، فأخرجونى من أرض المشركين إلى رسول الله ﷺ. فمات فى الطريق قبل أن يصل إلى النبى ﷺ، فنزل الوحى **﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾**[٢] (النساء: ١٠٠).

١١٤ ـ وفى رواية: «كان بمكة رجلٌ يقال له ضمرة، من بنى بكر، وكان مريضًا، فقال لأهله: أخرجونى من مكة، فإنى أجد الحرّ. فقالوا: أين نخرجك؟ فأشار بيده نحو طريق المدينة. فخرجوا به، فمات على ميلين من مكة، فنزلت هذه الآية»[٣].

---

(١) اختلف فى اسمه اختلافًا كثيرًا، فقيل: ضمرة بن جندب، وقيل: ضمرة بن العيص، وقيل: ضمرة بن حبيب، وقيل ضمرة بن عمرو، وقيل: ضمرة غير منسوب، وقيل: جندب بن ضمرة، وقيل: جندع بن ضمرة، وقيل ابن ضمرة غير مسمى، وقيل: أبو ضمرة بن العيص. انظر ترجمته في «أسد الغابة» ١/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤، وفى الإصابة ٣/ ٢٦٣ (١٢٣٠) فى ترجمة «جندع».

(٢) أخرجه أبو يعلى ٥/ ٨١ (٢٦٧٩)، وقال الهيثمى فى المجمع ٧/ ١٠: «رجاله ثقات»

قلت: فى سنده أشعث بن سَوّار، ضعيف، وأخرج له مسلم فى المتابعات.

وأخرجه الطبرانى في الكبير ١١/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣ (١١٧٠٩)، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٢٠٧ إليهما وإلى ابن أبى حاتم، وقال: «بسند رجاله ثقات».

(٣) عزه السيوطى في الدر ٢/ ٢٠٧ إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم. وللقصة طرق كثيرة متصلة عن ابن عباس ، ومرسلة بعضها صحيح الإسناد عن عكرمة وسعيد بن جبير وقتادة، ولعلهم أخذوه عن ابن عباس، وهى طرق يقوي بعضها بعضًا، وقد جمعتها فى الخبر رقم (٥٨٥) من كتاب «المستفاد من مبهمات المتن والإسناد» لأبى زرعة ابن العراقى، بتحقيقى ٣/ ١٤٦٤ ـ ١٤٦٨. طـ دار الوفاء. =

فهذا الرجل قد رأى أنه ما دام له مالٌ يستعين به ويحمل به إلى المدينة، فقد انتفى عذره. وهذا فقهٌ أملاه الإيمان، وزكاه الإخلاص واليقين.

٤ ـ ذكاء أسماء بنت أبي بكر الصديق وشجاعتها:

أسماء رضى الله عنها، هى ذلك النجم اللامع الذى يتوهج لمعانًا إذا ذُكرت الهجرة، فهى تلك التى صنعت زاد أعظم مهاجرين، وربطته بنطاقها، فصارت مشتهرةً بذات النطاق[١]، وبذات النطاقين:

١١٥ ـ فعنها رضى الله عنها قالت:

«صنعتُ سُفْرةً للنبي ﷺ وأبى بكرٍ حين أرادا المدينة، فقلت لأبى: ما أجد ما أربطه الإنطاقى. قال: فشُقِّيه. ففعلتُ، فسُمِّيتُ ذات النطاقين»[٢].

ولها فى الهجرة مواقف أخرى تستبد بالإعجاب، وتنضح بالذكاء، وصدق الإيمان. وهاك موقفين لها يدلان على غاية الشجاعة والقوة، وكمال الذكاء والفطنة، وعمق اليقين والثقة بالله:

(أ) أما الموقف الأول، فيحكيه عنها ابن إسحاق فيقول:

١١٦ ـ حُدِّثت عن أسماء بنت أبى بكر أنها قالت:

«لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكرٍ رضى الله عنه أتانا نفرٌ من قريشٍ، فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبى بكرٍ، فخرجتُ إليهم، فقالوا: أين أبوك يا بنت أبى بكر؟ **قالت:** قلت: لا أدرى والله أين أبى؟ **قالت:** فرفع أبو جهل يده ـ وكان فاحشًا خبيثًا ـ فلطم خدِّى لطمة طرح منها قرطى.

قالت: ثم انصرفوا...» الحديث[٣].

لك الله يا بنت الصِّدِّيق، وزوجَ الحوارىّ، وأمَّ الأبطال والعلماء!

= وفى بعض طرقه: أن الرجل كان مصاب البصر، وكان موسرًا، فقال: لئن كان ذهاب بصرى إنى لأستطيع الحيلة، لى مالٌ ورقيق، احملونى. فحمل ودبّ وهومريض، فأدركه الموت عند التنعيم.

(١) انظر الحديث السابق رقم (٤). والنطاق سبق تفسيره هناك.

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: مناقب الأنصار، باب هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة ٧/ ٢٤٠ (٣٩٠٧).

(٣) السيرة النبوية ١/ ٤٨٧، وهذا إسناد منقطع، وقال ابن سيد الناس فى عيون الأثر ١/ ٢٢٩: «وقد روينا حديث أسماء هذا متصلاً من حديث هشام بن عروة، عن أبيه، عن أسماء» ثم ساق إسناده إلى هشام بالحديث.

لكأنى أراك تمسحين عن وجهك الكريم أثر لطمة الفاحش الخبيث، وقلبك من أعماقه يفيض سخريةً من هذا الباطل التافه المتهافت، وضحكًا على أولئك الصناديد التافهين الفارغين، فقد انتصرتِ عليهم بشجاعتكِ وثباتِكِ وذكائك!

فأدبروا ووجوه الأرض تلعنهم　　كباطلٍ من جلالِ الحق منهزم

(ب) **وأما الموقف الثانى،** فيحكيه كذلك ابن إسحاق عنها، فيقول:

١١٧ ـ حدثنى يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير، أن أباه عبّادًا حدثه عن جدته **أسماء بنت أبى بكرٍ**، قالت:

«لما خرج رسول الله ﷺ، وخرج أبو بكرٍ معه؛ احتمل أبو بكرٍ ماله كله ومعه خمسة آلاف درهمٍ، أو ستة آلاف، فانطلق بها معه.

قالت: فدخل علينا جدى أبو قُحافة، وقد ذهب بصره، فقال: والله إنى لأُرَاه قد فجعكم بماله مع نفسه. قالت: قلت: كلاّ يا أبت، إنه ترك لنا خيرًا كثيرًا.

قالت: فأخذتُ أحجارًا، فوضعتُها فى كُوَّة[1] البيت الذى كان أبى يضع ماله فيها، ثم وضعتُ عليها ثوبًا، ثم أخذت بيده، فقلت: يا أبتِ، ضَعْ يدك على هذا المال. قالت: فوضع يده عليه، فقال: لا بأس، إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن، وفى هذا بلاغٌ لكم . ولا واللهِ ما ترك لنا شيئًا، ولكنى أردتُ أن أسكِّن الشيخ بذلك»[2].

وبهذه الفطنة والحكمة سترت أسماء أباها، وسكّنت قلب جدها الشيخ الضرير، من غير أن تكذب، فإن أباها قد ترك لهم حقًّا هذه الأحجار التى كوّمتها لتطمئن بها نفس الشيخ! إلا أنه قد ترك لهم معها إيمانًا بالله لا تزلزله الجبال، ولا تحركه العواصف الهُوْج، ولا يتأثر بقلةٍ أو كثرةٍ فى المال، وورّثهم يقينًا بالله وثقة فى جنابه لا حدّ لها، وغرس فيهم همَّةً تتعلق بمعالى الأمور، ولا تلتفت إلى سفاسفها، فضرب بهم للبيت المسلم مثالا عزّ أن يتكرر، وقلّ أن يوجد نظيره.

لقد ضربت أسماء رضى الله عنها بهذه المواقف لنساء وبنات المجاهدين مثالاً هُنّ من

---

(١) الكُوَّة: نقب البيت، وتجمع على «كُوَى» وتنطق بفتح الكاف، والجمع «كِواء» بالمد، و«كِوَى» بالقصر (انظر الصحاح للجوهرى ٦/٢٤٧٨).

(٢) السيرة النبوية ١/٤٨٨، وهذا إسناد صحيح، وقد أخرجه من طريقه الحاكم ٣/٦ وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبى: وأحمد ٦/ ٣٥٠، والطبرانى فى الكبير ٢٤/٨٨) (٢٣٥)، وقال الهيثمى فى المجمع ٦/٥٩: «رجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق، وقد صرّح بالسماع».

أمسّ الحاجة إلى الاقتداء به، والنسج على منواله.

وظلت أسماء مع إخوتها فى مكة، لا تشكو ضيقًا ولا تظهر حاجةً، حتى بعث النبى ﷺ زيد بن حارثة وأبا رافع مولاه، وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم إلى مكة فقدما عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتيه، وسوة بنت زمعة زوجه، وأسامة بن زيد، وأمه بركة المكناة بأم أيمن، وخرج معهما عبد الله بن أبى بكر بعيال أبى بكر، فيهم عائشة وأسماء، فقدموا المدينة، فأنزلهم فى بيت حارثة بن النعمان[1].

٥ ـ هجرة عمر وقصة عياش بن أبى ربيعة وهشام بن العاص:

هذا مشهدٌ آخر يبيّن مدى الجهد والحيلة التى كانت تبذلها قريش لفتنة المؤمنين، ومدى حرص المؤمنين بعضهم على بعض، وتحذيرهم بعضهم بعضًا من حيل وألاعيب المشركين، ثم مدى حرصهم على إعادة المفتونين من إخوانهم إلى الصف المسلم مرةً أخرى.

فقد استغلت قريش سطوتها لمنع هجرة هشام بن العاص أخى عمرو بن العاص وأوعزت إلى أهله فحبسوه، وفتنوه فافتتن، كما استغلت قريش سلامة فطرة عياش بن أبى ربيعة وشدة بره بأمه، فى استعادته إلى مكة، ثم فتنوه فافتتن ومع ذلك ظل إخوانهم المسلمون يأملون فَيْأهم إليهم، وعودَتهم إلى صفوفهم، حتى أذن الله بذلك.

١١٨ ـ قال ابن إسحاق: حدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر، عن أبيه **عمر بن الخطاب** رضى الله عنه، قال:

«اتَّعَـــدتُ ـ لما أردنا الهـجرة إلـى المدينة ـ أنـا وعياش بن أبى ربيعـة وهشـام ابن أبـى العاص بن وائل السَّهْمِـى التَّناضب[2]، من أَضَاة[3] بنى غفار، فوق

(١) انظر: الطبقات الكبرى ١/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨، والإشارة إلى سيرة المصطفى صـ١٧٤.

(٢) التَّناضُب: بمثناة فوقية مفتوحة، فنون، فألف، فضاد معجمة مضمومة ويروى بكسر الضاد، جمع تَنْضُب، وهو شجر، واحدته: تنضبة، تألفه الحرباء. (انظر: الروض الأنف ٢/ ٢٢٦، وسبل الهدى والرشاد ٣/ ٣٢٣).

(٣) الأضَاة: بفتح الهمزة والضاد المعجمة، بوزن حصاة: الغدير يجتمع من ماء المطر والتناضب: شجرات فى هذه الأضاة، وأضاة بنى غفار: قال السهيلى: إنها على عشرة أميال من مكة. وقال عاتق بن غيث البلادى: «وقد صارت التناضب والأضاة أرضًا زراعية لأناس من لحيانٍ، وكلما قطع شجر التنضب عاد أخضر يتنعم، وقد قام بجانبها الغربى حى اليوم على ١٣ كيلاً من مكة. وأهل الديار يسمونها اليوم «الوُدَيْنة» تصغير «ودنة» وهى مزرعة الحبحب (البطيخ) وذلك أن هذه الأرض لا تزرع إلا حَبحبا» (انظر: الروض الأنف ٢/ ٢٢٧، وسبل الهدى والرشاد ٣/ ٣٢٣، ومعجم المعالم الجغرافية فى السيرة صـ٦٤ ـ ٦٥).

سَرِف[1]، وقلنا: أيُّنا لم يصبح عندها فقد حُبس، فلْيَمض صاحباه.

قال: فأصبحت أنا وعياش بن أبى ربيعةَ عند التَّناضب، وحُبس عنا هشام، وفُتن فافتتن[2].

فلما قدمنا المدينة نزلنا فى بنى عمرو بن عوف بقُباء، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عيّاش بن أبي ربيعة، وكان ابنَ عمهما وأخاهما لأمهما، حتى قدما علينا المدينة، ورسول الله ﷺ بمكة، فكلَّماه وقالا: إن أمّك قد نذرتْ أن لا يمسَّ رأسها مُشْطٌ حتى تراك، ولا تستظلَّ من شمسٍ حتى تراك. فرقَّ لها، فقلت له: يا عياش، إنه والله إن يريدك القومُ إلا ليفتنوك عن دينك، فاحذرهم، فو الله لو قد آذى أمَّك القمل لامتشطت، ولو قد اشتد عليها حُر مكة لاستظلّت.

قال: فقال: أبرُّ قسم أمى، ولى هناك مالٌ فآخذه.

قال: فقلت: والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالاً، فلك نصف مالى ولا تذهبْ معهما. **قال:** فأَبَى علىَّ إلا أن يخرج معهما، فلما أَبى إلا ذلك، قال: قلت له: أما إذ قد فعلتَ ما فعلتَ، فخذ ناقتى هذه، فإنها ناقة نجيبةٌ ذلولٌ[3]، فالزم ظهرها، فإن رَابَك من القوم ريْبٌ فانْجُ عليها.

فخرج عليها معهما، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل: يا أخى، والله لقد استغلظتُ بعيرى هذا، أفلا تُعْقِبنى[4] على ناقتك هذه؟ قال: بلى. قال: فأناخ، وأناخا، ليتحوَّل عليها، فلما استووا بالأرض عَدَوَا عليه، فأوثقاه، وربطاه، ثم دخلا به

---

(١) سَرِف: بفتح السين والراء المهملتين وبالفاء: موضع بين مكة والمدينة، وهو واد متوسط الطول من أودية مكة، يأخذ مياه ما حول الجعرانة ـ شمال شرقي مكة ـ ثم يتجه غربا، وبه مزارع، يمر على ١٢ كيلا شمال مكة، وهناك قبر أم المؤمنين ميمونة على جانب الوادى الأيمن، وقد قامت فيه اليوم أحياء عمرانية كثيرة (انظر: سبل الهدى والرشاد ٣/٣٢٣، ومعجم المعالم الجغرافية فى السيرة. ص ١٥٦ـ١٥٧)

(٢) أى أجاب إلى الكفر بعد الإسلام. وقد سبق فى الحديث الصحيح رقم (٣٩) عن البراء: «ثم أتانا عمر بن الخطاب فى عشرين راكبًا» وسمّى ابن إسحاق بعضهم (السيرة النبوية ١/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧) وهاهنا أنه خرج هو وعياش فقط، فلعل بقية المذكورين التقوا معه فى الطريق، فوصلوا المدينة معًا، والله أعلم.

(٣) **الناقة النجيبة:** الكريمة، وتجمع على نُجُبُ، ونجائب (انظر: الصحاح ١/ ٢٢٢)

والذلول: التى أذلها العمل، فصارت سهلة الركوب والانقياد. (انظر: تذكرة الأريب فى تفسير الغريب لابن الجوزى ١/ ٥٦).

(٤) تُعْقبنى: تجعلنى أعقبك عليها لركوبها. وأعقبت الرجل: إذا ركبت عُقْبةً وركب هو عُقْبةً، مثل المعاقبة. (الصحاح للجوهرى ١/ ١٨٦).

مكة، وفتناه فافتتن»[١].

قال ابن إسحاق:«فحدثنى به بعض آل عياش بن أبى ربيعة: أنهما حين دخلا به مكة نهارًا مُوثَقًا، ثم قالا: يا أهلَ مكة، هكذا فافعلوا بسفهائكم، كما فعلنا بسفيهنا هذا».

قال ابن إسحاق: وحدثنى نافع، عن عبد الله بن عمر، عن عمر فى حديثه قال:

«فكُنَّا نقول: ما اللهُ بقابلٍ ممن افتتُن صَرْفًا ولا عدلاً ولا توبةً؛ قومٌ عرفوا الله، ثم رجعوا إلى الكفر لبلاءٍ أصابهم!

قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم. فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنزل الله تعالى فيهم، وفى قولنا وقولهم لأنفسهم **﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾** (الزمر ـ ٥٣ ـ ٥٥).

قال عمر بن الخطاب: فكتبتُها بيدى فى صحيفة، وبعثتُ بها إلى هشام بن العاصى.

قال: فقال هشام: فلمّا أتتنى جعلتُ أقرؤها بذى طُوى[٢]، أُصَعِّد بها فيه وأُصَوِّبُ، ولا أفهمها، حتى قلتُ: اللهمّ فهِّمنيها، قال: فألقى الله تعالى فى قلبى أنها إنما أُنْزلتْ فينا، وفيما كنّا نقول فى أنفسنا ويُقال فينا . قال: فرجعتُ إلى بعيرى فجلستُ عليه،

(١) وكان النبى ﷺ يدعو له فى القنوت، فيقول: «**اللهم انج سلمةَ بنَ هشام، اللهم أَنجِ الوليد بن الوليد، اللهم أنج عياش بن أبى ربيعة، اللهم انج المستضعفين من المؤمنين...**» الحديث أخرجه البخارى فى كتاب: الجهاد، باب: الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة ٦/ ١٠٥ (٢٩٣٢)، وفى كتاب التفسير، باب: فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ٨/ ٢٦٤ (٤٥٩٨)، وفى مواضع أخرى، ومسلم فى كتاب: المساجد ومواضع الصلاة ١/ ٤٦٦ ـ ٤٦٨ (٦٧٥/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥) وأبو داود فى كتاب: الصلاة، باب: القنوت فى الصلوات ٢/ ١٤٢ (١٤٤٢)، وأحمد ٢/ ٤٧٠، ٥٢١.

(٢) **ذو طُوى:** بتثليث الطَّاء (يعنى ضمها وكسرها وفتحها) وبالقصر: وادٍ من أودية مكة، كله معمور اليوم، يسيل فى سفوح جبل أذاخر والحجون من الغرب، وتفضى إليه كل من ثنية الحجون ـ كَدَاء قديما ـ وثنية ريع الرَّسَّام ـ كُدَىً قديما ـ ويذهب حتى يصب فى المسفلة عند قوز المكَّاسة ـ الرمضة قديما ـ من الجهة المقابلة، وعليه من الأحياء: العُتَيْبة، وجَرْول، والتنضباوى (الطَّنْدَباوى) ومعظم شارع المنصور، واللِّيط، وانحصر الاسم اليوم فى بئر جرول تسمى بئر طوى . (انظر: سبل الهدى والرشاد ٣/ ٣٢٣، ومعجم المعالم الجغرافية فى السيرة صـ ١٨٨ ـ ١٨٩).

فلحقتُ برسول الله ﷺ، وهو بالمدينة»[1].

تلك كانت بعضَ مشاهد العظمة فى معركة الهجرة المباركة، وهى تؤكد طبيعة أولئك النفر الذين ربّاهم رسول الله ﷺ بنفسه، وصنعهم على عينه، فنضَّر بهم وجه الدنيا، وبيَّض بهم وجه الحياة، فلم تكن هجرتهم إلا طلبًا لما عند الله ولم يكن خروجهم إلا ابتغاء وجهه، فرضى الله عنهم وأرضاهم.

١١٩ ـ عن أبى وائل شقيق بن سلمة رحمه الله قال:

«عُدْنا خبَّابًا (يعنى ابن الأرَتّ) فقال: هاجرنا مع النبىِّ ﷺ نريد وجهَ الله، فوقع أجرُنا على الله، فمنا مَنْ مضى لم يأخذ من أجره شيئًا، منهم مصعب بن عمير...» الحديث[2].

أجل؛ خرجوا يريدون وجه الله، لا ينتظرون أجرًا ممن سواه وشهد لهم بذلك ربُّ العزة جلّ وعلا، فقال **﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾** (الحشر: ٨).

فهم يبتغون فضل الله، ورضوانه، ويسعون بهجرتهم إلى نصر الله ورسوله، مجاهدين لأهوائهم، معاندين لشياطينهم، صادقين فى أغراضهم وأهدافهم، وهذا رسولُ الله ﷺ يشرح طرفًا من هذه المجاهدة، ثم يذكر نتيجته المحتومة.

١٢٠ ـ فعن سَبْرَة بن أبى فاكه رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن الشيطان قعد لابن آدم بأطْرُقه، فقعد له بطريق الإسلام، فقال: تسلم وتَذَر دينك ودين آبائك وآباء أبيك؟! فعصاه، فأسلم. ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال: تهاجر وتَدَع أرضَك وسماءك؟ وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس فى الطِّوَل[3]! فعصاه، فهاجر، ثم

---

(١) السيرة النبوية ١/ ٤٧٤ ـ ٤٧٦، وهذا إسناد صحيح، ومن طريقه أخرجه مختصرًا الحاكم ٢/ ٤٣٥، والبيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٦١ ـ ٤٦٢، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وأقره الذهبى، وأخرجه البزار ٢/ ٣٠٢ ـ ٣٠٤ (١٧٤٦) وقال الهيثمى فى المجمع ٦/ ٦١: «رجاله ثقات».

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: مناقب الأنصار، باب: هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة ٧/ ٢٢٦ (٣٨٩٧) وانظر أيضًا أرقام (٣٩١٤، ٤٠٤٥، ٤٠٤٧، ٤٠٨٢).

(٣) الطِّوَل: بكسر الطاء المهملة وفتح الواو: هو الحبل الذى يُشَد به الدابة ويُمسَك طرفه، ويُرسل فى المعنى. (فتح البارى ٦/ ٥)..

قعد له بطريق الجهاد، فقال: تجاهد؟ فهو جهد النفس والمال، فتقاتل، فتُقتَل، فتُنكَح المرأةُ ويقسم المال! فعصاه فجاهد».

وقد سجل هذه المعانى الشاعر المهاجر أبو أحمد عبد بن جحشٍ، حين هاجر أهل بيته أجمعون، رجالا ونساءً، غُلِّقت دار بنى جحشٍ فى مكة، فقال رضى الله عنه:

لما رأتنى أمُّ أحمد غاديًا ... بذمَّة من أخشى بغيب وأرهبُ
تقول: فإمَّا كنتَ لابدَّ فاعلاً ... فيمِّم بنا البلدان، ولتنأَ يثربُ[1]
فقلت لها: بل يثربُ اليوم وجهُنا ... وما يشإِ الرحمنُ فالعبدُ يركب
إلى اللهِ وجهى والرسولِ، ومن يُقم ... إلى الله يومًا وجهَه لا يُخيَّبُ
فكم قد تركنا من حميم مُنَاصح ... وناصحةٍ تبكى بدمعٍ وتَنْدُبُ[2]
ترى أن وترًا نَأيُنا عن بلادنا ... ونحن نرى أن الرغائب نطلبُ[3]
دعوت بنى غَنْم لحقن دمائهم ... وللحقِّ لمّا لاح للناس مَلْحَبُ[4]
أجابوا بحمدِ الله لما دعاهم ... إلى الحق داعٍ والنجاح فأوعبوا [5]
وكنَّا وأصحابًا لنا فارقوا الهدى ... أعانوا علينا بالسِّلاح وأجلبوا
كَفَوْجَيْن: أمَّا منهما فموفَّق ... على الحق مهدى، وفوجٌ معذَّبُ
طَغَوْا وتمنَّوْا كذبة وأزلَّهم ... عن الحق إبليس، فخابوا وخُيِّبُوا
ورعْنا إلى قول النبىّ محمّد ... فطاب ولاة الحقِّ منا وطُيِّبُوا [6]
نَمتُّ بأرحامٍ إليهم قريبةٍ ... ولا قربَ بالأرحام إذ لا نُقرَّبُ[7]
فأىّ ابن أخت بعدنا يأمننّكم ... وأية صِهرٍ بعد صهرى تُرقَبُ
ستعلم يومًا أيُّنا إذ تزايلوا ... وزُيِّل أمر الناس للحق أصوبُ[8]

---

(١) **يمِّم**: اقصد، **لتَنْأ يثرب**: لتبعُد، فلا نذهب إليها. (٢) **الحميم المناصح**: الصديق الوفى.

(٣) **الوتْر**: طلب الثَار. **نأيُنا**: بُعْدُنا.

(٤) بنوِ غَنْم بن دودان بن أسد بن خزيمة: قبيلة بنى جحش، وكانت بنو غنم أهل إسلام قد أوعبوا جميعا إلى المدينة مهاجرين رجالهم ونساؤهم. (انظر: السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٧٠، والبداية ،والنهاية ٣/ ١٦٩، وعيون الأثر ١/ ٢١١).

ومَلْحب: واضح، والطريق اللاحب: الواسع المنقاد الذى لا ينقطع (انظر: النهاية ٤/ ٢٣٥).

(٥) **أوعبوا**: دخلوا جميعا فى الإسلام، ثم هاجروا جميعا، استجابة لدعوة النبى ﷺ، كما سبق بيانه فى التعليقة السابقة.

(٦) **رِعْنا**: رجعنا، من الرَّيْع وهو العود والرجوع (الصحاح للجوهرى ٣/ ١٢٢٣).

(٧) **نَمتُّ**: نتوسل بقرابة، من المتّ وهو التوسل بقرابة. (انظر الصحاح ١/ ٢٢٦).

(٨) **تزايلوا**: تفرقوا، من المزايلة وهى المفارقة. (الصحاح ٤/ ١٧٢٠) والشعر أورده ابن إسحاق انظر: السيرة النبوية ١/ ٤٧٣ ـ ٤٧٤، والبداية والنهاية ٣/ ١٦٩ ـ ١٧٠.

فقال رسول الله ﷺ: **«فمن فعل ذلك كان حقًّا على الله عز وجل أن يدخله الجنة»**[1].

وبهذا الإخلاص وهذه التضحية استحق أولئكم النفر الكريم الفضيلة التى خصهم الله بها، والدعاء الذى دعا لهم به رسول الله ﷺ، بأن يتقبل الله هجرتهم، وأن يُمضى أجرهم.

١٢١ ـ ففى الحديث عن **سعد بن أبى وقاصٍ** رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال وهو يعوده من مرضٍ ألمَّ به: **«اللهمّ أمْضِ لأصحابى هجرتَهم، ولا تردّهم على أعقابهم...»** الحديث[2].

---

(١) أخرجه النسائى فى كتاب: الجهاد، باب: ما لمن أسلم وهاجر وجاهد ٦/ ٢١ ـ ٢٢، وأحمد ٣/ ٤٨٣، والطبرانى فى الكبير٧ / ١٣٨ (٦٥٥٨)، وصححه ابن حبان ١٠/ ٤٥٣ (٤٥٩٣) وحسّن ابن حجر فى الإصابة ٢/ ١٤ (ت٣٠٨٦) إسناد النسائى، وقال: «إلا أن فيه اختلافا».

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: الجنائز، باب: رثاء النبى ﷺ سعد بن خولة ٣/ ١٦٤ (١٢٩٥)، وفى كتاب: مناقب الأنصار، باب: قول النبى ﷺ «اللهم أمضِ لأصحابى هجرتهم ٧/ ٢٦٩ (٣٩٣٦)، وفى كتاب: المغازى باب: حجة الوداع ٨/ ١٠٩ (٤٤٠٩)، ومسلم فى كتاب: الوصية، باب: الوصية بالثلث ٣/ ١٢٥٠ ـ ١٢٥١ (٥/ ١٦٢٨)، وابن حبان ١٠/ ٦٠ ـ ٦١ (٤٢٤٩) و ١٣/ ٣٨٤ (٦٠٢٦) و ١٦/ ٢٥١ ـ ٢٥٢ (٧٢٦١).

الفصل الحادى عشر
فضيلة الأنصار رضى الله عنهم

تعريف الأنصار:

قال السهيلى رحمه الله: «الأنصار جمع ناصر على غير قياس فى جمع فاعل، ولكن على تقدير حذف الألف من «ناصر» لأنها زائدة، فالاسم على تقدير حذفها ثلاثى، والثلاثى يجمع على أفعال، وقد قالوا فى نحوه: صاحب وأصحاب، وشاهد وأشهاد»(١).

وقال الجوهرى رحمه الله: «النصير: الناصر، والجمع: أنصار، مثل شريف وأشراف، وجمع الناصر: نَصْر، مثل صاحب وصحْب»(٢).

قال ابن حجر: «واللام فيه للعهد، أى أنصار رسول الله ﷺ»(٣) أى أن لقب «الأنصار» إذا أُطلق انصرف إليهم دون غيرهم.

قال: «والمراد: الأوس والخزرج، وكانوا قبل ذلك يعرفون ببنى قَيْلة ـ بقاف مفتوحة وياء تحتانية ساكنة ـ وهى الأم التى تجمع القبيلتين(٤)،

فسماهم رسول الله ﷺ «الأنصار»، فصار ذلك عَلَمًا عليهم، وأُطلق أيضًا على أولادهم وحلفائهم ومواليهم»(٥).

والأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، وينتهى نسبهم إلى قحطان، ويقال: إنه كان أول من تكلم بالعربية، وهو والد العرب المتعربة، وأما إسماعيل فهو والد العرب المستعربة، وقيل: إن قحطان من ذرية إسماعيل عليه السلام، وأنه قحطان بن الهَمَيْسَع بن إسماعيل عليه السلام(٦). وسيأتى بعد ما يدل على كونهم من ولد إسماعيل.

تسميتهم بالأنصار:

سماهم الله ورسوله بهذا الاسم حين بايعوا على الإسلام، وقاموا بإيواء المؤمنين

(١) الروض الأنف ٢/١٨٣.
(٢) الصحاح ٢/٨٢٩، وانظر: فتح البارى ١/٦٣، وسبل الهدى والرشاد ٣/٢٥١.
(٣) فتح البارى ١/٦٣.
(٤) انظر الحديث رقم (٩٨) فى الفصل التاسع.
(٥) فتح الباري ١/٦٣.
(٦) انظر التفصيل فى: سبل الهدى والرشاد ٣/٢٥١ ـ ٢٥٣. وانظر: الفتح ٧/١١٠.

ونصرة دين الله ورسول الله ﷺ، ولم يكونوا معروفين بذلك من قبل.

١٢٢ ـ فعن غيلان بن جرير رحمه الله قال:

«قلت لأنس (رضى الله عنه): أرأيت اسم «الأنصار» كنتم تُسَمَّوْن به، أم سماكم الله؟ قال: بل سمَّانا الله ...» الحديث[١].

١٢٣ ـ وعن السائب بن يزيد رضى الله عنه فى قصة قسم فىء وغنائم يوم حنين، أن النبى ﷺ قال للأنصار:

«**يا معشر الأنصار، ألم يَمُنَّ الله عليكم بالإيمان، وخصكم بالكرامة، وسماكم بأحسن الأسماء، أنصار الله تعالى وأنصار رسوله؟ ...**» الحديث[٢].

قال ابن حجر: «هو اسم إسلاميٌّ سمّى به النبى ﷺ الأوس والخزرج وحلفاءهم، كما فى حديث أنس»[٣].

وقد كان بنو الأوس والخزرج أشداء أقوياء، أهل نجدة وعُدّة، وعزّة، لم يخضعوا لأحدٍ قط[٤]، وكان النبى، فرحًا بهم، دائم الثناء عليهم، متحدِّثًا بنعمة الله فى تأييدهم إياه.

١٢٤ ـ فعن أبى واقد الليثى رضى الله عنه قال:

«كنتُ جالسًا عند رسول الله ﷺ تمس ركبتى ركبته، فأتاه آت، فالتقم أذنه[٥]، فتغيّر وجه رسول الله ﷺ، وثار الدم إلى أساريره[٦]، ثم قال: «**هذا رسول عامر بن الطفيل يتهدّدنى،ويتهدّد من بإزائى**[٧]**، فكفانيه الله بالبنين من ولد إسماعيل بابنى قيلة**» يعنى الأنصار[٨].

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: مناقب الأنصار، باب: مناقب الأنصار ٧/ ١١٠ (٣٧٧٦).

(٢) أخرجه الطبرانى فى٧/ ١٥١ ـ ١٥٢ (٦٦٦٥)، وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٣١: «فيه رشدين بن سعد، وحديثه فى الرقاق ونحوها حسن، وبقية رجاله ثقات».

(٣) فتح البارى ٧/ ١١٠، ومعنى «إسلامى» أى حادث لهم بعد الإسلام، وليس اسمًا سابقًا لهم منذ عهد الجاهلية.

(٤) انظر ما سبق ذكره فى أول الفصل الرابع صـ٥٧ وما بعدها والحديث رقم (٤٢).

(٥) **التقم أذنه:** أى ساره بشىء.

(٦) **الأسارير:** الخطوط التى تجتمع فى الجبهة وتتكسر، واحدها سرّ، أو سَرَر، والجمع أسرار، وأسارير جمع الجمع. وعن بعض أهل اللغة: هى الخدّان والوجنتان ومحاسن الوجه. (سبل الهدى والرشاد ٣/ ٢٦٠، وانظر: النهاية ٢/ ٣٥٩).

(٧) **إزائى:** أى حذائى، أى بالقرب منى. (سبل الهدى والرشاد ٣/ ٢٦٠).

(٨) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٣/ ٢٤٦ (٣٢٩٩)، وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٣٥: «رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط، وفى إسنادهما عبد الله بن يزيد البكرى، وهو ضعيف»، ويشهد له الحديث التالى، وهو ضعيف أيضا.

١٢٥ ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنّ الله أيّدنى بأشد العرب ألسُنًا وأذرُعًا، بنى قَيْلة: الأوس والخزرج»[١].

أما مناقبهم وفضائلهم فكثيرةٌ لا تحصى، منها مناقب عامة لجميع الأنصار، ومناقب خاصة بأفراد من الأنصار، وسأورد بعض الفضائل والمناقب العامة الواردة فى القرآن والسنة فيما يلى.

أمّا من القرآن الكريم:

فقد وصفهم الحق جلّ وعلا بأنهم من المؤمنين حقًا، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الأنفال: ٧٤).

وبشرهم ربُّهم برضاه عنهم، وامتدح رضاءهم عنه، فقال تعالى ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١٠٠).

ووصفهم عز وجل بالفلاح، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩).

وأما من السنة المُشرَّفة:

فالأحاديث فى فضائل الأنصار ومآثرهم أكثر من أن يُحَاط بها فى مثل هذا الفصل، لكنى سأحاول عرض أهمها إن شاء الله.

أولا ـ حب النبى ﷺ للأنصار:

سبق فى آخر الفصل التاسع ذكر قوله ﷺ للجوارى من الأنصار من بنى النجار: **«الله يعلم أن قلبى يحبكن»**.

وأقواله ﷺ فى إعلان حبه للأنصار كثيرة متعددة، وهاك بعضها:

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير ١١/ ٣٦٠ (١٢٠١٤)، وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/٣٥: «فيه جماعة لم أعرفهم».

١٢٦ ـ عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال:

«رأى النبىُّ ﷺ النساءَ والصبيانَ مُقبلين ـ حسبت أنه قال: من عُرْس ـ فقام النبى ﷺ مُمْثِلاً[١] (وفى رواية مُمْتَنا[٢]) فقال: **«اللهم أنتم من أحبِّ الناس إلىّ»** قالها ثلاث مرار[٣].

١٢٧ ـ وعنه أيضًا رضى الله عنه قال:

«جاءت امرأةٌ من الأنصار إلى رسول الله ﷺ ومعها صبىٌّ لها، فكلّمها[٤] (وفى رواية: فخلا بها[٥]) رسول الله ﷺ، فقال: **«والذى نفسى بيده إنكم أحبُّ الناس إلىّ»**[٦] مرتين، وفى رواية: ثلاث مرار[٧].

ثانيًا: حب الأنصار علامة الإيمان وبغضهم علامة النفاق:

١٢٨ ـ فعن أنس رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال:

(١) **مُمْثِلاً** ـ بضم أوله وسكون ثانيه وكسر المثلثة ـ: قال ابن التين: كذا وقع رباعيا، والذى ذكره أهل اللغة: مَثُلَ الرجل ـ بفتح الميم وضم المثلثة ـ مُثُولاً، إذا انتصب قائمًا. (فتح البارى ٧/ ١١٤).

(٢) قال ابن حجر: **مُمْتَنًا**: يعنى متفضّلاً عليهم بذلك، فكأنه قال: يمتنُّ عليهم بمحبته وقال عياض: وجاء هنا «مُمَثّلاً» يعنى بالتشديد، أى مكلّفًا نفسه ذلك» (فتح البارى ٩/ ٢٤٨).

(٣) أخرجه البخاى فى كتاب: مناقب الأنصار، باب: قول النبى ﷺ للأنصار «أنتم أحب الناس إلىّ» ٧/ ١١٣ ـ ١١٤ (٣٧٨٥)، وفى كتاب: النكاح، باب: ذهاب النساء والصبيان إلى العرس ٩/ ٤٢٨ (٥١٨٠)، ومسلم فى كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل الأنصار رضى الله عنهم ٤/ ١٩٤٨ (٢٠٥٨/ ١٧٤)، وأحمد ٣/ ١٧٥ ـ ١٧٦، ٢٠٥ ـ ٢٠٦، ٢٨٥، وابن حبان ١٦/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠ (٧٢٧٠).

(٤) **فكلّمها**: أى أجابها عما سألت، أو ابتدأها بالكلام تأنيسا. (فتح البارى ٧/ ١١٤).

(٥) قال ابن حجر: «لا يخلو بها بحيث تحتجب أشخاصهما عنهم، بل بحيث لا يسمعون كلامها، إذا كان بما يُخَافت به كالشىء الذى تستحى المرأة من ذكره بين الناس» وقال: «قال المهلب: لم يُرد أنه خَلا بها، بحيث غاب عن أبصار مَنَ كان معه، وإنما خلا بحيث لا يسمع مَنْ حضر شكواها، ولا ما دار بينهما من الكلام. ولهذا سمع أنس آخر الكلام، فنقله، ولم ينقل ما دار بينهما» (فتح البارى ٩/ ٣٣٣).

(٦) قوله: **أنتم أحبُّ الناس إلىّ»** هو على طريق الإجمال، أى مجموعكم أحب إلىّ من مجموع غيركم، فلا يعارض قوله فى الحديث الصحيح فى جواب «من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة. قالوا: فمن الرجال؟ قال: أبوها... الحديث. (انظر: فتح البارى ٧/ ١١٤).

(٧) أخرجه البخارى فى كتاب: مناقب الأنصار، باب: قول النبى ﷺ للأنصار: «أنتم أحب إلىّ» ٧/ ١١٤ (٣٧٨٦)، وفى كتاب: النكاح، باب: ما يجوز أن يخلو الرجل بالمرأة عند الناس ٩/ ٣٣٣ (٥٢٣٤)، وفي كتاب: الأيمان والنذور، باب: كيف كانت يمين النبى ﷺ ١١/ ٥٢٥ (ـ٦٦٤٥)، ومسلم فى كتاب: فضائل الصحابة، باب من فضائل الأنصار رضى الله عنهم ٤/ ١٩٤٩ (٢٥٠٩/ ١٧٥)، والنسائى فى الكبرى فى كتاب: المناقب، باب: حب النبى ﷺ للأنصار ٥/ ٨٧ ـ ٨٨ (٢٩ ٨٣، ٨٣٣٠)، وأحمد ٣/ ١٢٩، ٢٥٨، والطيالسى صـ٢٧٥ (٢٠٦٧).

«آيةُ الإيمان: حبُّ الأنصار، وآيةُ النفاق: بغض الأنصار»[1].

١٢٩ ـ وفى رواية: **«الأنصار آية المؤمن، وآية المنافق، لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق»**[2].

١٣٠ ـ وعن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ ـ أو قال: قال النبى ﷺ:

«الأنصارُ لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبّهم أحبّه الله، ومَنْ أبغَضَهم أبغضه الله»[3].

١٣١ ـ وعن سعد بن عبادة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال:

«إنّ هذا الحيَّ من الأنصار محْنة: حبُّهم إيمانٌ، وبغضُهم نفاق»[4].

١٣٢ ـ وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«حب الأنصار إيمان، وبغضهم نفاق»[5].

١٣٣ ـ وعن سعيد بن زيد رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«لم يؤمن بالله من لم يؤمن بى، ولم يؤمن بى من لم يحب الأنصار»[6].

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: الإيمان، باب: علامة الإيمان حب الأنصار ١/ ٦٢ (١٧)، وفى كتاب: مناقب الأنصار، باب: حب الأنصار من الإيمان ٧/ ١١٣ (٣٧٨٤)، ومسلم فى كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن حبّ الأنصار وعلىٍّ رضى الله عنهم من الإيمان وعلاماته ١/ ٨٥ (٧٤/ ١٢٨)، والنسائى فى كتاب: الإيمان وشرائعه ٨/ ١١٦، وأحمد ٣/ ١٣٠، ١٣٤، ٢٤٩.

(٢) أخرجه الطيالسى صـ٢٨١ (٢١٠١).

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: مناقب الأنصار، باب: حب الأنصار من الإيمان ٧/ ١١٣ (٣٧٨٣)، ومسلم فى كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن حبّ الأنصار وعلىّ رضى الله عنهم من الإيمان وعلاماته ١/ ٨٥ (٧٥/ ١٢٩)، والترمذى ـ وقال: صحيح ـ فى كتاب: المناقب، باب: فى فضل الأنصار وقريش ٥/ ٧١٢ (٣٩٠٠)، والنسائى فى الكبرى فى كتاب: المناقب، باب: التشديد فى بغض الأنصار ٥/ ٨٨ (٨٣٣٤)، وابن ماجه فى المقدمة، باب: فى فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ١/ ٥٧ (١٦٣)، والطيالسى صـ٩٩ (٧٢٨)، وأحمد ٤/ ٢٨٣، ٢٩٢، وابن حبان ١٦/ ٢٦١، ٢٦٢ (٧٢٧٢).

(٤) أخرجه أحمد ٥/ ٢٨٥، و٦/ ٧، والبزار ١/ ٥٢ (٦٧)، والطبرانى فى الكبير ٦/ ٢٠ (٥٣٧٧). وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٢٨: «وفى رجال أحمد راوٍ لم يسم، وأسقطه الآخران، ورجالهما وبقية رجال أحمد ثقات».

(٥) أخرجه أحمد ٣/ ٧٠، وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٢٨: «رجاله رجال الصحيح».

(٦) أخرجه الطيالسى صـ٣٣ (٢٤٢)، وأحمد ٥/ ٣٨١ ـ ٣٨٢، و٦/ ٣٨٢، وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٤٠ «فيه أبو ثفال المرى، وهو ضعيف».

١٣٤ ـ وعن أبى هريرة، وأبى سعيد الخدرى، وابن عباس رضى الله عنهم قالوا: قال رسول الله ﷺ: «**لا يُبغض الأنصارَ رجلٌ يؤمن بالله واليوم الآخر**»[١].

قال الإمام الحافظ ابن حجر:

«خُصُّوا بهذه المنقبة العظمى؛ لما فازوا به دون غيرهم من القبائل، من إيواء النبي ﷺ ومَنْ معه، والقيام بأمرهم، ومواساتِهم بأنفسهم وأموالهم، وإيثارهم إياهم فى كثير من الأمور على أنفسهم، فكان صنيعُهم ذلك موجبًا لمعاداتهم جميع الفرق الموجودين من عربٍ وعجم، والعداوةُ تجرُّ البغض، ثم كان ما اختصُّوا به مما ذكر موجبًا للحسد، والحسدُ يجرُّ البغض.

فلهذا جاء التحذيرُ من بغضهم، والترغيبُ فى حبهم، حتى جعل ذلك آية الإيمان والنفاق؛ تنويهًا بعظيم فضلهم، وتنبيهًا على كريم فعلهم.

وإن كان مَنْ شاركهم فى معنى ذلك مشاركًا لهم فى الفضل المذكور، كلٌّ بقسطه، وقد ثبت فى صحيح مسلم[٢] عن علىٍّ أن النبى ﷺ قال له: «**لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق**»، وهذا جارٍ باطِّرادٍ فى أعيان الصحابة؛ لتحقق مشترك الإكرام؛ لمالهم من حُسن الغَنَاء فى الدين.

قال صاحب المفهم: وأما الحروب الواقعة بينهم، فإن وقع من بعضهم بُغْضٌ لبعضٍ فذاك من غير هذه الجهة، بل للأمر الطارئ الذى اقتضى المخالفة، ولذلك لم يحكم بعضُهم على بعضٍ بالنفاق، وإنما كان حالُهم فى ذاك حالَ المجتهدين فى الأحكام

---

(١) **حديث أبى هريرة** أخرجه مسلم فى كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن حب الأنصار وعلىٍّ رضى الله عنهم من الإيمان وعلاماته ١/ ٨٦ (٧٦/ ١٣٠)، وأحمد ٢/ ٤١٩ **وحديث أبى سعيد** أخرجه مسلم فى نفس الموضع ١/ ٨٦ (٧٧/ ١٣٠)، وأحمد ٣/ ٣٤، ٤٥، ٧٢، ٩٣، والطيالسى ص ٢٩٠ (٢١٨٢)، وأبو يعلي ٢/ ٢٨٧ (١٠٠٧)، وابن حبان ١٦/ ٢٦٣ (٧٢٧٤) **وحديث ابن عباس** أخرجه الترمذى ـ وقال: حسن صحيح ـ فى كتاب: المناقب، باب: فى فضل الأنصار وقريش ٥/ ٧١٥ (٣٩٠٦)، والنسائى فى الكبرى فى كتاب: المناقب، باب: التشديد فى بغض الأنصار ٥/ ٨٨ (٨٣٣٣).

(٢) فى كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن حب الأنصار وعلىٍّ رضى الله عنهم من الإيمان وعلاماته ١/ ٨٦ (٧٨ / ١٣١). وأخرجه الترمذى فى كتاب: المناقب، باب لا يحب عليا إلا مؤمن ٥/ ٦٤٣ (٣٧٣٦)، والنسائى فى كتاب: الإيمان، باب: علامة المنافق ٨/ ١٦٦، ١٦٧، وابن ماجة فى المقدمة باب: فضل على بن أبى طالب ١/ ٤٢ (١١٤).

للمصيب أجران، وللمخطئ أجرٌ واحد. والله أعلم»[1].

ثالثًا ـ مَنْ أحبَّهم فاز بحب الله إياه، ومَنْ أبغضهم شَقِى ببُغْضِ الله إياه:

١٣٥ ـ فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ أحبَّ الأنصارَ أحبه الله، ومَنْ أبغض الأنصارَ أبغضه الله»[2].

١٣٦ ـ وعن يزيد بن جارية رحمه الله؛ أنه كان جالسًا فى نفرٍ من الأنصار، فخرج عليهم معاوية، فسألهم عن حديثهم، فقالوا: كُنّا فى حديثٍ من حديث الأنصار، فقال معاوية: ألاَ أزيدكم حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ؟ قالوا: بلى، يا أمير المومنين. قال: سمعت رسول الله ، يقول:

«مَنْ أحبّ الأنصارَ أحبه الله عز وجلّ، ومن أبغض الأنصارَ أبغضه الله عز وجل»[3].

١٣٧ ـ وعن الحارث بن زياد الساعدى رضى الله عنه؛ أنه أتى رسول الله ﷺ يوم الخندق، وهو يبايع الناسَ علي الهجرة، فقال: يا رسول الله، بايعْ هذا. قال: **«ومَنْ هذا؟»** قال: ابنْ عمى حَوْطُ بنُ يزيد، أو يزيدُ بن حَوْط. قال: فقال رسول الله ﷺ.

«لا أبايعك؛ إن الناس يهاجرون إليكم، ولا تهاجرون إليهم. والذى نفس محمد بيده، لا يحب رجلٌ الأنصارَ حتى يلقى الله تبارك وتعالى؛ إلاّ لقى الله تبارك وتعالى وهو يحبه ، ولايُبْغضُ رجل الأنصار حتى يلقى الله تبارك وتعالى؛ إلا لقى الله تبارك وتعالى وهو يُبغضه»[4].

---

(١) فتح البارى ١/ ٦٣.

(٢) أخرجه أحمد ٢/ ٥٠١، وأبو يعلى ١٣/ ٣٥٦ (٧٣٦٧)، والبزار ٣/ ٢٩٩ (٢٧٩٢) وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٣٩: «رواه أبو يعلى، وإسناده جيد، ورواه البزار، وفيه محمد بن عمرو، وهو حسن الحديث، وبقية رجاله رجال الصحيح»، وقال ابن حجر فى مختصر زوائد البزار ٢/ ٣٧٣ (٢٠٤٠ ـ ٢٠٤١): «صحيح».

(٣) أخرجه ـ بإسناد صحيح ـ أحمد ٤/ ٩٦، ١٠٠، وأبو يعلى ١٣/ ٣٥٧ (٧٣٦٨)، والبخارى فى التاريخ الكبير ٣/ ٣٨٩، والنسائى فى الكبرى فى كتاب: المناقب، باب: التشديد فى بغض الأنصار رضى الله عنهم ٥/ ٨٨ (٨٣٢٢)، والطبرانى فى الكبير ١٩/ ٣١٧ ـ ٣١٨ (٧١٨)، وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٣٩: «رجال أحمد رجال الصحيح»

(٤) أخرجه أحمد ٣/ ٤٢٩، والطبرانى فى الكبير ٣/ ٢٦٣ (٣٣٥٦)، وأخرجه ـ مختصرًا باللفظ النبوى فقط ـ أحمد ٣/ ٢٢١، والطبرانى ٣/ ٢٦٤ (٣٣٥٧ ـ ٣٣٥٨)، وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٣٨: «رواه أحمد والطبرانى بأسانيد، ورجال بعضها رجال الصحيح، غير محمد بن عمرو، وهو حسن الحديث» وقال الصالحي فى سبل الهدى والرشاد ٣/ ٢٥٦: «سنده صحيح» وأخرجه كذلك باللفظ النبوى فقط: ابن حبان ١٦/ ٢٦٢ (٧٢٧٣).

١٣٨ ـ وعن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما **وعن أبى هريرة** رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ أحبّ الأنصارَ فبِحُبِّى أحبَّهم، ومَنْ أبغض الأنصارَ فببُغضى أبغضهم»(١).

أى أنه لا يصدق أحدٌ فى دعوى الحب لرسول الله ﷺ ما لم يحب الأنصار، وإنما يحبهم المؤمن بسبب حبّ رسول الله ﷺ إياهم، ومن علامات صدق الحب لرسول الله ﷺ: حبُّ من أحبّه رسول الله ﷺ. أما مُبغِضُهم فإنما دفعه إلى بغضهم بغضُه لرسول الله ﷺ.

رابعًا ـ الشهادة لهم بالعفاف والصبر:

العفة والصبر شيمتان كريمتان تدلان على أصالة معدن المتخلق بهما، وتمام مروءته، وكمال رجولته وفتوته، وقد شهد النبى ﷺ للأنصار بهما، وما أعظمها شهادة، وما أعظمه من شاهد!

١٣٩ ـ فعن أبى طلحة زيد بن سهل الأنصارى رضى الله عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ:

«أقْرِأ قومَك السلامَ، فإنهم ما علمتُ أَعِفَّةٌ صُبُر»(٢).

---

(١) **حديث معاوية** أخرجه الطبرانى فى الكبير ١٩/ ٣٤١ (٧٨٩)، وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٣٩: «رجاله رجال الصحيح، غير النعمان بن مرة، وهو ثقة».

وحديث أبى هريرة: عزاه الهيثمى ١٠/ ٣٩ للطبرانى وقال: «رجاله رجال الصحيح غير أحمد بن حاتم وهو ثقة».

(٢) **أعفة**: جمع عفيف، وهو: من يكف عما لا يحل ولا يجمل.

«وصُبُر» بضم أوله وثانيه: جمع صبير، وهو هنا مقدّم القوم. (سبل الهدى والرشاد ٣/ ٢٦١) **قلت**: وصبير صيغة مبالغة من الصبر.

والحديث أخرجه الترمذى ـ وقال: حسن غريب ـ فى كتاب: المناقب، باب: فى فضل الأنصار وقريش ٥/ ٧١٤ (٣٩٠٣).

وأخرجه البزار ٣/ ٣٠٤ (٢٨٠٤) عن أنس أن رسول الله ﷺ قال لأبى طلحة فذكره. قال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٤١: «فيه محمد بن ثابت البنانى، وهو ضعيف» وانظر: مختصر زوائد مسند البزار ٢/ ٣٧٨ (٢٠٤٧).

وله شاهد قوى من حديث أنس بن مالك فى قصة إعطاء النبى ﷺ لبعض الأنصار ذوى الحاجة وشكر أسيد بن حضير له، فقال ﷺ: **«وأنتم معشر الأنصار، فجزاكم الله أطيب الجزاء ـ أو قال خير ـ ما علمتكم أعفةٌ صُبُر...»** الحديث.

أخرجه النسائى فى الكبرى فى كتاب: المناقب، باب: ذكر خير دور الأنصار رضى الله عنهم ٥/ ٩١ (٨٣٤٥) وصححه ابن حبان ١٦/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦ (٧٢٧٧)، والحاكم ٤/ ٧٩ ووافقه الذهبى.

وقد روى من حديث أسيد بن حضير: أخرجه أبو يعلى ٢/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤ (٩٤٥)، والطبرانى فى الكبير ١/ ٢٠٩ (٥٦٨)، وصححه ابن حبان ١٦/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩ (٧٢٧٩)، وقال الهيثمى فى المجمع =

١٤٠ ـ وعن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ

«ما يضر امرأةً نزلت بين بيتين من الأنصار، أو نزلت بين أبويها»[١].

خامسًا ـ رغبة النبى ﷺ فى الانتساب إليهم لولا الهجرة:

ما أكثر الأحاديث التى رواها الصحابة عن نبىِّ الله ﷺ، ويعلن فيها تمنِّيه أن لو كان من الأنصار لولا الهجرة، وهاك بعضها:

١٤١ ـ **عن أبى هريرة** رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال:

«لو أن الأنصار سلكوا واديًا أو شِعْبًا[٢]**، لسلكت فى وادى الأنصار، ولولا الهجرة لكنتُ امرءًا من الأنصار»**

فقال أبو هريرة: ما ظلم ـ بأبى وأمى ـ آووْه، ونصروه، أو كلمة أخرى. وفى رواية: وواسوه»[٣].

١٤٢ ـ **وعن أُبَىّ بن كعب وأنس** رضى الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ:

«لولا الهجرة لكنتُ امرءًا من الأنصار»[٤].

١٤٣ ـ **وعن أبى قتادة الأنصارى** رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر للأنصار: **«ألا إن الناس دِثَارى، والأنصار شِعَارى**[٥]**، لو سلك الناس واديًا،**

= ١٠/ ٣٣ ـ ٣٤: «رواه أبو يعلى بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح غير إبراهيم بن حبيب بن الشهيد، وهو ثقة».

(١) أخرجه أحمد ٦/ ٢٥٧، والبزار ٣/ ٣٠٤ (٢٨٠٦) قال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٤٠: «رجالهما رجال الصحيح» وصححه ابن حبان ١٦/ ٢٥٧ (٧٢٦٧)، والحاكم ٤/ ٨٣ على شرط الشيخين.

(٢) **الشِّعْب** ـ بكسر الشين ـ : الطريق فى الجبل. (سبل الهدى والرشاد ٣/ ٢٦٠)، وقيل: هو اسم لما انفرج بين جبلين (فتح البارى ٨/ ٥٢).

(٣) أخرجه البخارى في كتاب: مناقب الأنصار، باب: قول النبى ﷺ «لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار» ٦/ ١١٢ (٣٧٧٩)، وفى كتاب: التمنى، باب: ما يجوز من اللو ١٣/ ٣٢٥ (٧٢٤٤)، والنسائى فى الكبرى فى كتاب: المناقب، باب: ذكر قول النبى ﷺ «لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار ٥/ ٨٥ (٨٣١٩)، وأحمد ٢/ ٣١٥، ٤١٠، ٤١٤، ٤١٩، ٤٦٩، ٥٠١، والطيالسى صـ٣٢٥ (٢٤٨٤)، وابن حبان ١٦/ ٢٥٩ (٧٢٦٩)، والطحاوى فى مشكل الآثار ٢/ ٤٢٣.

(٤) **حديث أُبَى**: أخرجه أحمد ٥/ ١٣٧، ١٣٨، والترمذى فى كتاب: المناقب، باب: فى فضائل الأنصار وقريش ٥/ ٧١٢ (٣٨٩٩) (ونقل المزى فى التحفة ١/ ٢٠ أنه قال: حسن).

وحديث أنس: أخرجه أحمد ٣/ ١٩١.

(٥) **الدِّثَار** ـ بكسر الدال المهملة وبالثاء المثلثة ـ: ما يتدثر به الإنسان، وهو ما يلقيه عليه من كساء فوق الشِّعار. **والشِّعار** ـ بكسر الشين المعجمة ـ : ما يلى الجسد من الثياب، سمى بذلك لأنه يلى الشَّعر. وفى كلامه ﷺ استعارة لطيفة لفرط قربهم منه، وأراد أنهم بطانته وخاصته، وأنهم ألصق به وأقرب إليه من غيرهم. (انظر: فتح البارى ٨/ ٥٢، والنهاية ٢/ ١٠٠، ٤٨٠، وسبل الهدى والرشاد (٣/ ٢٦٠).

وسلكت الأنصار شعبة لاتبعتُ شعبة الأنصار، ولولا الهجرة لكنتُ رجلاً من الأنصار...» الحديث[1].

١٤٤ ـ وعن عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد، عن أبيه، عن جده، أن رسول الله ﷺ قال: «الأنصار شعارٌ، والناس دثار، ولو أن الناس استقبلوا واديًا أو شعْبًا، واستقبلت الأنصار واديًا لسلكت واديَ الأنصار، ولولا الهجرة لكنتُ امرءًا من الأنصار»[2].

أما معنى قوله ﷺ: «لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار» ففيه أقوال متعددة، جمعها ابن حجر فى الفتح، فقال:

«**قال الخطابى:** أراد بهذا الكلام تألُّف الأنصار، واستطابة نفوسهم، والثناء عليهم فى دينهم، حتى رضى أن يكون واحدًا منهم، لولا ما يمنعه من الهجرة التى لا يجوز تبديلها.

ونسبة الإنسان تقع على وجوه: منها الولادية، والبلادية، والاعتقادية، والصناعية. ولا شك أنه لم يُرِد الانتقال عن نسب آبائه؛ لأنه ممتنع قطعًا، وأما الاعتقادى فلا معنى للانتقال فيه، فلم يبق إلا القسمان الأخيران، وكانت المدينةُ دارَ الأنصار، والهجرةُ إليها أمرًا واجبًا، أى لولا أن النسبة الهجرية لا يَسَعُنى تركها؛ لانتسبتُ إلى داركم.

قال: ويحتمل أنه لما كانوا أخواله ـ لكون أم عبد المطلب منهم ـ أراد أن ينتسب إليهم بهذه الولادة لولا مانع الهجرة.

وقال ابن الجوزى: لم يُرِدْ ﷺ تغير نسبه، ولا مَحْو هجرته، وإنما أراد أنه لولا ما سبق من كونه هاجر، لانتسبتُ إلى المدينة وإلى نصرة الدين، فالتقدير: لولا أن النسبة إلى الهجرة نسبة دينية لا يسع تركُها لانتسبت إلى داركم.

وقال القرطبى: معناه: لتسميت باسمكم، وانتسبت إليكم، كما كانوا ينتسبون بالحلف، لكن خصوصية الهجرة وتربيتها سبقت، فمنعْت من ذلك، وهى أعلى

---

(١) أخرجه أحمد ٥/٣٠٧ وقال الهيثمى ١٠/٣٥: «رجاله رجال الصحيح غير يحيى ابن النضر الأنصارى، وهو ثقة». وقال الهيثمى ١٠/٣٣: «رواه الطبرانى فى الأوسط، عن شيخه مقدام بن داود وهو ضعيف وقال ابن دقيق العيد: إنه وثق، وبقية رجاله رجال الصحيح».
وقال الصالحى فى سبل الهدى والرشاد ٣/٢٥٧: «صحيح».

(٢) أخرجه ابن ماجه فى المقدمة، باب: فى فضائل أصحاب رسول الله، ١/٥٨ (١٦٤)، وقال البوصيرى فى الزوائد: «إسناده ضعيف، والآفة من عبد المهيمن، وباقى رجاله ثقات». قلت: يشهد لصحته الأحاديث الواردة هنا فى الباب.

وأشرف، فلا تتبدل بغيرها.

وقيل: معناه: لكنت من الأنصار فى الأحكام والعَدَد.

وقيل: التقدير: لولا أن ثواب الهجرة أعظم لاخترتُ أن يكون ثوابى ثواب الأنصار، ولم يرد ظاهر النسب أصلا.

وقيل: لولا التزامى بشروط الهجرة، ومنها: تركُ الإقامة بمكة فوق ثلاث؛ لاخترتُ أن أكون من الأنصار، فيُباح لى ذلك»[1].

ويرى الطحاوى رحمه الله أن النصرة سُمِّى بها أهلها لاستحقاقهم إياها بنصرهم الله ورسوله، وأن الهجرة استحقها أهلها لهجرهم الدار التى كانوا من أهلها لله عز وجل ولرسوله، وأن النبى ﷺ أولى الفريقين بالشيئين جميعًا، وأعلاهم فيها منزلة، وكان - مع ذلك - يخير جميع من معه بينهما، فيختار أحدهما فيجعله من أهلها، ويكتفى بها من الأخرى، قال: «ولم يكن ذلك منه إلا والمخير منهما فيه المعنى الذى يستحق به أن يكون من أهل كل واحد منهما، فمن ذلك ما كان منه فى حذيفة بن اليمان» ثم ذكر تخيير النبى، إياه بين الهجرة والنصرة، فاختار النصرة، **ثم قال الطحاوى**: «وكان رسول الله ﷺ لو اختار لنفسه النصرة وترك الهجرة صار الناس جميعًا أنصارًا، ولم يبق أحد منهم مهاجرًا فلم يجعل نفسه من الأنصار؛ لتبقى الهجرة ولتبقى النصرة جميعًا»[2].

وهذا الشرف العظيم كان الأنصارُ يقدرونه حقّ قدره، فيرضون برسول الله ﷺ حالاً فى رحالهم، ويعتبرون ذلك خيرًا من الدنيا وما فيها، وما أسرع ما كان يذهبُ ما فى صدورهم إذا ذكّرهم الرسول ﷺ بهذا الشرف العظيم.

١٤٥ - فعن أبى التَّيَّاح يزيد بن حُميد الضُّبَعى، قال: سمعت **أنسًا** رضى الله عنه يقول: «قالت الأنصار يوم فتح فكة - وأعطى قريشًا: والله إن هذا لهو العجب، إن سيوفنا تقطر من دماء قريش، وغنائمنا تُرَدُّ عليهم. فبلغ ذلك النبىَّ ﷺ، فدعا الأنصار فقال: «**ما الذى بلغنى عنكم؟**» - وكانوا لا يكذبون - فقالوا: هو الذى بلغك. قال: «**أوَلاَ ترضون أن يرجع الناسُ بالغنائم إلى بيوتهم، وترجعون برسول الله ﷺ إلى**

(١) فتح البارى ٨/ ٥١.

(٢) مشكل الآثار ٢/ ٤٢٢ - ٤٢٣.

بيوتكم؟ لو سلكت الأنصار واديًا أو شِعبًا لسلكتُ وادى الأنصار أو شِعبهم»[1].

وقوله «يوم فتح مكة» أى عام فتح مكة، لأن الغنائم المشار إليها كانت غنائم حنين، كما سيأتى فى الأحاديث التالية، وكان ذلك بعد الفتح بشهرين[2].

١٤٦ ـ وعن الزهرى، **عن أنس** رضى الله عنه، أن ناسًا من الأنصار قالوا لرسول الله ﷺ، حين أفاء الله على رسوله ﷺ من أموال هوازن ما أفاء، فطفق يعطى رجالاً من قريش المائة من الإبل، فقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ! يعطى قريشًا ويَدَعُنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم؟!

قال أنس: فحُدِّث رسول الله ﷺ بمقالتهم، فأرسل إلى الأنصار، فجمعهم في قبة من أدم، ولم يَدْعُ معهم أحدًا غيرهم، فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله ﷺ، فقال: **«ما كان حديثٌ بلغنى عنكم؟»** قال له فقهاؤهم: أما ذووا آرائنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئًا، وأمّا أناسٌ منا حديثةٌ أسنانهم، فقالوا: يغفر الله لرسول الله، يعطى قريشًا ويترك الأنصار، وسيوفنا تقطر من دمائهم؟! فقال رسول الله ﷺ: **«إنى لأعطى رجالاً حديثٌ عهدُهم بكفر. أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال، وترجعوا إلى رحالكم برسول الله ﷺ؟ فو الله ما تنقلبون به خيرٌ مما ينقلبون به»**. قالوا: بلى، يا رسول الله قد رضينا.

فقال لهم: **«إنكم سترون بعدى أُثَرَةً[3] شديدة، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله ﷺ على الحوض»**.

قال أنس: فلم نصبر ـ وفى رواية: قالوا: سنصبر»[4].

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: مناقب الأنصار، باب: مناقب الأنصار ٧/ ١١٠ (٣٧٧٨)، وفى كتاب: المغازى، باب: غزوة الطائف ٨/ ٥٣ (٤٣٣٢)، ومسلم فى كتاب: الزكاة، باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ٢/ ٧٣٥ (١٠٥٩/ ١٣٤)، والنسائى فى الكبرى فى كتاب: المناقب، باب: ذكر قول النبى ﷺ «لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار» ٥/ ٨٧ (٨٣٢٧)، وأحمد ٣/ ١٦٩، ٢٤٩.

(٢) انظر: فتح البارى ٧/ ١١١، و٨/ ٥٤.

(٣) **الأُثْرة:** بضم الهمزة وسكون المثلثة، ويجوز كسر أوله مع الإسكان: أى الانفراد بالشيء المشترك دون مَنْ يشركه فيه، والمعنى: أنه يُستأثَر عليهم بمالهم فيه اشتراك فى الاستحقاق. (انظر فتح البارى ٧/ ٥٢).

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب: فرض الخُمس، باب: ما كان النبي ﷺ، يعطي المؤلفة قلوبهم ٦/ ٢٥٠ ـ ٢٥١ (٣١٤٧)، وفى كتاب: المغازي، باب: غزوة الطائف ٨/ ٥٢ ـ ٥٣ (٤٣٣١)، ومسلم فى كتاب: الزكاة، باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ٢/ ٧٣٣ ـ ٧٣٤ (١٠٥٩ / ١٣٢)، والنسائى فى الكبرى فى كتاب: المناقب، باب: التشديد فى بغض الأنصار رضي الله عنهم ٥/ ٨٨ ـ ٨٩ (٨٣٣٥) وابن حبان ١٦/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨ (٧٢٧٨).

وقد روى القصة عن أنسٍ آخرون غير أبى التَّيَّاح والزهرى. انظر: البخارى فى كتاب: المغازى، باب: غزوة الطائف ٨/ ٥٣ (٤٣٣٣، ٤٣٣٤، ٤٣٣٧)، ومسلم فى الموضع السابق ٢/ ٧٣٥ ـ ٧٣٦=

١٤٧ ـ وعن عبد الله بن زيد بن عاصم رضى الله عنه قال:

«لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حُنَين قسم فى الناس فى المؤلّفة قلوبهم، ولم يُعْطِ الأنصار شيئًا، فكأنّهم وَجَدُوا[١]؛ إذ لم يُصِبْهم ما أصاب الناس، فخطبهم، فقال:

«يا معشر الأنصار، ألم أجدْكم ضُلاَّلاً فهداكم الله بى وكنتم متفرّقين فألّفكم الله بى؟ وعالةً فأغناكم الله بى؟»

كلما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله أَمَنُّ[٢]. قال: «**ما يمنعكم أن تجيبوا رسولَ الله ﷺ؟**» قال: كلما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله أَمَنّ. قال:

«لو شئتم قلتم: جئتنا كذا وكذا[٣]. ألا ترضَوْن أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبى ﷺ إلى رحالكم؟ لولا الهجرةُ لكنت امرءًا من الأنصار، ولو سلك الناس واديًا وشِعبًا لسلكتُ وادىَ الأنصار وشعبها[٤]، الأنصار شِعارٌ، والناس دِثَارٌ، إنكم ستلقون بعَدي أُثْرَةً، فاصبروا حتى تلقونى على الحوض»[٥].

١٤٨ ـ وعن السائب بن يزيد رضى الله عنه:

«أن رسول الله ﷺ قسم الفئ الذى أفاء الله بحنين من غنائم هوازن، فأفشى القسم فى أهل مكة من قريش وغيرهم، فغضب الأنصار... فذكر معنى الحديث السابق إلى

= (١٠٥٩/ ١٣٣، ١٣٥، ١٣٦)، والترمذى فى كتاب: المناقب، باب: فى فضل الأنصار وقريش ٥/ ٧١٢ ـ ٧١٣ (٣٩٠١)، وأحمد ٣/ ١٥٧ ـ ١٥٨، ١٧٢، ١٨٨، ٢٠١، ٢٤٦، ٢٧٥، وابن حبان ١٦/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨ (٧٢٦٨).

(١) **وجدوا:** غضبوا، والمَوْجِدة: الغضب، يقال: وجد فى نفسه: إذا غضب، ويقال أيضا: وجد: إذا حزن. (فتح البارى ٨/ ٥٠).

(٢) **أَمَنّ:** أفعل تفضيل من المن. وفى حديث أبى سعيد: «فقالوا: ماذا نجيبك يا رسول الله ولله ولرسوله المن والفضل. (فتح البارى ٨/ ٥٠)

(٣) نسى الراوى الكلام فعبر بكذا وكذا، وسيأتى الكلام فى الحديث التالى.

(٤) **قال ابن حجر:** «وأراد بهذا وبما بعده: التنبيه على جزيل ما حصل لهم من ثواب النصرة، والقناعة بالله ورسوله عن الدنيا، ومَنْ هذا وصفُه فحقه أن يُسْلَك طريقُه، ويُتبع حالُه. قال الخطابى: لما كانت العادة أن المرء يكون في نزوله وارتحاله مع قومه، وأرضُ الحجاز كثيرة الأودية والشعاب، فإذا تفرقت فى السفر الطرقُ سلك كل قومٍ منهم واديًا وشعبًا، فأراد أنه مع الأنصار. قال: ويحتمل أن يريد بالوادى المذهب، كما يقال: فلان فى وادٍ، وأنا فى واد»
(فتح البارى ٨/ ٥٢).

(٥) أخرجه البخارى فى كتاب: المغازى، باب: غزوة الطائف ٨/ ٤٧ (٤٣٣٠)، وفى كتاب: التمنى، باب: ما يجوز من اللو ١٣/ ٣٢٥ (٧٢٤٥)، ومسلم فى كتاب: الزكاة، باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ٢/ ٧٣٨ ـ ٧٣٩ (١٠٦١/ ١٣٩)، وأحمد ٤/ ٤٢.

أن قال: «فلما سمعت الأنصار قول النبى ﷺ قالوا: رضينا. فقال النبى ﷺ: **«أجيبونى فيما قلت»**.

فقالت الأنصار: يا رسول الله، وجدتنا فى ظلمة، فأخرجنا الله بك إلى النور، ووجدتنا على شفا حفرة من النار، فأنقذنا الله بك، ووجدتنا ضُلاَّلاً فهدانا الله بك، فرضينا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا، فاصنع يا رسول الله ما شئت فى أوسع الحل[1]. فقال النبى ﷺ: **«أما والله لو أجبتمونى بغير هذا القول لقلت: صدقتم. لو قلتم: ألم تأتنا طريداً فآويناك، ومكذَّبًا فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وقَبِلْنا ما ردَّ الناس عليك. لو قلتم هذا لصدقتم»**[2]. فقالت الأنصار: بل لله ولرسوله المَنّ والفضل علينا وعلي غيرنا. ثم بكوا، فكثر بكاؤهم، فبكى النبى ﷺ معهم، ورضى عنهم. فكانوا بالذى قال لهم أشدًا اغتباطًا وأفضل عندهم من كل مال»[3].

سادسًا ـ دعاء النبى ﷺ بالمغفرة لهم ولأبنائهم وأزواجهم ولذراريهم:

من المكارم والفضائل التى ظفر بها الأنصار دون غيرهم دعاء الرسول الأعظم ﷺ لهم ولنسائهم ولذراريهم بالمغفرة، وهو دعاء لا شك مقبول مستجاب.

١٤٩ ـ فعن زيد بن أرقم وأنس بن مالك رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال:

---

(١) المقصود ـ والله أعلم ـ أن يصنع النبىُّ ﷺ فى الغنائم ما يشاء، وأن يعطى منها من يشاء ما شاء ولا حرج، فهو فى أوسع الحلال، ولا حرمة عليه فى ذلك ولا غضبَ فى النفوس من فعله، بعد أن سمعوا مقالته.

(٢) إنما قال النبى ﷺ ذلك تواضعًا منه وإنصافًا، وإلا ففى الحقيقة: الحجة البالغة والمنة الظاهرة فى جميع ذلك له عليهم، فإنه لولا هجرته إليهم وسكناه عندهم لما كان بينهم وبين غيرهم فرق، وقد نبه على ذلك بقوله ﷺ: «ألا ترضون . . .» إلخ، فنبههم على ما غفلوا عنه من عظيم ما اختصوا به منه، بالنسبة إلى ما حصل عليه غيرهم من عرض الدنيا الفانية. (قاله ابن حجر فى فتح البارى ٨/ ٥١).

(٣) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٧/ ١٥١ ـ ١٥٢ (٦٦٦٥) وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٣١: «فيه رشدين بن سعد، وحديثه فى الرقاق ونحوها حسن، وبقية رجاله ثقات».

قلت: ويشهد له حديث أنس السابق، وقد جاء فى بعض طرقه عند أحمد ٣/ ١٠٤ ـ ١٠٥ **«أفلا تقولون: جئتنا خائفًا فأمَّنَّاك، ومخذولاً فنصرناك، وطريدًا فآويناك، وعائلاً فواسيناك»**. فقالوا: بل المنّ علينا لله ولرسوله قال ابن حجر فى الفتح ٨/ ٥١ «إسناده صحيح».

كما يشهد له حديث أبى سعيد الخدرى بمعناه، أخرجه ابن إسحاق (السيرة النبوية ٢/ ٤٩٨ ـ ٥٠٠) ومن طريقه أحمد ٣/ ٥٧، ٧٦، ٨٩، وأبو يعلى ٢/ ٥٠٩ ـ ٢/ ٥١٠ (١٣٥٨)، وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٢٩ ـ ٣٠: «رجال الرواية الأولى لأحمد رجال الصحيح، غير محمد بن إسحاق وقد صرح بالسماع».

«اللهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، ولأبناء أبناء الأنصار، ولنساء الأنصار»[1].

١٥٠ ـ وفى رواية عن زيد بن أرقم، أنه كتب إلى أنس بن مالك يعزّيه فيمن أصيب من أهله، وبنى عمه يوم الحرّة، فكتب إليه: «إنى أبشرك ببشرى من الله. سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«اللهم اغفر للأنصار، ولذرارى الأنصار، ولذرارى ذراريهم»[2].

١٥١ ـ وفى رواية عن أنس، عن النبى ﷺ قال:

«اللهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، ولأزواج الأنصار، ولذرارى الأنصار،...» الحديث[3].

١٥٢ ـ وفى رواية عنه، أن رسول الله ﷺ استغفر للأنصار. قال: وأحسبه قال: **«ولذرارى الأنصار، ولموالى الأنصار»** لا أشك فيه[4].

١٥٣ ـ وعن رفاعة بن رافع رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«اللهم اغفر للأنصار، ولذرارىّ الأنصار، ولذرارىّ ذراريهم، ولجيرانهم»[5].

---

(١) حديث زيد بن أرقم أخرجه البخارى فى كتاب: التفسير، سورة المنافقين ٨/ ٦٥٠ (٤٩٠٦)، ومسلم فى كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل الأنصار رضى الله تعالى عنهم ٤/ ١٩٤٨ (٢٥٠٦/ ١٧٢)، والطيالسى صـ٩٤ (٦٨٠)، وأحمد ٤/ ٣٦٩، والطبراني ٥/ ٢٠٥ (٥١٠١: ٥١٠٦)، وابن حبان ١٦/ ٢٧٠ ـ ٢٧١ (٧٢٨١).

وحديث أنس أخرجه الترمذى ـ وقال: حسن غريب من هذا الوجه ـ فى كتاب: المناقب، باب: فى فضل الأنصار وقريش ٥/ ٧١٥ ـ ٧١٦ (٣٩٠٩)، والنسائى فى الكبرى في كتاب: المناقب، باب: أبناء أبناء الأنصار رضى الله عنهم ٥/ ٩٢ (٨٣٥٠)، وأحمد ٣/ ١٣٩، ١٥٦، ١٦٢، ٢١٣، ٢١٦، ٢١٧، وأبو يعلى ٥/ ٣٧٦ (٣٠٣٢)، وابن حبان ١٦/ ٢٦٩/ ٢٧٠ (٧٢٨٠).

(٢) أخرجه الترمذى ـ وقال: حسن صحيح ـ فى كتاب: المناقب، باب: فى فضل الأنصار وقريش ٥/ ٧١٣ (٣٩٠٢)، والطيالسى صـ٩٤ (٦٨٣) وأحمد ٤/ ٣٧٤.

(٣) أخرجه أحمد ٣/ ١٥٦، ٢٤٦، والنسائى فى الكبرى فى كتاب: المناقب، باب: ذكر قول النبى ﷺ «لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار» ٥/ ٨٧ (٨٣٢٦).

(٤) أخرجه مسلم فى كتاب: فضائل الصحابة، باب من فضائل الأنصار رضى الله تعالى عنهم ٤/ ١٩٤٨ (٢٥٠٧/ ١٧٣)، وابن حبان ١٦/ ٥٧٢ (٧٢٨٢).

(٥) أخرجه البزار ٣/ ٣٠٦ (٢٨١٠)، والطبرانى فى الكبير ٥/ ٤١ ـ ٤٢ (٤٥٣٣، ٤٥٣٤)، وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٤٠: «رجالهما رجال الصحيح، غير هشام بن هارون، وهو ثقة».

وقال ابن حجر فى مختصر زوائد مسند البزار ٢/ ٣٧٥ (٢٠٤٣): «هذا إسناد صحيح». وصححه ابن حبان ١٦/ ٢٧٢ (٧٢٨٣).

وعزا الهيثمي فى المجمع ١٠/ ٤٠ نحوه للطبرانى فى الأوسط عن جابر، وقال: «رجاله ثقات وفى بعضهم خلاف».

سابعًا ـ وصية النبيّ ﷺ بالإحسان إليهم، وعدم إفزاعهم:

كان جهاد الأنصار فى سبيل الدين عظيمًا، وكان فضلهم فى نشره والدفاع عنه بليغًا، إذ لم يمنعهم من الخفة إلى الخروج فى سبيل الله عسرٌ ولا يسر، وحفظ الله لهم ذلك فى قوله عز وجل: ﴿لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ (التوبة: ١١٧)

ومن ثَمَّ كانت وصية رسول الله ﷺ بالأنصار، والإحسان إلى محسنهم، والتجاوز عن مسيئهم، وكان ترهيبُه ﷺ من ترويعهم وتفزيعهم، وكانت توصيته ﷺ كُلَّ من وَلِيَ أمرًا ينفع فيه أو يضر بالأنصار.

١٥٤ ـ فعن أنس رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

«إنّ الأنصار كَرِشى وعَيْبَتى[(١)]، وإن الناسَ سيكثرون، ويَقِلُّون[(٢)]،فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم»[(٣)].

---

(١) **الكَرِش، كالكتف، والعَيْبة** ـ بفتح المهملة وسكون المثناة بعدها موحدة ـ معناها: ما يحرز الرجل فيه ويحفَظ نفيس ما عنده من المتاع، والعيبة من الرجل: موضع سره وأمانته. (انظر: فتح البارى ٧/ ١٢١، وسبل الهدى والرشاد ٣/ ٢٦٠).

قال ابن حجر فى« الفتح ٧/ ١٢١: «كرشى وعيبتى أى بطانتى وخاصتى. قال القزاز: ضرب بهم المثل بالكرش، لأنه مستقر غذاء الحيوان الذى يكون فيه نماؤه. ويقال: لفلان كرش منثورة، أى عيال كثيرة ... قال ابن دريد: هذا من كلامه ﷺ الموجز الذى لم يُسبق إليه. وقال غيره: الكرش بمنزلة المعدة للإنسان، والعيبة: مستودع الثياب، والأول أمر باطن، والثانى أمر ظاهر، فكأنه ضرب المثل بهما فى إرادة اختصاصهم بأموره الباطنة والظاهرة. والأول أولى، وكل من الأمرين مستودع لما يُخفى فيه».

(٢) **قال ابن حجر:** «أى أن الأنصار يقلُّون، وفيه إشارة إلى دخول قبائل العرب والعجم فى الإسلام، وهم أضعاف أضعاف قبيلة الأنصار، فمهما فرض فى الأنصار من الكثرة كالتناسل فرض فى كل طائفة من أولئك، فهم أبدًا بالنسبة إلى غيرهم قليل.

ويحتمل أن يكون ﷺ اطلع على أنهم يقلون مطلقًا، فاخبر بذلك، فكان كما أخبر، لأن الموجودين الآن من ذرية على بن أبى طالب ممن يتحقق نسبه إليه أضعاف من يوجد من قبيلتى الأوس والخزرج ممن يتحقق نسبه، وقس على ذلك. ولا التفات إلى كثرة من يدّعى أنه منهم بغير برهان»

(فتح البارى ٧/ ١٢٢).

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: مناقب الأنصار، باب: قول النبى ﷺ «اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ٧/ ١٢١ (٣٨٠١)، ومسلم فى كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل الأنصار رضي الله عنهم ٤/ ١٩٤٩ (٢٥١٠/ ١٧٦)، والترمذى ـ وقال: حسن صحيح ـ فى كتاب: المناقب، باب: فى فضل الأنصار وقريش ٥/ ٧١٥ (٣٩٠٧)، والنسائى فى الكبرى فى كتاب: المناقب: ، بـاب : قول النبى ﷺ «لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار» ٥/ ٨٧ (٨٣٢٥)، واحمد ٣/ ١٧٦، ٢٧٢، وأبو يعلى ٥/ ٣٥١ (٢٩٩٤) وابن حبان ١٦/ ٢٥٥ (٧٢٦٥).
=

١٥٥ ـ وعنه أيضًا قال: خرج نبيُّ الله ﷺ، فتلقَّته الأنصارُ بينهم، فقال: «**والذى نفس محمد بيده إنى لأحبكم، إن الأنصار قد قضوا ماعليهم، وبقى الذى عليكم[١]،فأحسنوا إلى محسِنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم**»[٢].

١٥٦ ـ **وعن أبى قتاده** رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر للأنصار:

«**... فمن وَلِىَ الأنصار فليُحسن إلى محسنهم، وليتجاوز عن مسيئهم، ومن أفزعهم فقد أفزع هذا الذَى بين هاتين» ـ وأشار إلى نفسه** [٣].

وقد كانت وصية رسول الله ﷺ بالأنصار من آخر ما أوصى به النبىُّ ﷺ فى آخر حياته.

١٥٧ ـ **فعن أنس بن مالك** رضى الله عنه قال:

«مرّ أبو بكر والعباس رضى الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار، وهم يبكون، فقال: ما يبكيكم؟ قالوا: ذكرنا مجلس النبىِّ ﷺ منا. فدخل على النبى ﷺ، فأخبره بذلك، قال: فخرج النبىُّ ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية بُرْدٍ، قال: فصعد المنبر، ولم يصعده بعد ذلك اليوم، فحمد الله!، وأثنى عليه، ثم قال:

«**أوصيكم بالأنصار، فإنهم كَرِشِي وعَيْبتى، وقد قضوا الذى عليهم، وبقى الذى لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مُسيئهم**»[٤].

١٥٨ ـ **وعن ابن عباس** رضى الله عنهما قال:

«خرج رسول الله ﷺ وعليه مِلْحَفة[٥]، متعطِّفًا بها[٦] على منكبيه، وعليه عصابةٌ

= **وقد رواه أنس عن أسيد بن حضير**: أخرجه النسائى فى الموضع السابق (٨٣٢٤)، والطبرانى فى الكبير ١/ ٢٠٤ (٥٥٢) وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٣٧: «رجاله رجال الصحيح».

(١) قوله: «**قد قضوا الذى عليهم**» يشير إلى ما وقع لهم ليلة العقبة من المبايعة، فإنهم بايعوا على أن يؤوا النبى ﷺ وينصروه، على أن لهم الجنة، فوفوا بذلك (فتح البارى ٧/ ١٢٢).

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ١٨٧، وانظر ٣/ ١٥٠، ٢٨٥، وأبو يعلى ٦/ ٤٠٩ (٣٧٧٠) وابن حبان ١٦/ ٢٥٦ (٧٢٦٦) و ٢٦١ (٧٢٧١).

(٣) جزء من الحديث الذى سبق تخريجه برقم (١٤٣).

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب: مناقب الأنصار، باب: قول النبى ﷺ «اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم» ٧/ ١٢٠ ـ ١٢١ (٢٧٩٩)، والنسائى فى الكبرى فى كتاب: المناقب، باب: ذكر خير دور الأنصار ٥/ ٩١ (٨٣٤٦).

(٥) **المِلحَفة**: المُلاَءة التى يُلتحف بها. (سبل الهدى والرشاد ٣/ ٢٦٠).

(٣) **مُتَعَطِّفًا بها**: أى ثانيًا طرفى الملحفة على كتفيه، والعطاف: الرداء، سمى بذلك لوضعه على العطفين، وهما ناحيتا العنق، ويطلق على الأردية معاطف. (فتح البارى ٧/ ١٢٢، وسبل الهدى والرشاد ٣/ ٢٦٠).

دَسْماء[1]، حتى جلس على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«أما بعد، أيها الناسُ، إن الناس يكثرون، وتقلُّ الأنصار، حتى يكونوا كالملح فى الطعام، فمن وَلِى منكم أمرًا يضر فيه أحدًا أو ينفعه، فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم».

زاد فى رواية: فكان آخر مجلس جلس فيه النبى ﷺ»[2].

١٥٩ ـ وعن كعب بن مالك عن بعض أصحاب النبى ﷺ؛ أن النبى ﷺ خرج يومًا عاصبًا رأسه، فقال فى خطبته:

«أما بعد، يا معشر المهاجرين، فإنكم قد أصبحتم تزيدون، وأصبحت الأنصارُ لا تزيد على هيئتها التى هى عليها اليوم، وإنّ الأنصار عَيْبَتى التى أويت إليها، فأكرموا كريمهم، وتجاوزوا عن مسيئهم، فإنهم قد قضوا الذى عليهم وبقى الذى لهم»[3].

١٦٠ ـ وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال:

«ألا إن عيبتى التى آوى إليها أهل بيتى، وإن كَرِشِىَ الأنصار، فاعفوا عن مسيئهم، واقبلوا من محسنهم»[4].

---

(١) **قال ابن حجر:** «العصابة: ما يُشَد به الرأس وغيرها. وقيل: فى الرأس بالتاء، وفى غير الرأس يقال: عصاب، فقط. وهذا يرده قوله فى الحديث الذى أخرجه مسلم «عصب بطنه بعصابة». وقوله «دسماء» أى لونها كلون الدسم، وهو الدهن» وقيل: المراد أنها سوداء، لكن ليست خالصة السواد، ويحتمل أن تكون اسودت من كثرة العرق أو من الطيب كالغالية» (فتح البارى ٧/ ١٢٢).

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: الجمعة، باب: من قال فى الخطبة بعد الثناء: أما بعد ٢/ ٤٠٤ (٩٢٧)، وفى كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة فى الإسلام ٦/ ٦٢٨ (٣٦٢٨)، وفى كتاب: مناقب الأنصار، باب: قول النبى ﷺ: «اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم» ٧/ ١٢١ (٣٨٠٠).
وأخرج البزار هذا الحديث بزيادة فى أوله قال: «أتِى النبى ﷺ فقيل له: هذه الأنصار رجالها ونساؤها فى المسجد يبكون. قال: **«وما يبكيهما؟»** قال: يخافون أن تموت. قال: فخرج فجلس على منبره، متعطفًا بثوب طارحًا طرفيه على منكبيه...» فذكر الحديث.
كشف الأستار ٣/ ٣٠١ (٢٧٩٨) وقال ابن حجر فى مختصر زوائد مسند البزار ٢/ ٣٧٢ (٢٠٣٦): الإسناد على شرط البخارى».

(٣) أخرجه أحمد ٥/ ٢٢٤و رمن غير العبارة الأخيرة فى ٣/ ٥٠٠، وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٣٥ و ٣٦: «رجاله رجال الصحيح». وأخرجه الطبرانى ١٩/ ٧٩ (١٥٨، ١٥٩) عن كعب بن مالك من مسنده، وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٣٧: «رجاله رجال الصحيح».

(٤) أخرجه الترمذى ـ وقال: حسن ـ فى كتاب: المناقب، باب: فى فضل الأنصار وقريش ٥/ ٧١٤ (٣٩٠٤).

ولا يعنى ذلك إهمال الحدود الشرعية إذا ارتكب أحدهم ما يوجب الحد.

١٦١ ـ **فعن عائشة** رضى الله عنها، أن النبى ﷺ فى مرضه خرج، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، واستغفر للشهداء من أصحاب أُحُد، ودعا لهم، ثم قال:

«أما بعد، فإن الأنصار عيبتى التى أويْتُ إليها، فأكرموا كريمهم، وتجاوزوا عن مسيئهم، إلا فى حد»[1].

تنافس الحيين الأوس والخزرج فى الخير:

أختم هذا الفصل بتأكيد التنافس فى الخير، وفى الجهاد، وفى حفظ الدين، والتسابق فى تحصيل الدرجات بين فريقى الأنصار: الأوس والخزرج، فعندما قام محمد بن مَسْلَمة الأوسى بقتل اليهودى كعب بن الأشرف الذى كان قد اشتد إيذاؤه للمسلمين، لم يزل الخزرج يتحرَّقون شوقًا إلى عملٍ مماثل يدركون به إخوانهم من الأوس، حتى قام نفر من الخزرج بقتل اليهودى أبى رافع سلام بن أبى الحقيق فى خيبر[2].

وربما تفاخر الحيَّان، لكنّ ذلك لم يكن فخر الجاهلية المقيت، المثير للحروب، والقائم على العصبيات، إنما كان لونًا من التنافس فى الخيرات.

١٦٢ ـ فعن أنس رضى الله عنه قال:

«افتخر الحيان من الأنصار الأوسُ والخزرجُ، فقالت الأوسُ: منا غسيل الملائكة: حنظلةُ بن الراهب، ومنا مَن اهتز له عرش الرحمن: سعدُ بن معاذٍ، ومِنَّا من حَمَتْه الدَّبْر[3]: عاصم بن ثابت بن أبى الأَقْلَح:، ومنا مَنْ أجيزت شهادته بشهادة رجلين: خزيمة بن ثابت.

---

(١) أخرجه الدارمى فى المقدمة، باب: فى وفاة النبى ﷺ ١/ ٥١ ـ ٥٢ (٨١) وأخرجه البزار ٣/ ٣٠٢ (٢٧٩٩) لكن بلفظ حديث كعب بن مالك عن بعض أصحاب النبى ﷺ السابق برقم (١٥٩)، وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٣٧: «رجاله رجال الصحيح»، وقال ابن حجر فى مختصر زوائد مسند البزار ٢/ ٣٧٢ (٢٠٣٨): «هو إسناد صحيح عندى».

(٢) انظر القصة فى صحيح البخارى فى كتاب: المغازى، باب: قتل كعب بن الأشرف، وباب: قتل أبى رافع عبد الله بن أبى الحقيق، ويقال: سلام بن أبى الحقيق ٧/ ٣٣٦ ـ ٣٤٢، والسيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢٧٤، ودلائل النبوة للبيهقى ٤/ ٣٣: ٣٩، وسبل الهدى والرشاد ٦/ ١٦٢ ـ ١٦٦.

(٣) الدَّبْر: يقال لجماعة النحل، والزنابير أيضا، قيل: وهو المراد هنا. (سبل الهدى والرشاد ٣/ ٢٦٠).

وقالت الخزرجيون: منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ لم يجمعه غيرهم: زيد بن ثابت، وأبو زيد، وأُبَيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل»[1].

(١) أخرجه أبو يعلى بإسناد صحيح (٥/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠ (٢٩٥٣)، والبزار ٣/ ٣٠٣ (٢٨٠٢)، والطبراني ٤/ ١٠ (٣٤٨٨). قال الهيثمي فى المجمع ١٠/ ٤١: «رجالهم رجال الصحيح»، وقال ابن حجر في مختصر زوائد البزار ٢/ ٣٧٧ (٢٠٤٦): «إسناده صحيح».
وقد أورد الجزء الأخير فى الصحيح، فعن قتادة قال: قلنا لأنس: من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ؟ قال: «أربعة كلهم من الأنصار: أُبَيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، ورجل من الأنصار يقال له أبو زيد». قلت لأنس: من أبو زيد؟ قال: «أحد عمومتى».
أخرجه البخارى فى كتاب مناقب الأنصار، باب: مناقب زيد بن ثابت ٧/ ١٢٧ (٣٨١٠)، وفى كتاب: فضائل القرآن، باب: القراء من أصحاب النبى ﷺ ٩/ ٤٧ (٥٠٠٣ ـ ٥٠٠٤)، ومسلم فى كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أُبَيّ ٤/ ١٩١٤ ـ ١٩١٥ (٢٤٦٥/ ١١٩، ١٢٠) والترمذى فى كتاب: المناقب: باب: مناقب معاذ وزيد وأبى بن كعب ٥/ ٦٦٦ (٣٧٩٤).

الفصل الثانى عشر

فضيلة أرض الهجرة (المدينة)

لقد عظُم شرف المدينة المنوَّرة المباركة بهجرة النبى ﷺ إليها، حتى فُضِّلت على سائر بقاع الأرض حاشا مكة المكرمة. وفضائلها كثيرةٌ سأذكر فى هذا الفصل بعضها، مع ذكر النصوص الدالَّة على كلٍّ منها، فمن هذه الفضائل.

أولاً ـ كثرة أسمائها:

من المعلوم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المُسَمَّى، ولا توجد بلدة فى الدنيا لها من الأسماء مثل ما للمدينة المنورة، أو نصفه، أو حتى ربعه. وقد بلغ العلماء بأسمائها حوالى مائة اسم.

ذكر هذه الأسماء الزركشى فى «إعلام الساجد بأحكام المساجد»[1]، والمجد الفيروز آبادى صاحب القاموس المحيط[2]، ونور الدين السمهودى فى «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى»[3]، ومحمد بن يوسف الصالحى فى «سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد»[4].

وأشهر هذه الأسماء ثلاثة:

١ ـ (يثرب): قال تعالى **﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾** (الأحزاب: ١٣).

وقد سبق فى الحديث رقم (٤٠) فى رؤية أرض الهجرة: «فإذا هى المدينة يثرب».

وقد ورد النهى عن تسميتها بهذا الاسم، كما سبق فى حديث أبى هريرة رقم (٣١).

١٦٣ ـ وعن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«من سمّى المدينة بيثرب فليستغفر الله، فإنما هى طابة» وفى رواية: **«هى طابة هى طابة**

---

(١) صـ: ٢٣٢ ـ ٢٣٦.

(٢) ذكر السخاوى له فى الضوء اللامع ١٠/٧٩: ٨٦ مؤلفات منها: «المغانم المطابة فى معالم طابة»، «والروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف» فلعل ما ذكره من أسماء المدينة فى أحد هذين الكتابين.

(٣) ١/٧: ١٩.

(٤) ٣/٤١٤: ٤٢٥

هى طابة»[١].

وأما تسميتها فى القرآن «يثرب» فذلك حكاية عن قول المنافقين، وتسميتها بذلك فى الحديث كان قبل النهى عن تسميتها بذلك[٢].

٢ ـ (طابة أو طيبة): كما فى حديث البراء السابق، وفى أحاديث أخرى كثيرة منها:

١٦٤ ـ ما رواه جابر بن سَمُرَة رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن الله تعالى سمّى المدينة طابة»**[٣].

١٦٥ ـ وعن أبى حميد الساعدى رضى الله عنه قال: «أقبلنا مع النبى ﷺ من تبوك حتى أشرفنا على المدينة، فقال: «هذه طابة[٤]»

٣ ـ (المدينة): وهذا أشهر أسمائها، وهذا الإسم إذا أُطْلِق أريدَتْ به المدينة المنورة دون غيرها من مدن الدنيا، وقد جاءت الآيات الكثيرة بهذا الاسم، كقوله تعالى: **﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾** (التوبة: ١٠١). وقوله تعالى: **﴿مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾**(التوبة: ١٢٠) وقوله تعالى حكاية عن مقالة المنافقين: **﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ﴾** (المنافقون: ٨).

كما ورد هذا الاسم فى أحاديث كثيرة جدًا، سيرد بعضها فى أثناء الحديث عن بقية الفضائل.

وقد وصفت المدينة بالمباركة والمنوَّرة والمشرَّفة، وغير ذلك من الأوصاف الفاضلة.

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٢٨٥ وأبو يعلى ٣/ ٢٤٨ (١٦٨٨)، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/ ١٨٨ والصالحى فى سبل الهدى والرشاد ٣/ ٤٢٧، والشوكانى فى فتح القدير ٤/ ٢٦٨ إلى ابن أبى حاتم وابن مردويه. قال الهيثمى فى المجمع ٣/ ٣٠٠: «رواه أحمد وأبو يعلي، ورجاله ثقات». وقال الصالحى «بإسناد جيد»، وضعّفه الشوكانى.

وله شاهد عن ابن عباس، عزاه السيوطى والصالحي والشوكانى فى المواضع السابقة إلى ابن مردويه.

(٢) سبل الهدى والرشاد ٣/ ٤٢٧.

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب: الحج، باب: فضل المدينة ٢/ ١٠٠٧ (١٣٨٥/ ٤٩١)، وابن حبان ٩/ ٤٤ (٣٧٢٦)، وأحمد ٢/ ١٠٢، ١٠٨، و٥/ ٨٩، ٩٤، ٩٦.

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب: فضائل المدينة، باب: المدينة طابة ٤/ ٨٨ (١٨٧٢)، ومسلم فى كتاب: الحج، باب: أحد جبل يحبنا ونحبه ٢/ ١٠١١ (١٣٩٢/ ٥٠٣ وفيه زيادة.

ثانيًا ـ محبته ﷺ لها ودعاؤه برفع الوباء عنها:

سبق فى الفصل الثامن من الحديث عن دعاء النبىِّ ﷺ بأن يرفع الله الوباء عن المدينة، وأن الحُمَّى نُقلت ببركة هذا الدعاء إلى مَهْيعة أو الجحفة، وفى هذه الأحاديث دعا النبى ﷺ ربَّه قائلاً: **«اللهم حبِّب إلينا المدينة كحبِّنا مكة أو أشد»** واستجاب الله دعاء نبيه ﷺ فكانت المدينة أحبَّ إليه من سائر البلاد، وكان يعبر عن ذلك فى أحيان كثيرة.

١٦٦ ـ **فعن أنس بن مالك** رضى الله عنه «أن النبىَّ ﷺ كان إذا قدم من سفر، فنظر إلى جُدُرات المدينة[١] أوضع راحلته[٢]، وإن كان على دابة حرَّكها من حبِّها»[٣].

ثالثًا: دعاء النبىِّ ﷺ لها بضعفى ما فى مكة من البركة:

١٦٧ ـ **فعن أنس** رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال:

«اللهمَّ اجعل بالمدينة ضعفَى ما جعلت بمكة من البركة»[٤].

١٦٨ ـ **وعن علىّ بن أبى طالب** رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«اللهم إن إبراهيم كان عبدَك وخليلَك ودعا لأهل مكة بالبركة، وأنا عَبْدُك ورسولُك، أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم فى مُدِّهم وصاعهم، مثلى ما باركتَ لأهل مكة، مع البركة بَرَكَتَيْن»[٥].

---

(١) **الجُدُرات**: جمع جدار وهو الحائط (وفى بعض الروايات دوحات، وفى بعضها: درجات» **والدَّوْحات**: جمع دَوْحة وهى الشجرة العظيمة، والدرجات جمع درجة، وهى هنا: الطرق.
(انظر: فتح البارى ٣/ ٦٢٠، وسبل الهدى والرشاد ٣/ ٤٣٢).

(٢) **أَوْضَع راحلته**: بالضاد المعجمة والعين المهملة: أى حثَّها على السرعة. (انظر: فتح البارى ٣/ ٦٢٩، وسبل الهدى والرشاد ٣/ ٤٣٢).
(وفى بعض الروايات: طرح رداءه عن منكبيه وقال: «هذه أرواح طَيْبة).
والأَرْواح: جمع ريح بمعنى رائحة، وهى عَرَضٌ يدرك بحاسة الشم (سبل الهدى والرشاد ٣/ ٤٣٢).

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: العمرة، باب: من أسرع ناقته إذا بلغ المدينة ٣/ ٦٢٠ (١٨٠٢)، وفى كتاب: فضائل المدينة، باب: حدثنا عبد الله ٤/ ٩٨ (١٨٨٦)، وأحمد ٣/ ١٥٩، وابن حبان ٦/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧ (٢٧١٠)، والترمذى ـ وقال: حسن صحيح ـ فى كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا قدم من السفر ٥/ ٤٩٩ (٣٤٤١)، والنسائى فى الكبرى فى كتاب : الحج، باب: الإيضاع عند الإشراف ٢/ ٤٧٨ (٤٢٤٨)، والبيهقى فى السنن الكبرى ٥/ ٢٦٠.

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب: فضائل المدينة، باب: حدثنا عبد الله ٤/ ٩٧ (١٨٨٥)، ومسلم فى كتاب الحج، باب: فضل المدينة ٢/ ٩٩٤ (١٣٦٩/ ٤٦٦)، وأحمد ٣/ ١٤٢، وأبو يعلى ٦/ ٢٧٣ (٣٥٧٨)، و٣٠٤ (٣٦٢٠).

(٥) أخرجه الترمذى ـ وقال: حسن صحيح ـ فى كتاب: المناقب، باب: فى فضل المدينة ٥/ ٧١٨ (٣٩١٤): =

١٦٩ ـ وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال:

«كان الناس إذا رأوْا أوَّل الثمر جاءوا به إلى النبىّ ﷺ، فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال: **«اللهم باركْ لنا فى ثمرنا، وباركْ لنا فى مدينتنا، وباركْ لنا فى صاعنا، وباركْ لنا فى مُدِّنا ـ اللهم إن إبراهيم عبدُك وخليلُك ونبيُّك وإنى عبدكَ ونبيُّك، وإنه دعاك لمكة، وإنى أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه»**.

قال: ثم يدعو أصغر وليدٍ له فيعطيه ذلك الثمر»[١].

رابعًا ـ عصمتها من الدَّجال والطاعون ببركته ﷺ:

ذلك أن الله قيَّض لها ملائكةً يحرسونها، فلا يستطيع الدجال إليها سبيلاً، بل تلقى إليه بإخوانه من الكفار والمنافقين، كما أن من لوازم دعاء النبىِّ ﷺ لها بالصحة ورفع الوباء أن لا ينزل بها الطاعون، كما أخبر بذلك المعصوم ﷺ.

١٧٠ ـ فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«على أنقاب المدينة ملائكةٌ (فى رواية يحرسونها) **لا يدخُلها الطَّاعون ولا الدَّجَّال»**[٢].

١٧١ ـ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

= وعزاه الهيثمى فى المجمع ٣/ ٣٠٥ للطبرانى فى الأوسط وقال: «رجاله رجال الصحيح»، وصححه ابن حبان ٩/ ٦١ ـ ٦٢ (٣٧٤٦).

وله شاهد صحيح أيضا من حديث أبي سعيد الخدرى: أخرجه مسلم فى كتاب: الحج، باب: الترغيب فى سكنى المدينة ٢/ ١٠٠١ ـ ١٠٠٢ (١٣٧٤/ ٤٧٥ ـ ٤٧٦) وابن حبان ٩/ ٥٩ (٣٧٤٣)، وأحمد ٣/ ٣٥ ـ ٣٦، ٤٧، ٩١، وأبو يعلى ٢/ ٤٦٣، ٤٦٤ (١٢٨٢، ١٢٨٤)، وله شاهد آخر عن أبى قتادة وأخرجه أحمد ٥/ ٣٠٩ وقال الهيثمى ٣/ ٣٠٤: «رجاله رجال الصحيح».

(١) أخرجه مسلم فى كتاب: الحج، باب: فضل المدينة ٢/ ١٠٠٠ (١٣٧٣/ ٤٧٣ ـ ٤٧٤)، والترمذى فى كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا رأى الباكورة من الثمر ٥/ ٥٠٦ (٣٤٥٤)، وابن ماجه فى كتاب: الأطعمة، باب: إذا أتى بأول ثمرة ٢/ ١١٠٥ (٣٣٢٩)، وابن حبان ٩/ ٦٢ (٣٧٤٧)، والطحاوى فى مشكل الآثار ٢/ ٩٨.

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: فضائل المدينة، باب: لا يدخل الدجال المدينة ٤/ ٩٥ (١٨٨٠) وفى كتاب: الطب باب: ما يذكر فى الطاعون ١٠/ ١٧٩ (٥٧٣١)، وفى كتاب: الفتن، باب: لا يدخل الدجال المدينة ١٣/ ١٠١ (٧١٣٣) ومسلم في كتاب: الحج، باب: صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال إليها ٢/ ١٠٠٥ (١٣٧٩/ ٤٨٥)

«ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلاَّ مكة والمدينة، ليس له من نقابها، نَقَبٌ[1] إلا عليه الملائكة صافِّين يحرسونها، فينزل السَّبَخة[2]، ثم تَرْجُفُ المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج إليها كل كافر ومنافق»[3].

١٧٢ ـ وعن أبى بكرة نفيع بن الحارث رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا يدخل المدينة رعبُ المسيح الدَّجَّال، لها يومئذٍ سبعة أبواب، على كل باب ملكان»[4].

١٧٣ ـ وعن تميم بن أوس الداريّ فى حديثه الطويل فى الجسّاسة، ورؤية الدَّجَّال فى اليقظة فى بعض جزر البَحر، أن الدَّجَّال قال: «وإنى أوشك أن يُؤذَن لى فى الخروج، فأخرجَ فأسيرَ فى الأرضِ، فلا أدع قريةً إلا هبطتُها فى أربعين ليلةً، غير مكة وطيْبة، فهما مُحَرَّمتان علىَّ، كلما أردتُ أن أدخل واحدةَ منهما استقبلنى ملَكٌ بيده السيف صَلْتًا[5]، يصدُّنى عنها، وإن على كل نقبٍ منها ملائكةٌ يحرسونها». قال رسول الله ﷺ ـ وطعن بمَخْصَرَته[6] فى المنبر ـ **«هذه طيْبةٌ، هذه طَيْبة، هذه طيبة»**[7].

١٧٤ ـ وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثًا طويلاً عن الدجال فكان فيما حدثنا به أنه قال: **«يأتى الدَّجَّال، وهو مُحَرَّمٌ عليه أن يدخل نقابَ المدينة، فينزل السِّباخ التى بالمدينة، فيخرج إليه يومئذ رجلٌ هو خيرُ الناس ـ أو من خير الناس ـ فيقول: أشهد أنك الدَّجال، الذى حدّثنا عنكَ رسول الله ﷺ حَديثه. فيقول الدجالُ: أرأيتم إن قتلتُ هذا ثم أحييتُه هل تشكُّون فى الأمر؟ فيقولون: لا.**

---

(١) النَّقَب: الطريق فى الجبل وغيره، أو الطريق بين جبلين. (انظر: النهاية ٥/ ١٠٢، وفتح البارى ٤/ ٩٦، وسبل الهدى والرشاد ٣/ ٤٣٧).

(٢) السَّبَخَة: بفتح السين المهملة والباء الموحدة والخاء المعجمة: موضع بالمدينة بين موضع الخندق وبين جبل سَلْع. (سبل الهدى والرشاد ٣/ ٤٣٧).

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: فضائل المدينة، باب: لا يدخل الدجال المدينة ٤/ ٩٥ (١٨٨١)، وانظر أرقام (٧١٢٤، ٧١٣٤، ٧٤٧٣)، ومسلم فى كتاب: الفتن، باب: قصة الجساسة ٤/ ٢٢٦٥ ـ ٢٢٦٦ (٢٩٤٣/ ١٢٣).

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب: فضائل المدينة، باب: لا يدخل الدجال المدينة ٤/ ٩٥ (١٨٧٩)، وانظر أرقام (٧١٢٥، ٧١٢٦) فى كتاب: الفتن، باب: ذكر الدجال، وعبد الرزاق ١١/ ٣٩٢ (٢٠٨٢٣)، وأحمد ٥/ ٤١، ٤٣، ٤٦، ٤٧، وابن حبان ٩/ ٤٩(٣٧٣٢)، وابن أبى شيبة ١٢/ ١٨٠والحاكم٤/ ٥٤١، ٥٤٢.

(٥) صَلْتًا: أى مجردًا من غمْده. (سبل الهدى والرشاد ٣/ ٤٣٨).

(٦) المخْصَرة: بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الصاد المهملة، وهى العصا أو نحوها، يأخذها الرجل بيَده. (سبل الهدى والرشاد ٣/ ٤٣٨).

(٧) أخرجه مسلم فى كتاب: الفتن، باب: قصة الجساسة ٤/ ٢٢٦٤ (٢٩٤٢/ ١١٩).

فيقتله، ثم يحييه، فيقول حين يحييه: والله ما كنتُ قطُّ أشدَّ بصيرةً منى اليوم. فيقول الدجالُ: أقتُله، فلا أُسَلَّط عليه»[1].

خامسًا ـ فضيلة الصبر على شدَّتها:

فقد وعد النبيُّ ﷺ من صبر على شدة المدينة وضيق عيشها بالشفاعة يوم القيامة.

١٧٥ ـ فعن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون. لا يدعها أحدٌ رغبة عنها إلا أبدل اللهُ فيها من هو خيرٌ منه. ولا يثبت أحد على لأوَائها[2] وجَهْدها إلا كنتُ له شفيعًا أو شهيدًا يوم القيامة»[3].**

١٧٦ ـ وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من صبر على لأوائها كنت له شفيعًا أو شهيدًا يوم القيامة»[4].**

سادسًا ـ فضيلة الموت فيها: فمن أراد الله له الخير فمات فى المدينة فاز بشفاعته ﷺ وشهادته.

١٧٧ ـ فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:
«من استطاع أن يموت بالمدينة فلْيَمُت بها، فإنى أشفع لمن يموت بها»[5].

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: فضائل المدينة، باب: لا يدخل الدجال المدينة ٤/ ٩٥ ـ ٩٦ (١٨٨٢)، وفى كتاب: الفتن، باب: لا يدخل الدجال المدينة ١٣/ ١٠١ (٧١٣٢).

(٢) **اللأوَاء:** ـ بالفتح والمد ـ: الشدة وضيق المعيشة. (النهاية ٤/ ٢٢١).

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب: الحج، باب: فضل المدينة ٢/ ٩٩٢ (١٣٦٣/ ٤٥٩ ـ ٤٦٠).

(٤) أخرجه مسلم فى كتاب: الحج، باب: الترغيب فى سكنى المدينة والصبر على لأوائها ٢/ ١٠٠٤ (١٣٧٧/ ٤٨١ : ٤٨٣)، والترمذى فى كتاب: المناقب، باب: فى فضل المدينة ٥/ ٧١٩ ـ ٧٢٠ (٣٩١٨) (وقال: حسن صحيح غريب). وله شواهد بلفظه عن أبى سعيد وأبى هريرة أخرجه مسلم فى نفس الموضع (١٣٧٤/ ٤٧٧ و ١٣٧٨/ ٤٨٤) وعن أبى هريرة عند الترمذي (٣٩٢٤) وابن حبان ٩/ ٥٦ (٣٧٣٩ ـ ٣٧٤٠).

(٥) أخرجه أحمد ٢/ ٧٤، ١٠٤ بإسناد صحيح والترمذى ـ وقال: حسن غريب فى كتاب: المناقب، باب: فى فضل المدينة ٥/ ٧١٩ (٣٩١٧)، وابن ماجه فى كتاب: المناسك، باب: فضل المدينة ٢/ ١٠٣٩ (٣١١٢)، وصححه ابن حبان ٩/ ٥٧ (٣٧٤١).

وله شاهد من حديث الصمَيْتة الليثية رضى الله عنها، أخرجه الطبرانى فى الكبير ٢٤/ ٣٣١ (٨٢٤: ٨٢٦)

وصححه ابن حبان ٩/ ٥٨ (٣٧٤٢)، وقال الهيثمى فى المجمع ٣/ ٣٠٦: «إسناده حسن».

وشاهد من حديث سبيعة الأسلمية وعن امرأة يتيمة حدثت صفية بنت أبى عبيد عند الطبرانى فى الكبير ٢٤/ ٢٩٤ (٧٤٧)، و(٢٤/ ـ ٣٣٢ (٨٢٥ ـ ٨٢٦) وقال الهيثمى فى المجمع ٣/ ٣٠٦ عن حديث سبيعة: «رجاله رجال الصحيح خلا عبد الله بن عكرمة وقد ذكره ابن أبى حاتم، وروى عنه جماعة، لم يتكلم فيه أحد بسوء». وقال عن حديث اليتيمة: «إسناده حسن، ورجاله رجال الصحيح خلا شيخ الطبرانى».

ولذلك كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يدعو الله أن يجعل موته بها.

١٧٨ ـ **فعن زيد بن أسلم،** عن أبيه، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال:

«اللهم ارزقنى شهادةً فى سبيلك، واجعل موتى فى بلد رسولك ﷺ»(١).

وقد استجاب الله للفاروق فاستشهد فى محراب رسول الله ﷺ وهو يؤم المسلمين فى صلاة الفجر.

سابعًا ـ هى كهف الإيمان وطاردة الخبث والشِّرار:

فالإيمان يلجأ إليها مهما ضاقت به البلاد، والأخباث والأشرار لا مقام لهم فيها ولا استقرار، ولا يخرج منها أحدٌ رغبةً عنها إلا أبدلها الله خيرًا منه من المؤمنين الصادقين.

١٧٩ ـ **فعن أبى هريرة** قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الإيمان ليَأرِزُ(٢) إلى المدينة كما تأرِز الحية إلى جُحرها»(٣).

١٨٠ ـ **وعن جابر بن عبد الله** رضى الله عنهما؛ أن أعرابيًا بايع رسول الله ﷺ، فأصاب الأعرابىَّ، وَعَكٌ بالمدينة، فأتى النبىَّ ﷺ، فقال: يا محمد، أقِلْنى بيعتى. فأبى رسول الله ﷺ، ثم جاءه فقال: أقلنى بيعتى، فأبى، ثم جاءه فقال: أقلنى بيعنى، فأبى، فخرج الأعرابىُّ، فقال رسول الله ﷺ: «**إنما المدينة كالكِير(٤)، تنفى خَبَثَها،**

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: فضائل المدينة، باب: حدثنا مسدد ٤/ ١٠٠ (١٨٩٠).

(٢) **يأرِز:** بفتح أوله وسكون الهمزة، وكسر الراء وقد تضم، بعدها زاى ـ وحُكى فتح الراء، وحُكى ضمها ـ ومعناه: «ينضم ويجتمع» (انظر: فتح البارى ٤/ ٩٣).

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: فضائل المدينة، باب: الإيمان يأرِز إلى المدينة ٤/ ٩٣ (١٨٧٦) ومسلم فى كتاب: الإيمان، باب: بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا ١/ ١٣١ (١٤٧/ ٢٣٣)، وان ماجة فى كتاب: المناسك، باب: فضل المدينة ٢/ ١٠٣٨ (٣١١١)، وابن حبان ٩/ ٤٦ (٣٧٢٨، ٣٧٢٩)، وأحمد ٢/ ٢٨٦، ٤٢٢.

وقد روى عن ابن عمر: أخرجه البزار ٢/ ٥٠ (١١٨٢) وقال: الصواب عن أبى هريرة، وصححه ابن حبان ٩/ ٤٥ (٣٧٢٧)، وهو جزء من حديثه عند مسلم فى الموضع السابق (١٤٦/ ٢٣٢) ولفظه: «وهو يأرز بين المسجدين».

(٤) **الكير:** بكسر الكاف وسكون التحتية، وهو المعروف بين الناس أنه الزِّقُّ الذى ينفخ فيه، لكن أكثر أهل اللغة على أن المراد بالكير: كانون الحدّاد والصائغ. وقيل: الكير هو: الزق، والكانون هو الكور. (سبل الهدى والرشاد ٣/ ٤٤٥).

وينصع[1] طَيِّبُها»[2].

١٨١ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«... والذى نفسى بيده لا يخرج منها أحدٌ رغبةً عنها إلا أخلف الله فيها خيرًا منه، ألا إن المدينة كالكير، تخرج الخبيث، لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارَها كما ينفى الكيرُ خَبَثَ الحديد»[3].

ثامنًا ـ تنفى الذنوب والأوزار:

١٨٢ ـ عن زيد بن ثابتٍ رضى الله عنه

«إنها ـ أى المدينة ـ طيْبَة، تنفى الذنوبَ[4]، كما تنفى النارُ خَبَثَ الفضة»[5].

تاسعًا ـ حفظ الله إياها ممن يريدها بسوء:

فقد تكفّل الله بحفظها من كل قاصدٍ إياها بسوء، وتوعّد النبى ﷺ من أحدث فيها حدثًا، أو آوى فيها مُحْدِثًا، أو أخاف أهلها، بلعنة الله وعذابه، وبالهلاك العاجل.

١٨٣ ـ فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ أراد أهلها (يعنى المدينة) **بسوءٍ** ـ وفى رواية: **بشَرٍّ ـ أذابه الله كما يذوب الملح فى الماء»[6].**

---

(١) رُوى يَنْصع، بالياء التحتية على الفاعلية، وتَنَصَّع، بالتاء الفوقية على المفعولية، من النُّصوع وهو: الخلَوص. والمعني: أنها إذا نفت الخبثَ تميّز الطيبُ، واستقر بها طيبُها. (سبل الهدى والرشاد ٣/ ٤٤٥).

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: فضائل المدينة، باب: المدينة تنفى الخبث ٤/ ٩٦ (١٨٨٣) وانظر أرقام (٧٢٠٩، ٧٢١١، ٧٢١٦، ٧٣٢٢)، ومسلم (واللفظ له) فى كتاب: الحج، باب: المدينة تنفى شرارها ٢/ ١٠٠٦ (١٣٨٣/ ٤٨٩)، والترمذى ـ وقال: حسن صحيح ـ فى كتاب: المناقب، باب: فى فضل المدينة ٥/ ٧٢٠ (٣٩٢٠)، والنسائى فى كتاب: البيعة، باب: استقالة البيعة ٧/ ١٥١، ومالك فى الموطأ ٢/ ٨٨٦، وابن حبان ٢/ ٤٩ ـ ٥٠ (٣٧٣٢، ٣٧٣٥)، وأحمد ٣/ ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٦٥، ٣٨٥، ٣٩٢، والطحاوى فى مشكل الآثار ٢/ ٢٩٨.

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب: الحج، باب: المدينة تنفى شرارها ٢/ ١٠٠٥ (١٣٨١/ ٤٨٧)، وابن حبان ٩/ ٥١ ـ ٥٢ (٣٧٣٤).

(٤) فى رواية: «تنفى الخبث»، وفى رواية: «تنفى الرجال».

(٥) أخرجه البخارى فى كتاب: المغازى، باب غزوة أحد ٧/ ٣٥٦ (٤٠٥٠) بهذا اللفظ، وأخرجه فى كتاب: فضائل المدينة باب: المدينة تنفى الخبث ٤/ ٩٦ـ٩٧ (١٨٨٤)، وفى كتاب: التفسير سورة النساء ٨/ ٢٥٦ (٤٥٨٩)، ومسلم فى كتاب: الحج، باب: المدينة تنفى شرارها ٢/ ١٠٠٧ (١٣٨٤/ ٤٩٠).

(٦) أخرجه مسلم فى كتاب: الحج، باب: من أراد أهل المدينة بسوءٍ أذابه الله ٢/ ١٠٠٧ ـ ١٠٠٨ (١٣٨٦ ـ ٤٩٢ ـ ٤٩٣)، وابن ماجه فى كتاب: المناسك، باب: فضل المدينة ٢/ ١٠٣٩ (٣١١٤)، وابن حبان ٩/ ٥٤ (٣٧٣٧)، وأحمد ٢/ ٢٧٩، ٣٠٩، ٣٣٠ ـ ٣٣١، ٣٥٧.

١٨٤ ـ وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«من أراد أهل المدينة بسوءٍ أذابه اللهُ كما يذوب الملحُ فى الماء»(١).

١٨٥ ـ وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«اللهم اكفهم من دهمهم ببأس ـ يعنى المدينة ـ **ولا يريدها أحد بسوءٍ إلا أذابه الله كما يذوب الملح فى الماء»**(٢).

١٨٦ ـ وفى رواية عنه رضى الله عنه قال: سمعت النبىّ ﷺ يقول:

«لا يكيدُ أهلَ المدينة أحدٌ إلا انماع(٣)، كما ينماع الملحُ فى الماء»(٤).

١٨٧ ـ وعن جابر عن عبد الله رضى الله عنهما

«مَنْ أخاف أهلَ المدينة قد أخاف ما بين جَنْبى(٥)» يعنى نفسه ﷺ.

١٨٨ ـ وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه

«اللهم مَنْ ظلم أهلَ المدينة وأخافهم فَأَخِفْهُ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقْبَلُ منه صَرْفٌ، ولا عَدْلٌ»(٦).

١٨٩ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال:

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: فضائل المدينة، باب: الإيمان يأرز إلى المدينة ٤/ ٩٣ (١٨٧٧)، ومسلم فى الموضع السابق (١٣٨٧/ ٤٩٤)، وأحمد ١/ ١٨٠،

وقد أخرجه مسلم فى نفس الموضع عن أبى هريرة وسعد معًا (١٣٨٧/ ٤٩٥) وكذلك أبو يعلى ٢/ ١٢٩ (٨٠٤).

(٢) أخرجه البزار ٢/ ٥١ (١١٨٣) وقال الهيثمي فى المجمع ٣/ ٣٠٧: «فى الصحيح طرف من آخره، وإسناده حسن». **قلت:** الذى فى الصحيح: من أول قوله: «ولا يريدها» أخرجه مسلم فى كتاب: الحج، باب: فضل المدينة ٢/ ٩٩٢ (١٣٦٣/ ٤٦٠).

(٣) **انماع**: أى ذاب وسال. (فتح البارى ٤/ ٩٤، سبل الهدى والرشاد ٣/ ٤٥٠).

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب: فضائل المدينة، باب: إثم من كاد أهل المدينة ٤/ ٩٤ (١٨٧٧).

(٥) أخرجه أحمد ٣/ ٣٥٤، ٣٩٣ بإسناد صحيح وقال الهيثمى فى المجمع ٣/ ٣٠٦: «رجاله رجال الصحيح»، والبخاري فى التاريخ الكبير ١/ ٥٣، وصححه ابن حبان ٩/ ٥٥ (٣٧٣٨) بلفظ **«من أخاف أهل المدينة أخافه الله»**.

(٦) عزاه الهيثمى فى المجمع ٣/ ٣٠٦ للطبرانى فى الأوسط والكبير، وقال: «رجاله رجال الصحيح». وله شاهد من حديث السائب بن خلاّد، أخرجه الطبرانى فى الكبير ٧/ ١٤٤ (٦٦٣٦، ٦٦٣٧) وقال الهيثمى فى المجمع ٣/ ٣٠٧: عن الأول: «فيه من لم أعرفه» وعن الثانى: «فيه موسي بن عبيدة، وهو ضعيف». ومعنى **صَرْفًا، وعَدْلاً**: فيه عشرة أقوال ذكرها ابن حجر فى الفتح ٤/ ٨٦، والجمهور على أن الصرف: الفريضة، والعدل: النافلة.

«المدينة حَرَمٌ، فمن أحدث فيها حَدَثًا[1] أو آوى مُحْدِثًا[2]، فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقْبَلُ منه يوم القيامة عَدْلٌ، ولا صَرْفَ»[3].

عاشرا ـ تحريمها:

فقد حرَّمها النبي ﷺ بوحيٍ من الله، فلا يُراق فيها دمٌ، ولا يُحْمَل فيها سلاحٌ، ولا يُرَوَّع فيها أحدٌ، ولا يُقطع فيها شجر، ولا تحل لقطتها إلا لمنشد، وغير ذلك مما يدخل فى تحريمها.

١٩٠ ـ فعن عبد الله بن زيد بن عاصم رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«إنّ إبراهيم حرَّم مكة ودعا لأهلها، وإنى حَرَّمتُ المدينة كما حرّم إبراهيم مكة، وإنى دعوتُ لها فى صاعها ومُدِّها بمثلَىْ ما دعا به إبراهيم لأهل مكة»[4].

١٩١ ـ وعن أنس رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ طلع له أُحُدٌ، فقال:

«هذا جبلٌ يُحبُّنا ونُحبُّه. اللهم إنّ إبراهيم حرّم مكة، وإنىِّ أُحرِّم ما بين لابَتَيْها»[5] يعنى المدينة.

١٩٢ ـ وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال النبى ﷺ: **«إن إبراهيم**

---

(١) **الحَدَث** ـ بالتحريك ـ: الأمر الحادث المنكر الذى ليس بمعروف فى السُّنَّة. (سبل الهدى والرشاد ٣/ ٤٤٩).
وقال ابن حجر فى الفتح ٤/ ٨٤: «المراد بالحدث والمحدث: الظلم والظالم على ما قيل، أو ما هو أعم من ذلك».

(٢) **من آوى المحدث** ـ بكسر الدال اسم فاعل ـ: أى من نصر جانيًا وآواه وأجاره من خَصْمه، وحال بينه وبين أن يُقتصّ مَنه، ومعنى الإيواء الرضا، فإنه إذا رضى به وأقرّ فاعله من غير إنكارٍ فقد آواه. (سبل الهدى والرشاد ٣/ ٤٤٩).

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب: الحج، باب: فضل المدينة ٢/ ٩٩٩ (١٣٧١/ ٤٦٩ ـ ٤٧٠).

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب: البيوع، باب: بركة صاع النبى ﷺ ومُدّه ٤/ ٣٤٦ (٢١٢٩)، ومسلم ـ واللفظ له ـ فى كتاب: الحج، باب: فضل المدينة ٢/ ٩٩١ (١٣٦٠/ ٤٥٤ ـ ٤٥٥)، والطحاوى فى مشكل الآثار ٢/ ٩٧ ـ ٩٨.

(٥) أخرجه البخارى فى كتاب المغازى، باب: أحد جبل يحبنا ونحبه ٧/ ٣٧٧ (٤٠٨٤) وانظر أرقام (٢٨٨٩، ٢٨٩٣، ٣٣٦٧، ٥٤٢٥، ٧٣٣٣)، ومسلم فى كتاب: الحج، باب: فضل المدينة ٢/ ٩٩٣ (١٣٦٥/ ٤٦٢)، والترمذى ـ وقال: حسن صحيح (واللفظ له) ـ فى كتاب: المناقب، باب: فى فضل المدينة ٥/ ٧٢١ (٣٩٢٢)، وابن حبان ٩/ ٤٢ (٣٧٢٥)، وأحمد ٣/ ١٤٠. والجزء الأخير «أُحُدٌ ...» أخرجه البخارى فى السابق (٤٠٨٣) ومسلم فى كتاب: الحج، باب: أحد جبل يحبنا ونحبه ٢/ ١٠١١ (١٣٩٣/ ٥٠٤).

حَرَّم مكة، وإنِّى حرَّمتُ المدينة ما بين لَابَتَيها، لا يُقْطَع عِضَاهُها[1]، ولا يُصَادُ صيدُها»[2].

١٩٣ ـ وعن علّى رضى لله عنه أن النبىّ ﷺ **قال فى المدينة:**

«لا يُخْتَلَى خلاها[3]، ولا ينَفَّر صيدُها[4]، ولا تحلُّ لُقَطَتُها إلا لمن أشادها[5]، ولا يصلح لرجل أن يحمل فيها السلاح لقتال، ولا يصلُحُ أن يقْطع منها شجرٌ إلا أن يَعْلف رجلٌ بعيره»[6].

١٩٤ ـ وعنه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ:

«المدينة حَرَمٌ ما بين عائرٍ إلى كذا (فى رواية) **ما بينَ عَيْرٍ إلى ثَوْرٍ» من أحدث فيها حدثا...»** الحديث[7].

١٩٥ ـ وعن أنس رضى الله عنه، عن النبىِّ ﷺ قال:

«المدينةُ حَرَمٌ من كذا إلى كذا، لا يُقطَع شجرُها، ولا يُحْدَثُ فيها حَدَثٌ من أحدثَ

---

(١) **العضَاه** ـ بالقصر وكسر العين المهملة وتخفيف الضاد ـ: كل شجرٍ فيه شوكٌ واحدتها: عِضَاهة وعَضِيهة. (سبَل الهدى والرشاد ٣/ ٤٥٧).

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب: الحج، باب: فضل المدينة ٢/ ٩٩٢ (١٣٦٢/ ٤٥٨).

(٣) **لا يُخْتَلَى خَلَاَها**: لا يُجزُّ ولا يُقْطَع الحشيش الرطب فيها. (انظر: سبل الهدى والرشاد ٣/ ٤٥٧.

(٤) **لا يُنَفَّر صيدُها**: أى لا يُزْجَر ويُمْنَع من الرعى. (سبل الهدى والرشاد ٣/ ٤٥٧).

(٥) **أشادها** ـ بشين معجمة ودال مهملة ـ: أى أشاعها، والإشادة: رفع الصوت، والمراد به تعريفُ اللقطة. (سبل الهدى والرشاد ٣/ ٤٥٧).

(٦) أخرجه أحمد ١/ ١١٩.

(٧) أخرجه البخارى فى كتاب: فضائل المدينة، باب: حرم المدينة ٤/ ٨١ (١٨٧٠) وفى كتاب: الجزية، باب: ذمة المسلمين وجوارهم واحدة ٦/ ٢٧٣ (٣١٧٢)، وفى باب: إثم من عاهد ثم غدر ٦/ ٢٧٩ (٣١٧٩)، وفى كتاب: الفرائض، باب: إثم من تبرأ من مواليه ١٢/ ٤١ ـ ٤٢ (٦٧٥٥)، وفي كتاب: الاعتصام، باب: إثم من آوى محدثا ١٣/ ٢٨١ (٧٣٠٦)ومسلم فى كتاب: الحج، باب فضل المدينة ٢/ ٩٩٤ ـ ٩٩٩ (١٣٧٠/ ٤٦٧ ـ ٤٦٨)، وأبو داود فى كتاب: المناسك، باب: فى تحريم المدينة ٢/ ٢١٦ ـ ٢١٧ (٢٠٣٤ ـ ٢٠٣٥)، والترمذى ـ وقال: حسن صحيح ـ فى كتاب: الولاء والهبة باب: ما جاء فيمن ولى غير مواليه وادعى إلى غير أبيه ٤/ ٤٣٨ ـ ٤٣٩ (٢١٢٧).

وعَيْر: بفتح العين المهملة وسكون المثناة التحتية، وبالراء: الحمار، ويقال: عَيْرٌ جبل يُسمى باسمه، عن يمين الأول بالوارد، والثانى بالصادر.

وثور: بالمثلثة، مرادف فحل البقر؛ جبلٌ صغيرٌ خلف أحد .(سبل الهدى وَالرشاد ٣/ ٤٥٧. وانظر ما كتبه عنهما الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى فى تحقيق صحيح مسلم ٢/ ٩٩٥: ٩٩٨).

حَدَثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[١].

١٩٦ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه كان يقول:

«لو رأيتُ الظِّباء بالمدينة ترتع ما ذَعَرْتُها»[٢]، قال رسول الله ﷺ: **«ما بين لابَتَيْها حرام»**[٣].

وفى ختام هذا الفصل أسأل الله العظيم ربّ العرش العظيم أن يمتعنا بكثرة زيارة المدينة المشرفة والصلاة فى الروضة المباركة، وأن يجعل لنا فى مدينة حبيبه ﷺ قرارًا ورزقًا حسنًا، وأن يكتب لنا موتةً فيها حتى نحظى بشفاعته وشهادته ﷺ.

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: فضائل المدينة، باب: حرم المدينة ٤/ ٨١ (١٨٦٧) وفى كتاب: الاعتصام، باب: إثم من أوى محدثا ١٣/ ٢٨١ (٧٣٠٦)، ومسلم فى كتاب: الحج، باب: فضل المدينة ٢/ ٩٩٤ (١٣٦٦/ ٤٦٣).

(٢) ماذَعرتُها: أى ما قصدتُ أخذها فأخفتُها بذلك، وكنَّى بذلك من عدم صيدها. (فتح البارى ٤/ ٨٩).

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: فضائل المدينة، باب: لابَتَى المدينة ٤/ ٨٩ (١٨٧٣)، ومسلم فى كتاب: الحج، باب: فضل المدينة ٢/ ١٠٠٠ (١٣٧٢/ ٤٧١ ـ ٤٧٢)، والترمذى ـ وقال: حسن صحيح ـ فى كتاب: المناقب، باب: فى فضل المدينة ٥/ ٧٢١ (٣٩٢١)، وأحمد ٢/ ٢٣٦، ٢٥٦، ٤٨٧، وابن حبان ٩/ ٦٧ (٣٧٥١).

الفصل الثالث عشر
التأريخ بالهجرة

لاشك أن الهجرة من أعظم أحداث الإسلام إن لم تكن أعظمها على الإطلاق، فقد نصر الله فيها عبده ونبيَّه ﷺ إذ تخلّى الناس عنه وطاردوه، ففتح لدعوته ولنبيه قلوب الأنصار، وجعل دار الهجرة منطلقه إلى الفتوحات المختلفة، فكانت الهجرة حدا فاصلاً بين الجهاد السلمى والجهاد الحربى، وبين الدعوة المجردة والدعوة المحمية بقوة السلاح، وبين عهد الصبر على الأذى وعهد ردّ السيئة بمثلها. وبين عهد الاستضعاف، وعهد القوة والعزة، وبين عهد الدعوة التى آمن بها جماعة من الأفراد، وعهد الدعوة التى صارت لها دولة، وقام لها نظام، وعمل على حمايتها جيش.

لكل ذلك كان طبيعيًا أن يؤرِّخ بها المسلمون، فما معني التأريخ، ومتى بدأ العمل بالتاريخ الهجرى، وما السبب فى ذلك؟

معنى التأريخ:

التأريخ: تعريف الوقت. والتوريخ مثله، تقول: أرَّخْت، ورَّخْت. وقيل: اشتقاقه من الأرخ، وهو الأنثى من بقر الوحش، كأنه شيء حدث كما يحدث الولد. وقيل: هو معرّب. ويقال: أول ما أحدث التاريخ من الطوفان(1).

ومعنى تعريف الوقت: تعيين وقتٍ لِيُنتسب إليه زمانٌ، سواء أكان مستقبلاً أم ماضيًا(2).

وعلى هذا فالتأريخُ الهجرى هو: تعريف الوقت بإسناده إلى أول العام الذى هاجر فيه النبى ﷺ إلى المدينة المنورة(3).

والتأريخ بالهجرة النبوية أمرٌ اتفقت عليه كلمة المسلمين.

١٩٧ ـ فعن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال:

«ما عَدُّوا من مبعث النبى ﷺ، ولا من وفاته، ما عَدُّوا إلا من مَقْدمه المدينة»(4).

---

(١) فتح البارى ٧/٢٦٨، وانظر: لسان العرب ٣/٤ مادة (أرخ)، والصحاح ١/٤١٩ مادة (أرخ).
(٢) دراسات فقهية: للدكتور نزيه حماد صـ١٦٢.
(٣) دراسات فقهية: صـ١٦٣.
(٤) أخرجه البخارى فى كتاب: مناقب الأنصار، باب: التاريخ ومن أين أرخوا التاريخ ٧/٢٦٧ (٣٩٣٤)، وفى التاريخ الكبير فى المقدمة صـ٩.

١٩٨ ـ وفى رواية عنه رضى الله عنه قال:

«أخطأ الناسُ فى العدد، ما عدُّوا من مبعثه[١]، ولا من وفاته، إنما عدُّوا من مقدمه المدينة»[٢].

١٩٩ ـ وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال:

«كان التأريخ فى السنة التى قدم فيها رسول الله ﷺ المدينة، وفيها وُلد عبدُ الله بن الزّبير»[٣].

أول من أمر بذلك:

١ ـ **قيل:** إن النبىَّ ﷺ أول من أمر بذلك.

قال ابن جرير الطبرى: «ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة أمر بالتأريخ، فيما قيل.

٢٠٠ ـ حدثنى زكرياء بن يحيى بن أبى زائدة، قال: حدثنا أبو عاصم، عن ابن جريج، عن أبى سلمة، عن ابن شهاب، أن النبىّ ﷺ لما قدم المدينة ـ وقدمها فى شهر ربيع الأول ـ أمر بالتأريخ[٤].

قال أبو جعفر (ابن جرير): فذكر أنهم كانوا يؤرخون بالشهر والشهرين من مقدمه إلى أن تمت السنة»[٥].

وقال الحافظ مُغلَطاى: «وأمر عليه الصلاة والسلام بالتاريخ، فكتب من حين الهجرة»[٦].

٢ ـ **وقيل:** إنما أمر بذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وجعله من المحرم وهذا هو المشهور كما ذكر ابن حجر العسقلانى[٧].

---

(١) فى مطبوعة المستدرك «بيعته»، وهو تصحيف، والصواب ما أثبتُّه، وهو الموافق للحديث السابق عند البخارى، وانظر لفظ الحاكم فى «فتح البارى» ٧/ ٢٦٨.

(٢) أخرجه الحاكم ٣/ ١٣، وقال: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبى. وأخرجه ابن جرير الطبرى فى تاريخ الأمم والملوك ٢/ ٣٨٩ بلفظ «ما أصاب الناس العدد».

قال ابن حجر: «والمراد من قوله: «**أخطأ الناس العدد**»: أى أغفلوه، وتركوه ثم استدركوه، ولم يُرِد أن الصواب خلاف ما عملوا. ويحتمل أن يريده، وكان يرى أن البداءة من حيث المبعث أو الوفاة أولى، وله اتجاه، ولكن الراجح خلافه» . (فتح البارى ٧/ ٢٦٨).

(٣) أخرجه البخارى فى مقدمة التاريخ الكبير صـ٩، وابن جرير فى التاريخ ٢/ ٣٨٩، ٣٩٠، وصححه الحاكم ٣/ ١٣ ـ ١٤ على شرط مسلم، ووافقه الذهبى.

(٤) عزاه ابن حجر فى الفتح ٧/ ٢٦٨ إلى الحاكم فى الإكليل»، وقال: «هذا معضل، والمشهور خلافه».

(٥) تاريخ الأمم والملوك ٢/ ٣٨٨.

(٦) الإشارة إلى سيرة المصطفى صـ١٦٧.

(٧) فتح البارى ٧/ ٢٦٨، وانظر: الإشارة إلى سيرة المصطفى صـ١٦٨.

قال ابن كثير: (اتفق الصحابة رضى الله عنهم فى سنة ست عشرة، وقيل: سنة سبع عشرة، أو ثمانى عشرة، فى الدولة العمرية، على جعل ابتداء التاريخ الإسلامى من سنة الهجرة»[1].

أما سبب اتجاه الصحابة إلى التأريخ فى عهد عمر، فاختلفت الروايات بشأنه.

٢٠١ ـ فعن مجالد بن سعيد، عن الشَّعْبى عامر بن شراحيل، قال:

«كتب أبو موسى الأشعرىُّ إلى عمر: إنه تأتينا منك كتب ليس لها تاريخ. قال: فجمع عمر الناس للمشورة، فقال بعضهم: أرِّخْ لمبعث رسول الله ﷺ. وقال بعضهم: لمهاجر رسول الله ﷺ. فقال عمر: لا، بل نؤرِّخ لمهاجرَ رسول الله ﷺ، فإن مهاجَره فَرَق بين الحق والباطل»[2].

٢٠٢ ـ زاد فى رواية: «وذلك سنة سبع عشرة، فلما اتفقوا قال بعضهم: ابدءوا برمضان، فقال عمر: بل بالمحرم؛ فإنه منصرَف الناس من حجهم، فاتفقوا عليه»[3].

٢٠٣ ـ وعن ميمون بن مِهْرَان، قال:

«رُفع إلى عمر صكٌّ محلّه فى شعبان، فقال عمر: أى شعبان؟ الذى هو آت، أو الذى نحن فيه؟ قال: ثم قال لأصحاب رسول الله ﷺ: ضعوا للناس شيئًا يعرفونه. فقال بعضهم: اكتبوا على تأريخ الروم. فقيل: إنهم يكتبون من عهد ذى القرنين، فهذا يطول. وقال بعضهم: اكتبوا على تأريخ الفرس. فقيل: إن الفرس كلما قام مَلِكٌ طرح مَنْ كان قبله، فاجتمع رأيُهم على أن ينظروا: كم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة؟ فوجدوه عشر سنين، فكُتب التأريخ من هجرة رسول الله ﷺ»[4].

٢٠٤ ـ وعن محمد بن سيرين، قال:

«قام رجلٌ إلى عمر بن الخطاب، فقال: أرِّخوا. فقال عمر: ما أرِّخوا؟ قال: شىء تفعله الأعاجم، يكتبون فى شهر كذا من سنة كذا. فقال عمر بن الخطاب: حَسَنٌ، فأرِّخوا. فقالوا: من أى السنين نبدأ؟ قال: من مبعثه، وقالوا: من وفاته، ثم أجمعوا

---

(١) البداية والنهاية ٣/ ٢٠٤.

(٢) أخرجه ابن جرير ٢/٣٨٨، ومجالد ضعيف، وفيه انقطاع، لأن الشعبى لم يدرك القصة، إلاَّ أن يكون سمعها من أبى موسى، فإن له رواية عنه.

(٣) عزاه الحافظ ابن حجر فى الفتح ٧/٢٦٨ لأبى نعيم الفضل بن دكين فى تاريخه، ومن طريقه الحاكم. قلت: وإسناد ابن جرير أيضًا من طريقه.

(٤) أخرجه ابن جرير فى التاريخ ٢/٣٨٨ ـ ٣٨٩، وعزاه ابن حجر فى الفتح ٧/٢٦٨ لأحمد، وأبى عروبة فى «الأوائل»، والحاكم.
وفيه انقطاع أيضًا؛ لأن ميمون بن مِهْران لم يدرك القصة.

على الهجرة. ثم قالوا: فأىّ الشهور نبدأ؟ فقالوا: رمضان، ثم قالوا: المحرَّم، فهو منصرَف الناس من حجهم، وهو شهر حرام، فأجمعوا على المحرّم»(١).

٢٠٥ ـ وفى رواية قال: «قدم رجل من اليمن، فقال: رأيت باليمن شيئًا يسمونه التاريخ، يكتبونه من عام كذا وشهر كذا. فقال عمر: هذا حسن، فأرِّخوا. فلما جمع على ذلك قال قوم: أرِّخوا للمولد، وقال قائل: للمبعث، وقال قائل: من حين خرج مهاجرًا، وقال قائل: من حين تُوفى. فقال عمر: أرِّخوا من خروجه من مكة إلى المدينة.

ثم قال: بأى شهر نبدأ؟ فقال قوم: من رجب، وقال قائل: من رمضان، فقال عثمان: أرِّخوا المحرّم، فإنه شهر حرام، وهو أول السنة، ومنصَرف الناس من الحج. قال: وكان ذلك سنة سبع عشرة، وقيل سنة ست عشرة، فى ربيع الأول»(٢).

٢٠٦ ـ وعن سعيد بن المسيب، قال:

«جمع عمر بن الخطّاب الناس، فسألهم، فقال: من أى يوم نكتب؟ فقال علىٌّ عليه السلام: من يوم هاجر رسول الله ﷺ وترك أرض الشرك. ففعله عمر رضى الله عنه»(٣).

ولا مانع أن تكون الأسباب الواردة فى هذه الآثار جميعا أسبابٌ صحيحة، وأن يكون كلٌّ من عثمان وعلىّ، بل وغيرهم من الصحابة، أشاروا بجعل الهجرة من مبدأ التاريخ، ووافق ذلك رأىَ عمر رضى الله عنه، فاجتمعت الكلمة على ذلك.

٣ ـ وقيل: أول من أرَّخ يَعْلَى بنُ أُمَيّة رضى الله عنه إذ كان باليمن(٤). قال الذهبى: «وَلِى اليمن لعثمان»(٥)، ومعنى هذا أن ذلك كان بعد عمر رضى الله عنه.

٢٠٧ ـ فعن عمرو بن دينار، قال:

«كان أول من أرَّخ الكتب يَعْلَى بنُ أُمَيّة، وهو باليمن، فإن النبىَّ ﷺ قدم المدينة فى

---

(١) أخرجه ابن جرير فى التاريخ ٢/٣٨٩، وفيه انقطاع أيضا؛ لأن ابن سيرين لم يدرك القصة. وانظر: البداية والنهاية ٣/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

(٢) عزاه ابن حجر فى الفتح ٧/ ٢٦٩ لابن أبى خيثمة.

(٣) أخرجه ابن جرير فى التاريخ ٢/ ٣٩١، وصححه الحاكم ٣/ ١٤، ووافقه الذهبى وأخرجه البخارى فى مقدمة التاريخ الكبير صـ٩ **قلت:** وسعيد ابن المسيب وإن لم يدرك القصة فهو أعلم الناس بعُمر وأيام عمر.

(٤) الإشارة إلى سيرة المصطفى صـ١٦٨.

(٥) سير أعلام النبلاء ٣/١٠١.

شهر ربيع الأول، وإن الناسَ أرّخوا لأول السنة، وإنما أرَّخ الناس لمقدم النبى ﷺ»[1].

قلت: قد يكون المقصود أنه أول من فعل ذلك باليمن؛ لا أنه أول من ابتدأ ذلك، أو يكون هو أول من فعل ذلك بعد أن اتفقت كلمة المسلمين فى عهد عمر على اتخاذ التاريخ الهجرى. وعلى ذلك فلا منافاة بين هذا القول والقول السابق، والله أعلم.

مناسبة ابتداء التاريخ بالهجرة:

قال ابن حجر: «وقد أبدى بعضهم للبداءة بالهجرة مناسبة، فقال: كانت القضايا التى اتفقت له ويمكن أن يُؤرَّخ بها أربعة: مولده، ومبعثه، وهجرته، ووفاته، فرجح عندهم جعلها من الهجرة؛ لأن المولد والمبعث لا يخلو واحدٌ منهما من النزاع فى تعيين السنة، وأما وقت الوفاة، فأعرضوا عنه؛ لِمَا تُوقِّع بذكره من الأسف عليه، فانحصر فى الهجرة.

وإنما أخّروه من ربيع الأول إلى المحرّم؛ لأن ابتداء العزم على الهجرة كان فى المحرم، إذ البيعة وقعت فى أثناء ذى الحجة، وهى مقدمة الهجرة، فكان أولُ هلالٍ استهل بعد البيعة والعزم على الهجرة هلال المحرم، فناسب أن يجعل مبتدأ.

وهذا أقوى ما وقفت عليه من مناسبة الابتداء بالمحرم»[2].

ويرى ابنُ كثير أنهم ابتدءوا بالمحرَّم لأنه أول شهور العرب، فجعلوا السنة الأولى سنة الهجرة وجعلوا أولها المحرَّم كما هو المعروف؛ لئلا يختلط النظام[3].

وللإمام السُّهَيْلىّ نظرٌ لطيفٌ فى قوله تعالى ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ (التوبة: ١٠٨)، إذ يرى أن اتخاذ الصحابة الهجرة مبدءًا للتأريخ مأخوذ من قوله ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ فيقول تحت عنوان «التأريخ العربى».

«وفى قوله سبحانه ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾، وقد عُلِمَ أنه ليس أولَ الأيام كلها، ولا أضافه إلى شىء فى اللفظ الظاهر، فيه من الفقه: صحةُ ما اتفق عليه الصحابة مع عمر حين شاورهم فى التاريخ، فاتفق رأيُهم أن يكون التاريخ من عام الهجرة؛ لأنه الوقت الذى عزّ فيه الإسلام، والذى أمَّر فيه النبىُّ ﷺ، وأسّس المساجد، وعبَد الله آمنًا كما يحب.

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٢٢٢، وقال ابن حجر «بإسناد صحيح، لكن فيه انقطاع بين عمرو بن دينار ويعلى» (الفتح/٧/ ٢٦٨)، ومن طريق أحمد: أخرجه ابن جرير فى التاريخ ٢/ ٣٩٠، والحاكم ٣/ ٤٢٤، وسكت عليه هو والذهبى. وأورده الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٣/ ١٠١، وابن كثير فى البداية والنهاية ٣/ ٢٠٥.

(٢) فتح البارى ٧/ ٢٦٨.

(٣) البداية والنهاية ٣/ ٢٠٥.

فوافق رأيُهم هذا ظاهرَ التنزيل.

وفَهِمْنا الآن بفعلهم أن قوله سبحانه ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ أن ذلك اليوم هو أول أيام التاريخ الذى يُؤَرَّخ به الآن.

فإن كان أصحابُ رسول الله ﷺ أخذوا هذا من الآية فهو الظنُّ بأفهامهم، فهم أعلمُ الناس بكتاب الله وتأويله، وأفهمهُم بما فى القرآن من إشارات وإفصاح.

وإن كان ذلك منهم عن رأيٍ واجتهادٍ فقد عَلم ذلك منهم قبل أن يكونوا، وأشار إلى صحته قبل أن يُفْعَل، إذا لا يُعقل قولَ القائل: فعلته أوّلَ يوم، إلا بإضافة إلى عامٍ أو شهرٍ معلومٍ، أو تاريخ معلوم، وليس ها هنا إضافة فى المعنى إلا إلى هذا التاريخ المعلوم؛ لعدم القرائن الدالَّة على غيره من قرينة لفظ أو قرينة حالٍ، فتدبره، ففيه معتبرٌ لمن اذكر، وعلمٌ لمن رأى بعين فؤاده واستبصر، والحمد لله»[1].

كيف كان الصحابة يؤرِّخون قبل اتفاقهم على ذلك:

فى كلام ابن جرير السابق عن ابن شهاب: أنهم كانوا يُؤَرِّخون بالشهر والشهرين من مقدَمه إلى أن تمت السنة.

وهذا واضح لمن تأمَّل أدنى تأمُّل فى النصوص التى تتناول الوقائع فى السيرة النبوية فى العهد المدنى، إذ كان حساب الوقت الذى تحدث فيه الواقعة يتم بالنسبة إلى مقدَمه ﷺ المدينة، وهاكَ مثالاً لذلك يتعلق بواقعة تحويل القبلة.

٢٠٨ ـ عن البراء بن عازب رضى الله عنهما «أن النبىّ ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده ـ أو قال: أخواله ـ من الأنصار، وأنه صلى قِبَل بيت المقدس ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا، وكان يعجبه أن تكون قبلتُه قِبَلَ البيت . . .» الحديث[2].

ولعلّ ذلك ـ هو مقصودَ الزهرى من قوله السابق: إن النبى ﷺ لما قدم أمر بالتأريخ؛ فإن الصحابة من ساعة قدومه ﷺ كانوا ينسبون أوقات الوقائع إلى قدومه الكريم، إلى أن أمر عمر ـ بعد مشاورة الصحابة ـ بنسبة السنين والأعوام إلى الهجرة مبتدئًا من شهر المحرم، كما سبق بيانه، والله أعلم.

(١) الروض الأنف ٢/ ٢٤٦.

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: الإيمان، باب: الصلاة من الإيمان ١/ ٩٥ (٤٠)، وفى كتاب: الصلاة باب: التوجه نحو القبلة حيث كان ١/ ٥٠٢ (٣٩٩)، وفى كتاب: التفسير، باب: سيقول السفهاء من الناس.. الآية ٨/ ١٧١ (٤٤٨٦)، وباب: ولكل وجهة هو موليها ٨/ ١٧٤ (٤٤٩٢)، وفى كتاب: أخبار الآحاد، باب: ما جاء فى إجازة خبر الواحد الصدوق ١٣/ ٢٣٢ (٧٢٥٢)، ومسلم فى كتاب: المساجد، باب: تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة ١/ ٣٧٤ (٥٢٥/ ١١، ١٢).

كيف كان التأريخُ عند العرب قبل ذلك؟

لاشك أن الشهور التى تتكون منها السنة الهجرية كانت معلومةً لدى العرب، بل وكانت الأشهر الحرم لها قداستها فى قلوبهم ومكانتها فى نفوسهم، ويبدو أن ذلك كان من بقايا الحنيفية التى جاء بها إبراهيم عليه السلام، وقد ذكر القرآن الكريم علمهم بذلك، وتحايُلَهم بإنساء الشهر الحرام، وجعله حلالاً فى عام، وحرامًا فى آخر، تبعًا لأهوائهم، وزيادةً فى الكفر، فقال عز من قائل:

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (٣٦) إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾(التوبة: ٣٦ ـ ٣٧).

وتسمية هذه الشهور مرتبط عند العرب بأمور معينة، ليس هنا مجال ذكرها

لكن عدّ السنين ونسبتها إلي وقتٍ محدّدٍ كان بحسب الحوادث العامة الهامة التى تمر بهم، والتى تختلف من قبيلة إلى أخرى.

٢٠٩ ـ فعن الزهرى والشعبى قالا:

«أرّخ بنو إسماعيل من نار إبراهيم عليه السلام إلى بنيان البيت حين بناه إبراهيم وإسماعيل، ثم أرّخ بنو إسماعيل من بنيان البيت حتى تفرقت[(١)]، فكان كلما خرج قوم من تهامة أرّخوا بمخرجهم، ومَنْ بقى بتهامة من بنى إسماعيل يؤرِّخون من خروج سعدٍ ونَهْد وجُهينة، بنى زيد من تهامة حتى مات كعب بن لؤىّ، فأرَّخوا من موت كعب بن لؤىٍّ إلى الفيل، فكان التأريخ من الفيل، حتى أرّخ عمرُ بن الخطاب من الهجرة، وذلك سنة سبع عشرة أو ثمانى عشرة»[(٢)].

قال ابن جرير الطبرى: «وهذا غير بعيد من الحق، وذلك أنهم لم يكونوا يؤرِّخون على أمرٍ معروفٍ يعمل به عامَّتهم، وإنما كان المؤرِّخ منهم يؤرِّخ بزمان قُحْمَة[(٣)] كانت

(١) يعنى تفرقت البطون، فاتخذ كل بطن مبدءًا لتأريخهم.

(٢) أخرجه ابن جرير فى التاريخ ٢/ ٣٩٠ ـ ٣٩١.

(٣) **القُحْمة**: بضم القاف: المَهْلَكَة، والسنة الشديدة، يقال: أصابت الأعراب قحمة: إذا أصابهم قحط، فدخلوا بلاد الريف. (الصحاح ٥/ ٢٠٠٦).

فى ناحية من نواحى بلادهم، ولَزْبَةٍ[1] أصابتهم، أو بالعامل[2] كان يكون عليهم، أو الأمر الحادث فيهم ينتشر خبره عندهم.

يدلُّ على ذلك اختلاف شعرائهم فى تأريخاتهم، ولو كان لهم تأريخٌ على أمرٍ معروفٍ وأصلٍ معمولٍ عليه لم يختلف ذلك منهم.

ومن ذلك قول الربيع بن ضَبُع الفزارى:

هأنذا آمُلُ الخُـــلودَ وقـــــد   أدرك عقلى ومولدى حُجُرَا

أبا امرئ القيس هل سمعتَ به   هيهاتَ هيهاتَ طال ذا عُمُرَا

فأرَّخ عمره بحُجْر بن عمرو، أبى امرئ القيس.

وقال نابغة بنى جَعْدَة:

فمن يكُ سائلاً عنى فإنـــى   من الشبان أزمانَ الخُـــنَان

فجعل النابغة تأريخه ما أرَّخ بزمان علةٍ كانت فيهم عامة.

وقال آخر:

ومَا هـــى إلاّ فـــى إزارٍ وعِلْقَةٍ   مَغَارَ ابن همام على حىٍّ خثعما

فكل واحدٍ من هؤلاء الذين ذكرت تأريخهم فى هذه الأبيات أرَّخ - على قرب زمان بعضهم عن بعض، وقربِ وقت ما أرَّخ به من وقت الآخر - بغير المعنى الذى أرّخ به الآخر. ولو كان لهم تاريخ معروف كما للمسلمين اليوم ولسائر الأمم غيرها، كانوا إن شاء الله لا يتعدُّونه، ولكن الأمر فى ذلك كان عندهم إن شاء الله على ما ذكرت.

فأما قريشٌ من بين العرب فإن آخر ما حصَّلتُ من تأريخها قبل هجرة النبى ﷺ من مكة إلى المدينة على التأريخ بعام الفيل، وذلك عام وُلد رسولُ الله ﷺ، وكان بين عام الفيل والفِجار عشرون سنة، وبين الفجار وبناء الكعبة خمس عشرة سنة، وبين بناء الكعبة ومبعث النبى ﷺ خمس سنين»[3].

وهذا كلام طيبٌ نافعٌ سديدٌ، والله أعلم.

---

(١) اللَّزْبة: الشدة والقَحْط، والجمع «اللزْبات» بالتسكين، لأنه صفة (الصحاح ١/ ٢١٩).

(٢) العامل: الأمير الذى يتولى عليهم.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٢/ ٣٩١ - ٣٩٢.

الفصل الرابع عشر
أحـــكام الهجرة

تعريف الهجرة:

فى اللغة: مشتقة من الهَجْر، وهو خلاف الوصل، وفى الحديث «**من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه**»[١]، وفى رواية: «**هجر المؤمن سنة كدمه**»[٢] و«**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام**»[٣].

وقد غلب استعمال الهجرة على مفارقة الوطن. قال ابن حجر: «أصل الهجرة: هجر الوطن، وأكثر ما يطلق على من رحل من البادية إلى القرية»[٤].

وفى اصطلاح الفقهاء: قال ابن قدامة: «الهجرة هى الخروج من دار الكفر إلى دار الإسلام»[٥].

وقال ابن العربى: «الهجرة هى الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام»[٦].

وأعظم الهجرات وأكثرها تأثيرًا فى التاريخ الإنسانى بعامة والإسلامى بخاصة: هجرة النبى ﷺ وأصحابه الكرام رضى الله عنهم إلى المدينة المنورة، وهى الهجرة التى يسبق إليها الذهن إذا أطلق لفظ «الهجرة».

وقد كان لهجرته ﷺ وأصحابه أحكام خاصة، كما كان لها فضائل ومزايا خاصة عن غيرها. ولذلك فرّق العلماء بين أحكامها وأحكام الهجرة العامة.

وسوف أتناول فى هذا الفصل حكم الهجرة قبل فتح مكة وبعده، مبينًا - إن شاء الله - مسالك العلماء فى توجيه معنى انقطاع الهجرة وبقائها.

---

(١) من حديث أبى خراش حدرد بن أبى حدرد الأسلمى، أخرجه أبو داود فى كتاب: الأدب، باب: فيمن يهجر أخاه المسلم ٤/ ٢٧٩ (٤٩١٥)، والبخارى فى الأدب المفرد صـ١٢٧ (٤٠٤)، وأحمد ٤/ ٢٢٠ .

(٢) من حديث رجل من أسلم، أخرجه البخارى فى الأدب المفرد صـ١٢٧ (٤٠٥)، وأشار إليه المزى في التحفة ٢/ ١٩ .

(٣) جزء من حديث أنس ، أخرجه البخارى في كتاب: الأدب، باب: ماينهى عن التحاسد والتدابر ١٠/ ٤٨١ (٦٠٦٥)، وفى باب: الهجرة ١٠/ ٤٩٢ (٦٠٧٦)، وفى الأدب المفرد صـ١٢٦ (٣٩٨)، ومسلم فى كتاب: البر والصلة، باب، تحريم التحاسد والتباغض والتدابر ٤/ ١٩٨٣ (٢٥٥٩/ ٢٣)، وأبو داود فى كتاب: الأدب، باب: فيمن يهجر أخاه المسلم ٤/ ٢٧٨ (٤٩١٠)، وأحمد ٣/ ٢٠٩، ٢٢٥، ٢٧٧. ورواه كذالك أبو أيوب وأبو هريرة وغيرهما .

(٤) فتح البارى ٧/ ٢٢٩.

(٥) المغنى ٨/ ٤٥٦.

(٦) فتح البارى ٦/ ٣٩.

حكم الهجرة إلى رسول الله ﷺ قبل فتح مكة:

من الواضح أن الدولة الإسلامية التى أنشأها النبى ﷺ فى المدينة المنورة بعد الهجرة، كانت فى حاجة ماسة إلى قوة تساعدها على توطيد سلطانها، ومغالبة أعدائها الكُثر من قوى الكفر المحيطة بها والمترصدة لها، سواء من كفار قريش أو غيرهم من العرب أو الأعراب المحيطين بالمدينة أو اليهود، ولذلك أوجب الله الهجرة على كل مسلم إلى المدينة المنورة، وتتابعت الآيات فى بيان فرضية الهجرة، كما توالت الأحاديث النبوية الكريمة فى الحث عليها والتحذير من تركها.

فسمّى الله القاعدين من الهجرة ظالمين وتوعدهم بالعذاب الأليم فقال: **﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾** (النساء: ٩٧).

ووعد المهاجرين بالتمكين من مراغمة الأعداء والتوسعة فى الأرزاق، فقال **﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾** (النساء: ١٠٠).

كما وعدهم بالرزق الحسن والمدخل الصالح فى الجنة بعد الموت، فقال **﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾** (النحل: ٤١)

وقال عز وجل: **﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٥٨) لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾** (الحج: ٥٨).

كما أعلن النبى ﷺ البراءة من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين:

٢١٠ ـ فعن جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه قال:

بعث رسول الله ﷺ سريةً إلى خثعم، فاعتصم ناسٌ بالسجود، فأسرع فيهم القتل، فبلغ ذلك النبى ﷺ، فأمر لهم بنصف العَقْل، وقال: **«أنا برىءٌ من كل مسلم يقيم بين**

ظهرى المشركين» قالوا: لم يا رسول الله؟ قال: **«لا تراءى ناراهما»**[١].

وحذر ﷺ من يقيم مع المشركين بأنه مثلهم:

٢١١ ـ فعن سَمُرة بن جندب رضى الله عنه النبى ﷺ قال: **«من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله»**[٢].

٢١٢ ـ وفى رواية عنه عن النبى ﷺ قال:

«لا تساكنوا المشركين، ولا تجامعوهم فمن جامعهم أو ساكنهم فليس منا»[٣].

كما حذَّر ﷺ المقيم مع المشركين من حبوط عمله وعدم قبوله:

٢١٣ ـ فعن بهز بن حكيم بن معاوية، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ **«لا يقبل من مشرك بعد ما أسلم عملاً أو يفارق المشركين إلى المسلمين»**[٤].

ومن ثَمَّ كان فراق المشركين أحد بنود البيعة التى كان النبى ﷺ يبايع عليها من جاءه مسلمًا مؤمنًا:

٢١٤ ـ فعن جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه قال:

أتيت النبىّ ﷺ وهو يبايع، فقلت: يا رسول الله ابسط يدك؛ حتى أبايعك واشترط علىَّ فأنت أعلم. قال: **«أبايعك على أن تعبد الله وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة وتناصح المسلمين، وتفارق المشركين»**[٥].

يتضح مما سبق أن الهجرة إلى المدينة كانت فرضًا مفروضًا على من أسلم بعد الهجرة وقبل الفتح، وهذا أمر اتفقت عليه كلمة علماء الإسلام بالنسبة لأهل مكة.

أما غير أهل مكة، فقد اختلف فى وجوبها عليهم.

«قال القاضى عياض: لم يختلف العلماء فى وجوب الهجرة على أهل مكة قبل الفتح. واختلف فى غيرهم، فقيل: لم تكن واجبة على غيرهم، بل كانت ندبًا. ذكره أبو عبيد فى كتاب «الأموال»؛ لأنه ﷺ لم يأمر الوفود عليه قبل الفتح بالهجرة.

(١) سبق تخريجه وهو رقم (١٠).

(٢) أخرجه أبو داود فى آخر كتاب الجهاد، باب: فى الإقامة بأرض الشرك ٣/ ٩٣ (٢٧٨٧).

(٣) صححه الحاكم ٢/ ١٤١ ـ ١٤٢ على شرط البخارى، ووافقه الذهبى.

(٤) أخرجه النسائى فى كتاب: الزكاة، باب: من سأل بوجه الله عز وجل ٥/ ٨٣، وابن ماجه فى كتاب: الحدود، باب: المرتد عن دينه ٢/ ٨٤٨ (٢٥٣٦)، وإسناد الحديث حسن، وصححه الحاكم ٤/ ٦٠٠، ووافقه الذهبى.

(٥) أخرجه أحمد ٤/ ٣٦٥، والنسائى فى كتاب: البيعة، باب: البيعة على فراق المشرك ٧/ ١٤٨، والبيهقى فى السنن الكبري ٩/ ١٣، وإسناد الحديث صحيح.

وقيل: إنما كانت واجبة على كل من لم يسلم كل أهل بلده، لئلا يبقى فى طلوع أحكام الكفار»[1].

ويظهر ـ والله أعلم ـ أن القول بالوجوب على أهل مكة خاصة دون غيرهم هو قول أبى الوليد بن رشد؛ إذ يقول:

«فكانت الهجرة إلى النبى ﷺ قبل فتح مكة على من أسلم من أهلها واجبة مؤبدة، افترض الله عليهم فيها البقاء مع رسول الله ﷺ حيث استقر، والتحول معه حيث تحول»[2].

وهو كذلك المفهوم من صنيع الإمام الطحاوى الذى يرى أن المسلم من غير أهل مكة كان يُخَيّر بين النصرة والهجرة، يعنى بين أن يكون أنصاريًا أو مهاجرًا، فتلزمه الأحكام الخاصة بالمهاجرين، والتى سأذكرها فيما بعد.

٢١٥ ـ ويستدل لذلك بما أخرجه بسنده **عن حذيفة بن اليمان** رضى الله عنهما قال:

«خيّرنى رسول الله ﷺ بين الهجرة والنُّصرة، فاخترت النُّصره»[3].

٢١٦ ـ كما استدل لذلك بما أخرجه بسنده **عن النواس بن سمعان** رضى الله عنه قال:

«أقمت مع رسول الله ﷺ بالمدينة سنة، ما يمنعنى من الهجرة إلا المسألة، فإن أحدنا كان إذا هاجر لم يسأل رسول الله ﷺ عن شىء».

قال الطحاوى: «وفى هذا ما قد دلّ أنه كان يستحق الهجرة، وفى ذلك ما قد دلّ على أنه اختار النصرة على الهجرة، وكذلك نسبه جبير ابن نفير فى هذا الحديث» وساق حديثًا عن جبير عن النواس لقب جبيرٌ فيه النواسَ بالأنصارى[4].

كما يرى الطحاوى التفريق بين بيعة المهاجر وبيعة الأعرابى، وأنها كانت على التخيير، فمن بايع بيعة هجرة التزم بأحكامها، ومن بايع بيعة أعرابية لم يكن واجبًا عليه أن يلتزم بأحكام الهجرة.

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم ١٣/٧.
(٢) المقدمات الممهدات ٢/١٥٢.
(٣) مشكل الآثار ٢/٤٢٣، وأخرجه البزار ٣/٢٩٥ (٢٧١٨)، والطبرانى فى الكبير ٣/١٨٢ (٣٠١٠)، وقال الهيثمى فى المجمع ٦/٦٥: «رجاله رجال الصحيح، غير على بن زيد، وهو حسن الحديث».
(٤) مشكل الآثار ٢/٤٢٣.

٢١٧ ـ واستدل لذلك بما أخرجه بسنده **عن عقبة بن عامر** رضى الله عنه قال:

«بلغنى قدوم النبى ﷺ المدينة وأنا فى غُنَيمة، فرفضتها، ثم أتيتُه، فقلت: جئتُ أبايعك. فقال: «**بيعة أعرابيةً تريد أو بيعة هجرة؟**» قلت: بيعة هجرة. قال: فبايعته، وأقمت... » الحديث[١].

قال الطحاوى: «فدلَّ ما فى هذا الحديث من قول عقبة «فبايعته وأقمت» أى بدار الهجرة: أن البيعة من المهاجر توجب عليه الإقامة بدار الهجرة عند رسول الله ﷺ، لينصرف فيما يصرفه فيه رسول الله ﷺ من أمور الإسلام، وأن البيعة الأعرابية، بخلافها، مما لا يوجب الإقامة على أهلها عنده»[٢].

٢١٨ ـ واستدل لكون البيعة الأعرابية لا توجب الإقامة، بما أخرجه بسنده **عن مالك بن الحويرث** رضى الله عنه قال:

أتيت النبىَّ ﷺ فى ناسٍ ونحن شببةٌ متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلةً، فكان رسول الله ﷺ رفيقاً رحيماً، فلما ظن أنا قد اشتهينا أهلنا، واشتقنا، سألنا عمن تركنا بعدنا، فأخبرناه، فقال: «**ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم وعلموهم ومُرُوهم**» وذكر أشياء أحفظها أولا أحفظها «**وصلوا كما رأيتمونى أصلى، فإذا حضرت الصلاة فليؤذنْ لكم أحدُكم، وليؤمَّكم أكبرُكُم**»[٣].

قلت: ومع ذلك فلا يقل حكم هجرة غير أهل مكة إلى المدينة من أن يكون مندوباً إليه، لما سأذكره بعد من حِكَم تجميع المسلمين فى المدينة دار الهجرة.

٢١٩ ـ **فعن أبى فاطمة رضى الله عنه، أنه قال**: يا رسول الله، حدثنى بعمل أستقيم عليه، وأعمله. قال له رسول الله ﷺ: «**عليك بالهجرة، فإنه لا مِثل لها**»[٤].

---

(١) مشكل الآثار ٢/ ٢٩٦، وفى الإسناد ابن لهيعة، وليس الراوى عنه أحد العبادلة.

(٢) مشكل الآثار ٢/ ٢٩٦.

(٣) مشكل الآثار ٢/ ٢٩٦ـ ٢٩٧، وأخرجه البخارى فى كتاب الأذان باب: من قال ليؤذن فى السفر مؤذن واحد ٢/ ١١٠ (٦٢٨) وباب: الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة ٢/ ١١١ (٦٣١) وباب: إذا استووا فى القراءة فليؤمهم أكبرهم ٢/ ١٧٠ (٦٨٥)، وباب: المكث بين السجدتين ٢/ ٣٠٠ (٨١٩)، وفي كتاب الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم ١٠/ ٤٣٧ (٦٠٠٨)، وفى كتاب: أخبار الآحاد، باب: ماجاء فى إجازة خبر الواحد الصدوق١٣/ ٢٣١ (٧٢٤٦)، ومسلم فى كتاب: المساجد، باب: من أحق بالإمامة ١/ ٤٦٥ (٢٩٢/٤٧٤) .

(٤) أخرجه النسائى فى كتاب: البيعة . باب: الحث على الهجرة: ٧/ ١٤٥ .وإسناده محتمل للتحسين فيه محمد بن عيسى بن سميع، صدوق يخطىء.

الحكمة من وجوب الهجرة وانتقال المهاجرين إلى المدينة المنورة:

ذكر العلماء حِكَماً متعددة لذلك، وهاك أهمها :

١ـ تكثير سواد المسلمين وتعظيم قوتهم ونصرة النبيِّ ﷺ. قال الخطابى وغيره: «كانت الهجرة فرضاً فى أول الإسلام على من أسلم؛ لقلة المسلمين بالمدينة، وحاجتهم إلى الاجتماع»(١).

وقال القاضى عياض: «اتفق الجميع على أن الهجرة قبل الفتح كانت واجبة عليهم وأن سكنى المدينة كان واجباً لنصرة النبى ﷺ، ومواساته بالنفس»(٢).

٢ـ أن يسلم المسلم من أذية الكفار، ويتمكن من إظهار دينه، ولا يتعرض للفتنة فى دينه، ويستريح من رؤية المنكر الذى هم عليه.

قال ابن حجر: «وكانت الحكمة أيضاً فى وجوب الهجرة على من أسلم: ليسلم من أذى ذويه من الكفار، فإنهم كانوا يعذبون من أسلم منهم إلى أن يرجع عن دينه، وفيهم نزلت ﴿**إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم**﴾ الآية(٣).

٣ـ حفظ الشريعة وتبليغها للناس كاملة غير منقوصة بمقتضى الأوامر الشرعية الحاضة على تبليغ العلم والمحذِّرة من منعه وكتمه.

قال ابن رشد: «افترض الله عليهم فيها البقاءَ مع رسول الله ﷺ حيث استقر، والتحولَ حيث تحوّل، لنصرته ومؤازرته وصحبته، وليحفظوا عنه ما يشرعه لأمته، ويبلغوا ذلك عنه»(٤).

وقال القاضى عياض فى معنى قوله ﷺ: «**مضت الهجرة لأهلها**»: «أى الذين هاجروا من ديارهم وأموالهم قبل فتح مكة؛ لمواساة النبى ﷺ ومؤازرته ونصرة دينه، وضبط شريعته»(٥).

وقال الخطابى: «أُمروا بالانتقال إلى حضرته؛ ليكونوا معه، فيتعاونوا ويتظاهروا إن حزبهم أمرٌ، وليتعلموا منه أمر دينهم، ويتفقهوا فيه»(٦).

الأحكام المتعلقة بالهجرة إلى النبىِّ ﷺ:

سبق أن ذكرت أن الهجرة إلى المدينة المنورة إلى رسول الله ﷺ كانت لها أحكامٌ خاصة، ليست لغيرها من الأحكام، وسآخذ فى ذكر تلك الأحكام إن شاء الله تعالى:

---

(١) فتح الباري ٦/ ٣٨.
(٢) فتح البارى ٧/ ٢٦٧.
(٣) فتح البارى ٦/ ٣٩.
(٤) المقدمات الممهدات ٢/ ١٥٢.
(٥) شرح النووى على صحيح مسلم ١٣/ ٦ـ ٧.
(٦) معالم السنن ٣/ ٨.

١ـ وجوب الإقامة بدار الهجرة وتحريم الرجوع إلى الوطن: ذلك أن المهاجر قد ترك وطنه لله تعالى، فلا يجوز له الرجوع في ذلك، فإن رجع اعتبر رجوعه من الكبائر، إلا أن يأذن له رسول الله ﷺ في ذلك.

قال القاضى عياض: «أجمعت الأمة على تحريم ترك المهاجر هجرته ورجوعه إلى وطنه، وعلى أن ارتداد المهاجر أعرابيا من الكبائر»(١).

وقال أبو جعفر الطحاوى: «وكان الواجب على المتبايعين بالهجرة: الإقامةُ بدار الهجرة فى حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته، حتى يصرفهم هو فى حياته ﷺ ثم خلفاؤه من بعده فيما يصرفهم فيه مِنْ غزوِ مَنْ بقى على الكفر، ومِنْ حفظِ ما عسى أن يفتتحوه من بلدان أهله، وكان رجوعهم إلى دار أعرابيتهم حراماً عليهم؛ لأنهم يكونون بذلك مرتدين عن الهجرة إلى الأعرابية»(٢).

والأدلة على تحريم ذلك وكونه من الكبائر كثيرة، منها:

٢٢٠ـ ما رواه **عبد الله بن مسعود** رضى الله عنه قال:

«آكل الربا وموكله إذا علموا ذلك، والواشمة، والموشومة للحسن، ولاوى الصدقة، والمرتد أعرابيًا بعد الهجرة(٣): ملعونون على لسان محمد ﷺ إلى يوم القيامة»(٤).

٢٢١ـ وعن سهل بن أبى حَثْمة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ على المنبر يقول:

«**اجتنبوا الكبائر السبع**» فسكت الناس، فلم يتكلم أحدٌ، فقال النبى ﷺ: «**ألاَ تسألونى عنهن؟ الشركُ بالله، وقتلُ النفس، والفرارُ من الزحف، وأكلُ مال اليتيم، وأكلُ الربا، وقذفُ المحصنة، والتَّعَرُّبُ بعد الهجرة**»(٥).

٢٢٢ـ وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**الكبائر سبع: الإشراكُ بالله، وقتلُ النفس التى حرّم الله إلا بالحق، وقذفُ المحصنة، والفرارُ من الزحف، وأكلُ الربا، وأكلُ مال اليتيم، والرجوعُ إلى الأعرابية بعد الهجرة**»(٦).

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم ١٣/٦. (٢) مشكل الآثار ٢/٢٩٦.

(٣) معنى ذلك كما قال ابن حجر: أن ينتقل المهاجر من البلد التى هاجر منها فيسكن البدو، فيرجع بعد هجرته أعرابيا. (انظر فتح البارى ١٣/٤١).

(٤) أخرجه النسائى فى الزينة، باب: الموتشمات ٨/١٤٧، والطحاوى فى مشكل الآثار ٢/٢٩٦.

(٥) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٦/١٠٣(٥٦٣٦)، وقال الهيثمى فى المجمع ١/١٠٣: «فيه ابن لهيعة» قلت: ليس الراوى عنه أحد العبادلة، فالإسناد ضعيف، لكنه يتقوى بما سبق، وبما سيأتى.

(٦) قال الهيثمى فى المجمع ١/١٠٤: «رواه الطبرانى فى الأوسط، وفيه أبو بلال الأشعرى ضعيف».

٢٢٣ـ وعن جابر بن سَمُرَة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**لعن الله مَنْ بدا بعد هجرة. لعن اللهُ من بدا بعد هجرة. لعن الله من بدا بعد هجرة، إلا فى فتنة؛ فإن البُدُوَّ خيرٌ من المقام فى الفتنة**»[١].

٢٢٤ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال:

«الكبائر سبع: أولهن: الإشراكُ بالله، وقتل النفس، ورمى المحصنات، والأعرابية بعد الهجرة»[٢].

وقد سبقت قصة الأعرابى الذى طلب من النبىِّ ﷺ أن يقيله بيعته، فأبى النبىُّ ﷺ ذلك، فخرج الأعرابى فقال النبى ﷺ: «**إنما المدينة كالكير، تنفى خبثها، وتنصع طيبها**»[٣].

قال الطحاوى معلِّقاً على بيعة الأعرابى تلك: «وهى على الإسلام الذى يكون ببيعته إياه مهاجراً، ويجب عليه به المقام عنده، كما يجب على المهاجر من الإقامة عنده؛ ليصرفه فيما يصرفه فيه»[٤].

ولذلك كان النبى ﷺ يكره موت المهاجر فى الأرض التى هاجر منها.

٢٢٥ـ فعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: «مرض سعد (يعنى ابن أبى وقاص) بمكة، فأتاه النبى ﷺ يعوده، فقال له: «يا رسول الله أليس تكره أن يموت الرجل فى الأرض التى هاجر منها؟ قال: «**بلى، ولعل الله تبارك وتعالى يرفعك. فيضُرُّك بك قوماً، وينفع آخرين بك**»[٥].

كما كان النبى ﷺ يدعو ربه عز وجل أن لايجعل منيَّته بمكة المكرمة التى هاجر منها.

٢٢٥ـ فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل مكة قال: «**اللهم لا تجعل منايانا بها، حتى تخرجنا**»[٦].

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٢/ ٢٥٦ـ ٢٥٧(٢٠٧٤)، وقال الهيثمى فى المجمع ٥/ ٢٥٤: «فيه من لم أعرفهم».

(٢) هذا الموقوف أخرجه البخارى بإسناد حسن فى الأدب المفرد، باب: الأعرابية ص١٧٥ (٥٧٨).

(٣) انظر الحديث رقم (١٨٠) السابق عن جابر بن عبد الله. (٤) مشكل الآثار ٢/ ٢٩٦.

(٥) أخرجه البزار (كشف الأستار) ٢/ ٣٠٥ (١٧٥٢)، وعزاه الهيثمى فى المجمع ٥/ ٢٥٣ له وللطبرانى، وقال: «رجال البزار رجال الصحيح، خلا محمد بن عمر بن هيَّاج، وهو ثقة». وحديث مرض سعد وعيادة النبى إياه صحيح مشهور، وقد سبق تخريجه برقم (١٢١).

(٦) أخرجه البزار فى الموضع السابق (١٧٥١) وأحمد ٢/ ٢٥، ١٢٥ وقال الهيثمى فى المجمع ٥/ ٢٥٣: «رواه أحمد والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح خلا محمد بن ربيعة، وهو ثقة.

أما من أذن لهم النبيُّ ﷺ فى التَّبَدِّى أو التعرُّب، فلا حرج عليهم، وأجرهم محفوظ موفوّر إن شاء الله، وهجرتهم صحيحةٌ لا ردّة عنها، إذ أن الإذن لهم فى ذلك مقرون بشرط إجابتهم إذا دُعُوا، وإطاعتهم إذ أُمِروا.

٢٢٧ـ فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ قال:

«الهجرة هجرتان: فأمّا هجرة البادى: يجيب إذا دُعى، ويطيع إذا أُمر، وأما هجرة الحاضر: فهى أشدهما بليَّةً، وأعظمهما جزاءً»[1].

ومن أذن له فى البدو: سلمة بن الأكوع رضى الله عنه، وقبيلته قبيلة أسلم.

٢٢٨ـ فعن سلمة رضى الله عنه «أنه استأذن رسول الله ﷺ فى البدو، فأذن له»[2].

٢٢٩ـ وعنه رضى الله عنه «أنه دخل على الحجاج، فقال: يا ابن الأكوع، ارتددت على عقبيك؟ تَعَرَّبْت[3]؟ قال: لا، ولكن رسول الله ﷺ أذن لى فى البدو»[4].

٢٣٠ـ وعن سعيد بن إياس بن سلمة بن الأكوع، عن أبيه: أن سلمة قدم المدينة، فلقيه بُرَيْدة بن الحصيب، فقال: ارتددتَ عن هجرتك يا سلمة؟ فقال: معاذ الله، إنى فى إذنٍ من رسول الله ﷺ، إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ابدوا يا أسلم، فتنسّموا الرياحَ، واسكنوا الشِّعاب**». فقالوا: إنا نخاف يا رسول الله أن يضرنا ذلك فى هجرتنا. قال: «**أنتم مهاجرون حيث كنتم**»[5].

٢٣١ـ وعن عمر بن عبد الرحمن بن جرهد قال: سمعت رجلاً يقول لجابر بن عبد الله: مَنْ بقى معك من أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: بقى أنس بن مالك، وسلمة بن

---

(١) صححه ابن حبان ١١/ ٢٠٥ (٤٨٦٣) و١١/ ٥٧٩ (٥١٧٦)، وأخرجه النسائى فى كتاب: البيعة، باب: هجرة البادى ٧/ ١٤٤، وأحمد ٢/ ١٥٩ـ ١٦٠، ١٩١، ١٩٣، ١٩٥، والحاكم ١/ ١١، والبيهقى فى السنن الكبرى ١٠/ ٢٤٣.

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ٤٧، ٥٤.

(٣) هذا من جفاء الحجاج وسوء خلقه وأدبه، وعدم حفظه لمكان وشرف الصحبة.

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب: الفتن، باب: التعرب فى الفتنة١٣/ ٤٠ (٧٠٨٧)، ومسلم فى كتاب: الإمارة، باب: تحريم رجوع المهاجر إلى استيطان وطنه ٣/ ١٤٨٦ (١٨٦٢/ ٨٢)، والنسائى فى كتاب: البيعة، باب: المرتد أعرابيًا بعد الهجرة ٧/ ١٥١، والطبرانى فى الكبير ٧/ ٣٤ (٦٢٩٨).

(٥) أخرجه أحمد ٤/ ٥٥، والطبرانى فى الكبير٧/ ٢٤ (٦٢٦٥)، وقال الهيثمى فى المجمع ٥/ ٢٥٤ : «فيه سعيد بن إياس بن سلمة، لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات». **قلت**: رواية الطبرانى من طريق محمد بن إياس عن أبيه وحسّنه ابن حجر فى فتح البارى ١٣/ ٤١، وأخرجه الطحاوى فى مشكل الآثار ٢/ ٢٩٩.

الأكوع، فقال رجل: أما سلمة فقد ارتد عن هجرته. فقال جابر: لا تقل ذلك، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول لأسلم: **«ابدوا يا أسلم»** قالوا: يا رسول الله، وإنا نخاف أن نرتد بعد هجرتنا. فقال: **«إنكم أنتم تهاجرون حيث كنتم»**[1].

وقد كانت أسلم ـ مع هذا الإذن ـ من أسرع القبائل فى إجابة الدعوة وطاعة الأمر، حتى إن عددهم فى الحديبية كان ثمن عدد المهاجرين.

٢٣٢ـ فعن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنه قال:

«كان أصحاب الشجرة ألفًا وثلاثمائة، وكانت أسلم ثُمُن المهاجرين»[2].

قال ابن حجر: «ولم أعرف عدد من كان بها من المهاجرين خاصة، ليعرف عدد الأسلميين، إلا أن الواقدى جزم بأنه كان مع النبى ﷺ فى غزوة الحديبية من أسلم مائة رجل، فعلى هذا كان المهاجرون ثمانمائة»[3].

قال الطحاوى: «إن الذى رويناه فى الباب الذى قبل هذا من لعن رسول الله ﷺ المرتد أعرابيا بعد هجرته، وهو عندنا ـ والله أعلم ـ على المرتد كذلك. وذلك أن الارتداد يخرج به الرجل عن الهجرة التى توجب عليه الطاعة إلى الأعرابية التى لا طاعة معها.

وأسلم لم يكونوا كذلك، بل كانوا على خلافه، مما قد بيَّنه عنهم رسول الله ﷺ فيما روته عائشة رضى الله عنها» ثم ساق الحديث بسنده.

٢٣٣ـ عن عائشة رضى الله عنها قالت:

قدمت أم سلمة الأسلميةُ ومعها وطب من لبن تهديه إلى رسول الله ﷺ، فوضعته عندى، ومعها قدحٌ لها، فدخل النبىُّ ﷺ فقال: **«مرحباً وأهلاً يا أم سلمة»**. فقالت: بأبى أنت وأمى، أهديتُ لك هذا الوطب. قال: **«بارك الله عليك، صبِّى لى يا عائشة فى هذا القدح»**. فصببتُ له فى القدح، فلما أخذه قلت: قد قلتَ: **«لا أقبل هديةً من أعرابى»**. فقال: **«أعراب أسلم يا عائشة، إنهم ليسوا بأعراب، ولكنهم أهل باديتنا، ونحن أهل حاضرتهم، إذا دعوناهم أجابوا، وإذا دعُونا أجبناهم»** ثم شرب.

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٣٦٢، وقال الهيثمى فى المجمع ٥/ ٢٥٣: «عمر هذا لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح»، وحسنه الحافظ فى الفتح١٣/ ٤١، فقال عنه وعن سابقه: «وسند كل منهما حسن» وأخرجه الطحاوى فى مشكل الآثار٢/ ٢٩٨ـ ٢٩٩.

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: المغازى، باب: غزوة الحديبية٧/ ٤٤٣ (٤١٥٥).

(٣) مشكل الآثار ٢/ ٣٠٠.

قال أبو جعفر الطحاوى: «فكان فيما رويناه من حديث هذا: إخبار رسول الله ﷺ أنهم وإن كانوا قد تبدّوا، فإنهم قد كانوا يجيبون إذا دُعوا إلى ما يريد ﷺ منهم، كما كانوا يجيبون إلى مثل ذلك لو لم يتبدَّوا، وأنهم لما كانوا كذلك كانوا كهم لولم يتبدَّوا.

وكان فى ذلك ما قد دلّ أن التبدِّى المذموم هو التبدى الذى لا يجيب أهله إذا دُعوا. فأما التبدى الذى هو بخلاف ذلك فهو كالمقام بالحضرة»[1].

٢ـ الترخيص للمهاجر فى الإقامة بمكة ثلاثة أيامٍ فقط بعد قضاء النسك:

٢٣٤ـ فعن عبد الرحمن بن حُميد الزهرى قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يسأل السائب ابنَ أخت النمر [يعنى السائب بن يزيد رضى الله عنه]: ما سمعتَ فى سكنى مكة؟ قال: سمعت العلاء بن الحضرمى قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثٌ للمهاجر بعد الصَّدَر»**[2].

قال ابن حجر: «وفقه هذا الحديث: أن الإقامة بمكة كانت حراماً على من هاجر منها قبل الفتح، لكن أبيح لمن قصدها منهم بحج أو عمرة أن يقيم بعد قضاء نسكه ثلاثة أيامٍ لا يزيد عليها. ولهذا رثى النبى ﷺ لسعد بن خولة أن مات بمكة[3].

ويستنبط من ذلك: أن إقامة ثلاثة أيام لا تخرج صاحبها عن حكم المسافر، وفى كلام الداودى اختصاص ذلك بالمهاجرين الأولين، ولا معنى لتقييده بالأولين.

قال النووى: معنى هذا الحديث أن الذين هاجروا يحرم عليهم استيطان مكة، وحكى عياض أنه قول الجمهور. قال: وأجازه لهم جماعة ـ يعنى بعد الفتح ـ فحملوا هذا القول على الزمن الذى كانت الهجرة المذكورة واجبة فيه».

«قال القرطبى: المراد بهذا الحديث من هاجر من مكة إلى المدينة لنصر النبى ﷺ،

---

(١) مشكل الآثار ٢/ ٣٠١.

(٢) الصَّدَر ـ بفتح المهملتين ـ: أى بعد الرجوع من منى. (فتح البارى٧/ ٢٦٧).

والحديث أخرجه البخارى فى كتاب: مناقب الأنصار، باب: إقامة المهاجر بمكة بعد قضاء نسكه ٧/ ٢٦٦ـ ٢٦٧(٣٩٣٣)، ومسلم فى كتاب: الحج، باب: الإقامة بمكة للمهاجر منه بعد فراغ الحج والعمرة ٢/ ٩٨٥ (١٣٥٢/ ٤٤١)، وأبو داود فى كتاب: المناسك، باب: الإقامة بمكة ٢/ ٢١٣ (٢٠٢٢)، والترمذى فى كتاب: الحج، باب: ما جاء فى أن يمكث المهاجر بمكة بعد الصَّدَر ثلاثا ٣/ ٢٨٤ (٩٤٩). والنسائى فى كتاب: تقصير الصلاة فى السفر، باب: المقام الذى يقصر بمثله الصلاة ٣/ ١٢٢، وابن ماجه فى كتاب: الإقامة، باب: كم يقصر الصلاة المسافر١/ ٣٤١ (١٠٧٣).

(٣) فى حديث سعد بن أبى وقاص الذى سبق برقم(١٢١): أنه ﷺ قال: «لكن البائس سعد بن خولة» يرثى له رسول الله ﷺ أن مات بمكة.

ولا يعنى به من هاجر من غيرها، لأنه خرج جواباً عن سؤالهم لما تحرجوا من الإقامة بمكة، إذ كانوا قد تركوها لله تعالى، فأجابهم بذلك، وأعلمهم أن إقامة الثلاث ليس بإقامة.

قال: والخلاف الذى أشار إليه عياض كان فيمن مضى»[1].

وقال القاضى أبو الوليد ابن رشد: «خصّ الله بهذا من آمن من أهل مكة بالنبى ﷺ وهاجر إليه؛ لتتم له بالهجرة إليه، والمقام معه، وترك العودة إلى الوطن الغايةُ من الفضل الذى سبق لهم فى سابق علمه، وهم الذين سماهم الله «المهاجرين»، ومدحهم بذلك، فلا ينطلق هذا الاسم على أحدٍ سواهم»[2].

٣ـ وجوب الجهاد العينىُّ على المهاجرين: يرى بعض العلماء أن وجوب الهجرة لنصرة الإسلام يعنى أن الجهاد فرض عينى على المهاجرين.

قال ابن حجر: «قال الماوردى: كان (يعنى الجهاد) عيناً على المهاجرين، دون غيرهم. ويؤيده وجوبُ الهجرة قبل الفتح فى حق كل من أسلم إلى المدينة لنصر الإسلام، وقال السهيلى: كان عيناً على الأنصار، دون غيرهم، ويؤيده مبايعتُهم النبىَّ ﷺ ليلة العقبة على أن يؤوا رسول الله ﷺ وينصروه.

فيخرج من قولهما: أنه كان عيناً على الطائفتين، كفايةً فى حق غيرهم. ومع ذلك فليس فى حق الطائفتين على التعميم، بل فى حق الأنصار إذا طرق المدينة طارقٌ، وفى حق المهاجرين إذا أريد قتال أحدٍ من الكفار ابتداءً. ويؤيد هذا ما وقع فى قصة بدر، فيما ذكره ابن إسحق، فإنه كالصريح فى ذلك.

وقيل: كان عيناً فى الغزوة التى يخرج فيها النبى ﷺ دون غيرها.

والتحقيق: أنه كان عيناً على من عيَّنه النبى ﷺ فى حقه ولولم يخرج»[3].

أصحاب الهجرتين:

من المعلوم أن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه كان على رأس الوفد الذى هاجر إلى الحبشة، واستقر هناك فى ضيافة النجاشى ملك الحبشة، إلى أن جاءهم أمر رسول الله ﷺ بالهجرة إلى المدينة، فهاجروا إليها، وتوافق قدومهم مع فتح خيبر فى السنة

---

(١) فتح البارى ٧/ ٢٦٧ـ ٢٦٨.
(٢) المقدمات الممهدات ٢/ ١٥٢.
(٣) فتح البارى ٦/ ٣٧.

السابعة من الهجرة، وفرح النبىُّ ﷺ بقدومهم أيما فرح، حتى قال: «**لا أدرى بأيهما أُسَرّ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر**»[1]، ولهذ سُمِّى هؤلاء أصحاب الهجرتين، إذ قد هاجروا إلى النجاشى، ثم إلى النبى ﷺ.

٢٣٥ـ فعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال:

بلغنا مَخْرَجُ النبى ﷺ[2]، ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه، أنا وأَخَوَان لى، أحدهما أبو بردة، والآخر أبورهم، إما قال: فى بضع، وإما قال فى ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قومى، فركبنا سفينة، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشى بالحبشة، فوافقنا جعفر بَنَ أبى طالب، فأقمنا معه[3]، حتى قدمنا جميعا، فوافَقْنا النبىَّ ﷺ حين افتتح خيبر.

وكان أناسٌ من الناس يقولون لنا ـ يعنى لأهل السفينة ـ: سبقناكم بالهجرة.

ودخلت أسماء بنت عُمَيْس ـ وهى ممن قدم معنا ـ على حفصة زوج النبى ﷺ زائرة، وقد كانت هاجرت إلى النبى ﷺ فيمن هاجر، فدخل عمر على حفصة، وأسماء عندها، فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت: أسماءُ بنت عميس. قال عمر: آلحبشية هذه، آلبحرية هذه[4]؟ قالت أسماء: نعم. قال: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم. فغضبتْ وقالت: كلا، والله، كنتم مع رسول الله ﷺ، يطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم، وكنا فى دار ـ أو أرض ـ البُعَداء البغضاء بالحبشة، وذلك فى الله وفى رسوله ﷺ، وايْمُ الله لا أَطْعَم طعاماً، ولا أشرب شراباً، حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ، ونحن كنا نُؤْذَى ونُخَاف، وسأذكر ذلك للنبى ﷺ وأسأله، والله لا أكذب، ولا أزيغ، ولا أزيد عليه.

فلما جاء النبىُّ ﷺ قالت: يا نبىَّ الله، إن عمر قال كذا وكذا. قال: «**فما قلت له؟**». قالت: قلت له كذا وكذا. قال: «**ليس بأحق بى منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهلَ السفينة هجرتان**»[5].

---

(١) أخرجه ابن سعد فى الطبقات الكبرى: ٧/ ٢٣ والحاكم: ٣/ ٢١١. مرسلا عن الشعبى.

(٢) إن أراد بالمخرج البعثة، فظاهره أنهم لم يبلغهم شأن النبى ﷺ إلا بعد الهجرة. وإن أراد بالمخرج الهجرة، فيحتمل أن تكون بلغتهم الدعوة، فأسلموا، وأقاموا ببلادهم، إلى أن عرفوا بالهجرة، فعزموا عليها. وإنما تأخروا هذه المدة إما لعدم بلوغ الخبر إليهم بذلك، وإما لعلمهم بما كان المسلمون فيه من المحاربة مع الكفار، فلما بلغتهم المهادنة آمنوا، وطلبوا الوصول إليه. (انظر: فتح البارى ٧/ ٤٨٥).

(٣) فى رواية البخارى فى كتاب: فرض الخمس: «فقال جعفر: إن رسول الله ﷺ بعثنا هاهنا، وأمرنا بالإقامة، فاقيموا معنا. فاقمنا معه...» الحديث.

(٤) نسبها إلى الحبشة لسكناها فيهم، وإلى البحر لركوبها إياه. (فتح البارى ٧/ ٤٨٦).

(٥) زاد أبو يعلى فى روايته: «هاجرتم مرتين: هاجرتم إلى النجاشى، وهاجرتم إلىّ».

قالت: فلقد رأيتُ أبا موسى وأصحابَ السفينة يأتوننى أرسالاً، يسألونى عن هذ الحديث، ما من شيء هم به أفرح، ولا أعظم فى أنفسهم، مما قال لهم النبى ﷺ.

قال أبو بردة (بن أبى موسى): قالت أسماء: «لقد رأيتُ أبا موسى، وإنه ليستعيد هذ الحديث منى»[1].

٢٣٦- وفى رواية عن أبى موسى رضى الله عنه:

«بلغنا مخرج النبى ﷺ ونحن باليمن، فركبنا سفينة، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشى بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبى طالب، فأقمنا معه حتى قدمنا، فوافقْنا النبى ﷺ حين افتتح خيبر، فقال النبى ﷺ: «**لكم أنتم يا أهل السفينة هجرتان**»[2].

٢٣٧- وفى رواية عنه أيضاً:

«خرجنا إلى رسول الله ﷺ فى البحر حتى جئنا مكة[3]، وإخوتى معى، فى خمسين من الأشعريين، وستة من عَكٍّ، قال أبو موسى: فكان رسول الله ﷺ يقول: «**إن للناس هجرة واحدة، ولكم هجرتين**»[4].

٢٣٨- وعن الشعبى قال: قالت أسماء بنت عُمَيْس: يا رسول الله، إن رجالاً يفخرون علينا، ويزعمون أنا لسنا من المهاجرين الأولين. فقال: «**بل لكم هجرتان: هاجرتم إلى أرض الحبشة، ثم هاجرتم بعد ذلك**»[5].

لكن، هل يلزم من هذه النصوص تفضيلهم على غيرهم من المهاجرين؟

قال ابن حجر: «ظاهره: تفضيلُهم على غيرهم من المهاجرين، لكنه لا يلزم منه تفضيلهم على الإطلاق، بل من الحيثية المذكورة»[6].

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: المغازى، باب: غزوة خيبر٧/ ٤٨٤- ٤٨٥ (٤٢٣٠- ٤٢٣١)، ومسلم فى كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل جعفر وأسماء وأهل سفينتهم رضى الله عنهم ٤/ ١٩٤٦-١٩٤٧ (٢٥٠٢- ٢٥٠٣/ ١٦٩).

وأخرجه أحمد٤/ ٣٩٥، ٤١٢ عن أبى موسى أن أسماء لما قدمت لقيها عمر بن الخطاب... فذكره.

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: مناقب الأنصار، باب: هجرة الحبشة٦/ ١٨٨ (٣٨٧٦).

(٣) يجمع بين هذا وبين ما قبله بأنهم مَرُّوا بمكة فى حال مجيئهم إلى المدينة، ويجوز أن يكونوا دخلوا مكة، لأن ذلك كان فى الهدنة، أى هدنة الحديبية. (انظر: فتح البارى ٧/ ٤٨٥).

(٤) أخرجه ابن حبان ١٦/ ١٦٦ (٧١٩٤) بإسناد صحيح، وابن سعد فى الطبقات الكبرى ٤/ ١٠٦.

(٥) أخرجه ابن سعد فى الطبقات الكبرى٤/ ١٠٦، وقال ابن حجر فى الفتح ٧/ ٤٨٦ «بإسناد صحيح».

(٦) فتح البارى ٧/ ٤٨٦.

الإخلاص فى الهجرة:

إذا كان الإخلاص لله تعالى فى كل عمل هو أساسَ قبوله، ومحور صلاحه، فإنه كان فى الهجرة الأصل فى قبولها، وكان التأكيد عليه فيها أشد، حتى اختصت الهجرة من بين سائر الأعمال بأن ضُرِب بها المثل فى ذلك.

٢٣٩ـ فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ على المنبر يقول: **«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»**[(١)].

وكان المهاجرون الكرام رضوان الله عليهم على تمام العلم بذلك، وعلى كمال الإخلاص فى هجرتهم، كما وصفتهم بذلك الآيات والأحاديث الكثيرة. ولم يحفظ لنا التاريخ مَنْ هاجر لمعنىً آخر، إلا رجلاً واحداً، هاجر يبتغى الزواج من إحدى المهاجرات.

٢٤٠ـ فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: **«مَنْ هاجر يبتغى شيئًا فهو له»** وقال: «هاجر رجلٌ ليتزوج امرأةً يقال لها أم قيس، فكان يقال له: مهاجر أم قيس»[(٢)].

٢٤١ـ وفى رواية قال:

«كان فينا رجلٌ خطب امرأةً يقال لها أم قيس، فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر، فهاجر، فتزوجها، فكنا نسميه: مهاجر أم قيس»[(٣)].

حكم الهجرة بعد فتح مكة:

سبق البيان بأن الهجرة إلى رسول الله ﷺ قبل الفتح كانت واجبة، فلما فتح الله مكة، ودخل الناس فى دين الله أفواجاً، وأتت الوفود من كل صوبٍ وحَدَبٍ تعلن إسلامها وولاءها، وكان استمرار الهجرة إلى المدينة يعنى تكدُّساً سكانياً عالياً جداً فيها،

---

(١) أخرجه البخارى فى الصحيح فى كتاب: بدء الوحى١/ ١٥ (١)، وفى مواضع متعددة (انظر أرقام: ٥٤، ٢٥٢٩، ٣٨٩٨، ٥٠٧٠، ٦٦٨٩، ٦٩٥٣). ومسلم فى كتاب الإمارة، باب: قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات ٣/ ١٥١٥ (١٩٠٧/ ١٥٥)، وأبو داود فى كتاب: الطلاق، باب: فيما عنى به الطلاق والنيات ٢/ ٢٦٩ (٢٢٠١)، والترمذى فى كتاب: الجهاد، باب: ما جاء يقاتل رياءً وللدنيا ٤/ ١٥٣ـ١٥٤ (١٦٤٧)، والنسائى فى كتاب: الطهارة، باب: النية فى الوضوء ١/ ٥٨ـ٥٩، وابن ماجه فى كتاب: الزهد، باب: النية ٢/ ١٤١٣ (٤٢٢٧)، وأحمد ١/ ٢٥، ٤٣، والحميدى فى المسند (٢٨).

(٢) أخرجه الذهبى بسنده فى سير أعلام النبلاء١٠/ ٥٩٠ وقال: «إسناده صحيح»، وعزاه ابن حجر فى الفتح ١/ ٨ إلى سعيد بن منصور.

(٣) أخرجه الطبرانى فى الكبير٩/ ١٠٣(٨٥٤٠)وقال الهيثمى فى المجمع٢/ ١٠١: «رجاله رجال الصحيح»

وتفريغاً لما سواها، مما قد يسبب مشكلات اقتصادية عاتية، فإنه كان من المنطقى أن يسقط النبى ﷺ أمر الهجرة.

وقد جاءت أحاديث كثيرة تفيد انقطاع الهجرة، وأخرى تفيد بقاءها.

فمن الأحاديث الدالة على انقطاع الهجرة ما يلى:

٢٤٢ـ عن ابن عباسٍ رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استُنفرتم فانفروا»[١].

٢٤٣ـ وعن عطاء بن أبى رباح قال: زرتُ عائشة مع عُبَيْد بن عُمَيْرٍ الليثى، فسألناها[٢] عن الهجرة، فقالت:

«لا هجرة اليوم، كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ مخافة أن يفتن عليه[٣]، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام، واليوم يعبد ربه حيث شاء، ولكن جهاد ونية»[٤].

٢٤٤ـ وفى رواية عن عطاء عن **عائشة** قالت: سئل رسول الله ﷺ عن الهجرة،

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: الجهاد، باب: فضل الجهاد والسير ٦/ ٣(٢٧٨٣)، وباب: وجوب النفير ٦/ ٣٧ (٢٨٢٥)، وباب: لا هجرة بعد الفتح ٦/ ١٨٩ (٣٠٧٧)، وفى كتاب: الجزية، باب: إثم الغادر للبر والفاجر٦/ ٢٨٣ (٣١٨٩)، ومسلم فى كتاب: الإمارة، باب: المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير ٣/ ١٤٨٧ (١٣٥٣/ ٨٥)، وأبو داود فى كتاب: الجهاد، باب: فى الهجرة هل انقطعت٣/ ٣ـ ٤(٢٤٨٠)، والترمذى فى كتاب: السير، باب: ما جاء فى الهجرة٤/ ١٤٨ـ ١٤٩ (١٥٩٠)، والنسائى فى كتاب: البيعة، باب: الاختلاف فى انقطاع الهجرة ٧/ ١٤٦، والدارمى فى كتاب: السير، باب: لا هجرة بعد الفتح٢/ ٣١٢(٢٥١٢)، وابن حبان١٠/ ٤٥٢ (٤٥٩٢)، و١١/ ٢٠٦ـ ٢٠٧ (٤٨٦٥)، والبغوى فى شرح السنة ١٠/ ٣٧١ (٢٦٣٦)، وأحمد ١/ ٢٢٦، ٢٦٦، ٣١٦، ٣٥٥.

(٢) فى بعض الروايات: «فسألها عبيد بن عمير عن الهجرة» فلعل عبيداً كان هو المباشر للسؤال، وإنما نسب السؤال فى هذه الرواية إليهما لرضاء عطاء بسؤال عبيد، أو لاتفاقهما عليه. قال ابن حجر: «فسألها عن الهجرة: أى التى كانت قبل الفتح واجبة إلى المدينة، ثم نسخت بقوله «لا هجرة بعد الفتح» (فتح البارى٧/ ٢٢٩).

(٣) قال ابن حجر: «أشارت عائشة إلى بيان مشروعية الهجرة، وأن سببها خوف الفتنة، والحكم يدور مع علته. فمقتضاه: أن من قدر على عبادة الله فى أى موضع اتفق لم تجب عليه الهجرة منه، وإلا وجبت ومن ثم قال الماوردى: إذا قدر على إظهار الدين فى بلدٍ من بلاد الكفر فقد صارت البلد به دار إسلام، فالإقامة فيها أفضل من الرحلة منها، لما يترجى من دخولِ غيره فى الإسلام». (فتح البارى ٧/ ٢٢٩).

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب: الجهاد، باب: لا هجرة بعد الفتح ٦/ ١٩٠ (٣٠٨٠)، وفى كتاب: مناقب الأنصار، باب: هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة ٧/ ٢٢٦ (٣٩٠٠)، وفى كتاب: المغازى، باب: مقام النبى ﷺ بمكة زمن الفتح ٨/ ٢٥ـ ٢٦ (٤٣١٢)، وابن حبان ١١/ ٢٠٩ـ ٢١٠ (٤٨٦٧)، والطحاوى فى مشكل الآثار ٣/ ٢٥٤، والبيهقى فى السنن ٩/ ١٧.

فقال: «**لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا**»(١).

٢٤٥ـ وعن مجاهد قال: قلت لابن عمر: إني أريد أن أهاجر إلى الشام. قال: «**لا هجرة، ولكن جهاد، فانطلق فاعرض نفسك، فإن وجدت شيئاً، وإلا رجعت**»(٢).

٢٤٦ـ وعن مجاشع بن مسعود رضى الله عنه قال:

أتيتُ النبيَّ ﷺ أنا وأخى، فقلت: بايعْنا على الهجرة. فقال: «**مَضَت الهجرةُ لأهلها**». فقلت: علام تبايعنا؟ قال: «على الإسلام والجهاد»(٣).

٢٤٧ـ وفى رواية عنه قال:

انطلقت بأبى معبد (يعنى أخاه) إلى النبى ﷺ؛ ليبايعه على الهجرة، قال: «**مضت الهجرة لأهلها، أبايعه على الإسلام والجهاد...**» الحديث(٤).

٢٤٨ـ وعن يَعْلَى بن مُنْيَة رضى الله عنه قال:

جئتُ رسول الله ﷺ بأبى، فقلت: يا رسول الله، بايعْ أبى على الهجرة. فقال رسول الله ﷺ: «**بل أبايعه على الجهاد، قد انقطعت الهجرة**»(٥).

٢٤٩ـ وعن صفوان بن أمية رضى الله عنه قال:

قلت: يا رسول الله، إنهم يقولون: إن الجنة لا يدخلها إلا مهاجر. قال: «**لا هجرة**

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب: الإمارة، باب: المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير ٤/١٤٨٨ (١٨٦٤/ ٨٦)، وأبو يعلى٨ / ٣٦٢ (٤٩٥٢).

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: المغازى، باب: مقام النبى ﷺ بمكة زمن الفتح ٨/ ٣٦٢ (٤٣٠٩، ٤٣١٠) وبلفظ: أن ابن عمر كان يقول: «لا هجرة بعد الفتح»: أخرجه البخارى فى نفس الموضع (٤٣١١)، وفى كتاب: مناقب الأنصار، باب: هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة ٧/ ٢٢٦ (٣٨٩٩).

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: الجهاد، باب: البيعة فى الحرب أن لا يفروا ٦/١١٧(٢٩٦٢، ٢٩٦٣)، وباب: لا هجرة بعد الفتح ٦/ ١٨٩ـ ١٩٠ (٣٠٧٨، ٣٠٧٩)، وفى كتاب: المغازى، باب: مقام النبى ﷺ بمكة زمن الفتح ٨/ ٢٥ (٤٣٠٥، ٤٣٠٦).

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب المغازى ٨/ ٢٥ (٤٣٠٧، ٤٣٠٨)، ومسلم فى كتاب: الإمارة، باب: المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير ٤/ ١٤٨٧ (١٨٦٣/ ٨٤)، وأحمد ٣/ ٤٦٨، ٤٦٩، و٥/ ٧١.

وفى رواية عند مسلم (١٨٦٣/ ٨٣) بلفظ «أتيت النبى ﷺ أبايعه..» فذكره، ولم يذكر فيه أخاه.

(٥) أخرجه النسائى فى كتاب: البيعة، باب: البيعة على الجهاد ٧/ ١٤١، وباب: ذكر الاختلاف فى انقطاع الهجرة ٧/ ١٤٥، وأحمد ٤/ ٢٢٣ـ ٢٢٤، والطبرانى ٢٢/ ٢٥٧ (٦٦٤، ٦٦٥)، والطحاوى فى مشكل الآثار٣/ ٢٥٣، والبيهقى فى السنن الكبرى ٩/ ١٦، وصححه ابن حبان١١/ ٢٠٦(٤٨٦٤)، والحاكم ٣/ ٤٢٤.

بعد فتح مكة، ولكن جهاد ونية، فإذ استُنفرتم فانفروا»[١].

ومن الأحاديث الدالّة على عدم انقطاع الهجرة ما يلى:

٢٥٠ـ عن عبد الله بن واقد السَّعْدى رضى الله عنه قال:

وفدتُ على رسول الله ﷺ فى وفد، كلنا يطلب حاجة، وكنت آخرهم دخولاً على رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، إنى تركتُ مَنْ خلفى، وهم يزعمون أن الهجرة قد انقطعت. قال: «**لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار**»[٢].

٢٥١ـ وعن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«**لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة** ـ ثلاث مرات ـ **ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها**»[٣].

٢٥٢ـ وعن عبد الله بن السعدى رضى الله عنه، أن النبى ﷺ قال:

«**لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يُقَاتَل**».

فقال معاوية وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمرو بن العاص: إن النبى ﷺ قال:

«**الهجرة خصلتان: إحداهما: أن تهجر السيئات، والأخرى: أن تهاجر إلى الله ورسوله، ولا تنقطع الهجرةُ ما تُقُبِّلت التوبة، ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب، فإذ طلعت طُبِع على كل قلب بما فيه، وكُفِى الناسُ العمل**»[٤].

وقد جمع العلماء بين هذه الأحاديث التى ظاهرها التعارض على النحو التالى:

أولاً: يرى الإمام أبو سليمان الخطابى أن الهجرة فى أول الإسلام كانت مندوباً إليها

---

(١) أخرجه النسائى فى كتاب: البيعة، باب: ذكر الاختلاف فى انقطاع الهجرة ٧/ ١٤٦، وأحمد ٣/ ٤٠١، و٦/ ٤٦٦ وزاد فيها: «فارجع أبا وهب إلى أباطح مكة»، ورجال الإسناد ثقات.

(٢) أخرجه النسائى فى كتاب: البيعة، باب: ذكر الاختلاف فى انقطاع الهجرة ٧/ ١٤٦، ١٤٧، وأحمد ٥/ ٢٧٠، وأخرج اللفظ النبوىً فقط: الطحاوى فى مشكل الآثار ٣/ ٢٥٨، وصححه ابن حبان ١١/ ٢٠٧ (٤٨٦٦)، وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه أبو داود فى كتاب: الجهاد، باب: فى الهجرة هل انقطعت٣/ ٣ (٢٤٧٩)، والدارمى فى كتاب: السير، باب: أن الهجرة لا تنقطع٢/ ٣١٢ (٢٥١٣)، والبيهقى فى السنن الكبرى٩/ ١٧، وأحمد ٤/ ٩٩، وأبو يعلى ١٣/ ٣٥٩ (٧٣٧١).

(٤) أخرجه أحمد ١/ ١٩٢، وقال الهيثمى فى المجمع ٥/ ٢٥١: «رجال أحمد ثقات».

غير مفروضة، فلما انتقل النبى ﷺ إلى المدينة أُمِروا بالانتقال إليه وفرضت الهجرة. قال: «وكان عُظْم الخوف فى ذلك الزمان من قريش، وهم أهل مكة، فلما فتحت وتحفت بالطاعة زال ذلك المعنى، وارتفع وجوب الهجرة، وعاد الأمر فيه إلى الندب والاستحباب. فهما هجرتان: فالمنقطعة منهما هى الفرض، والباقية هى الندب»(١).

ثانياً: يرى جمهور العلماء أن الهجرة من دار الحرب والكفر إلى دار الإسلام باقية دائمة إلى يوم القيامة، إذ أن الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً، فحيثما وجدت العلة الداعية إلى الهجرة وجبت الهجرة، على تفصيلات كثيرة محلها كتب الفقه والفروع.

أما الهجرة المنقطعة فاختلف فيها على رأيين:

أحدهما: أنها الهجرة من مكة خاصة، لأنها قد صارت بالفتح دار إسلام، وأنها لن تكون دار كفر إلى يوم القيامة، فلا تُتصوّر منها الهجرة.

قال البغوى: «الأولى أن يجمع بينهما من وجه آخر، وهو أن قوله «**لا هجرة بعد الفتح**» أراد به من مكة إلى المدينة، وقوله: «**لا تنقطع الهجرة**»: أراد بها هجرة من أسلم فى دار الكفر عليه أن يفارق تلك الدار، ويخرج من بينهم إلى دار الإسلام»(٢).

وثانيهما: أن المنقطعة هى الهجرة الفاضلة الممدوحة التى لأصحابها المزية الظاهرة، والتى لها الأحكام الخاصة التى سبق ذكرها.

قال البغوى: «ويحتمل وجهاً آخر، وهو أن قوله «**لا هجرة**» أى إلى النبى ﷺ حيث كان بنية عدم الرجوع إلى الوطن المهاجر منه إلا بإذن، وقوله «**لا تنقطع**» أى هجرة من هاجر على غير هذ الوصف من الأعراب ونحوهم»(٣).

وهذا ما قرره ابن رشد رحمه الله، حيث قال: «فلما فتح الله مكة قال رسول الله ﷺ: «**مضت الهجرة لأهلها**» أى فازوا بها، وحصلوا عليها، وانفردوا بفضلها، دون مَنْ بعدهم، وقال ﷺ: «**لا هجرة بعد الفتح...**» الحديث، أى لا يبتدىء أحد من أهل مكة ولا غيرهم هجرةً بعد الفتح فينال بذلك درجة من هاجر قبل الفتح، ويستحق أن يُسَمَّى باسمهم، ويلحق بجملتهم» ثم قال بعد أن ذكر بقاء حكم الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام: «إلا أن هذه الهجرة لا يحرم على المهاجر بها الرجوع إلى وطنه إن عاد دار إيمان وإسلام، كما حرم على المهاجرين من أصحاب رسول الله ﷺ الرجوع إلى

---

(١) معالم السنن، بهامش سنن أبى داود٣/ ٨ وممن قال بذلك الماوردى كما ذكر ابن حجر فى الفتح ٧/ ٢٢٩.
(٢) شرح السنة ١٠/ ٣٧٣. وانظر ما قاله ابن قدامة فى المغنى ٨/ ٤٥٧.
(٣) شرح السنة ١٠/ ٣٧٣.

مكة، للذى ذخره الله لهم من الفضل فى ذلك»(١).

وهذا هو ما رجّحه النووى رحمه الله، فقال: «قال أصحابنا وغيرهم من العلماء: الهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام باقية إلى يوم القيامة، وتأولوا هذا الحديث **(لا هجرة بعد الفتح)** تأويلين.

أحدهما: لا هجرة بعد الفتح من مكة؛ لأنها صارت دار إسلام، فلا تتصور منها الهجرة.

والثانى: وهو الأصح ـ: أن معناه أن الهجرة الفاضلة المهمة المطلوبة التى يمتاز بها أهلها امتيازًا ظاهرًا انقطعت بفتح مكة، ومضت لأهلها الذين هاجروا قبل فتح مكة؛ لأن الإسلام قَوِى وعَزّ بعد فتح مكة عزًا ظاهرًا بخلاف ما قبله»(٢).

ويضيف ابن العربى المالكى إلى الهجرة الباقية: الهجرة من أرض الحرام والباطل فيقول عن الهجرة: «إن رءوس أقسامها ستة:

الأول: الهجرة من الخوف على الدين والنفس كهجرة النبى ﷺ، فإنها كانت عليهم فريضة لا يجزئ إيمانٌ بدونها.

الثانى: الهجرة إلى النبى ﷺ فى داره التى استقر فيها، فقد بايع من قصده على الهجرة، وبايع آخرين على الإسلام، إلى تمام الأقسام.

وهاتان الهجرتان اللتان انقطعتا بفتح مكة.

فأما الهجرة من أرض الكفر فهى فريضة إلى يوم القيامة، وكذلك الهجرة من أرض الحرام والباطل بظلم أو فتنة»(٣).

وهذا الذى ذكره البغوى، وقرره ابن رشد، ورجّحه النووى، استظهره ومال إليه ابن حجر، ثم قال: «وقد أفصح ابن عمر رضى الله عنهما بالمراد فيما أخرجه الإسماعيلى بلفظ: «انقطعت الهجرة بعد الفتح إلى رسول الله ﷺ، ولا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار» أى ما دام فى الدنيا دار كفر فالهجرة واجبة منها على من أسلم وخشى أن يفتن عن دينه، ومفهومه: أنه لو قدر أن لا يبقى فى الدنيا دار كفر أن الهجرة تنقطع لانقطاع موجبها، والله أعلم(٤)».

أما أحكام الهجرة الباقية فهى ثلاثة أضرب:

١ ـ هجرة واجبة: وهى هجرة من يقدر عليها، ولا يمكنه إظهار دينه، ولا تمكنه إقامة

(١) المقدمات الممهدات ٢/ ١٥٢ـ ١٥٣.
(٢) شرح النووى ١٣/ ٨.
(٣) عارضة الأحوذى ٧/ ٨٨.
(٤) فتح البارى ٧/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

واجبات دينه مع المقام بين الكفار؛ لأن القيام بواجب دينه واجب على من قدر عليه، والهجرة ضرورة الواجب وتتمته، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

٢ ـ **هجرة مستحبة**: وهى هجرة القادر عليها، لكن يمكنه إظهار دينه وأداء واجباته فى دار الكفر، وذلك ليتمكن من جهاد الأعداء، وتكثير سواد المسلمين ومعونتهم، وليتخلص من تكثير الكفار ومخالطتهم ورؤية المنكر بينهم.

٣ ـ **عدم الهجرة**: لمن يعجز عنها لمرضٍ أو إكراه أو ضعف[١].

المعانى الباقية للهجرة:

أختم هذا الفصل بالهجرة المعنوية المستمرة الدائمة التى لا ينبغى أن ينفك عنها المسلم، والتى قال عنها الإمام ابن قيم الجوزية: «إنها فرض عين على كل أحد فى كل وقت، وإنه لا انفكاك لأحدٍ من وجوبها، وهى مطلوب الله ومراده من العباد، إذ الهجرة هجرتان: هجرة بالجسم من بلدٍ إلى بلدٍ، وهذه أحكامها معلومة.

والهجرة الثانية: الهجرة بالقلب إلى الله ورسوله، وهذه الهجرة هى الهجرة الحقيقية، وهى الأصل، وهجرة الجسد تابعة لها، وهى هجرة تتضمن«من» و«إلى»، فيهاجر بقلبه من محبة غير الله إلى محبته، ومن عبودية غيره إلى عبوديته، ومن خوف غيره ورجائه والتوكل عليه إلى خوف الله ورجائه والتوكل عليه، ومن دعاء غيره وسؤاله والخضوع له والذلِ والاستكانة له إلى دعائه وسؤاله والخضوع له والذل والاستكانة له»[٢].

وقد وردت النصوص بهذه المعانى، وهاك بعضها:

١ ـ **الجهاد فى سبيل الله بنية خالصة**: وقد سبق ذلك فى النصوص السابقة من رقم (٢٤٢) إلى رقم (٢٥٠)

قال النووى: «قوله ﷺ: **«ولكن جهاد ونية»** معناه: أن تحصيل الخير بسبب الهجرة قد انقطع بفتح مكة، ولكن حَصِّلوه بالجهاد والنية الصالحة»[٣].

٢ ـ **التوبة النصوح الصادقة قبل طلوع الشمس من مغربها**: وقد سبق ذلك فى الأحاديث (٢٥١، ٢٥٢) وهو المعنى الذى سبق نقله عن ابن القيم، والذى يقول عنه

---

(١) انظر: فتح البارى ٦/ ١٩٠، والمغنى لابن قدامة ٨/ ٤٥٧.

(٢) الرسالة التبوكية لابن القيم صـ٢٤، ٢٥ (نقلا عن: دراسات فقهية للدكتور نزيه حماد صـ١٨٢).

(٣)شرح النووى ١٣/ ٨ وانظر فتح البارى ٦/ ٣٩.

فى كتابه «طريق الهجرتين وباب السعادتين»: «هجرةٌ إلى الله بالطلب والمحبة والعبودية والتوكل والإنابة والتسليم والتفويض والخوف والرجاء والإقبال عليه وصدق اللجأ والافتقار فى كل نَفَس إليه.

وهجرةٌ إلى رسوله ﷺ فى حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة، بحيث تكون موافقة لشرعه الذى هو تفضيل محابّ الله ومرضاته، ولا يقبل الله من أحدٍ دينًا سواه، وكل عمل سواه فعيش النفس وحظها؛ لا زاد المعاد»(١).

وهذا هو هجر السوء والسيئات والخطايا والذنوب الوارد فى الأحاديث المختلفة.

٢٥٣ ـ فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ قال:

«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»(٢).

قال ابن حجر: «خصّ المهاجر بالذكر تطييبًا لقلب من لم يهاجر من المسلمين؛ لفوات ذلك بفتح مكة، فأعلمهم بأن من هجر ما نهى الله عنه كان هو المهاجر الكامل، ويحتمل أن يكون ذلك تنبيهًا للمهاجرين أن لا يتّكِلوا على الهجرة، فيقصروا فى العمل»(٣).

٢٥٤ ـ وفى رواية من حديث طويل عنه قال:

«... فقال رجل: يا رسول الله، فأى الهجرة أفضل؟ قال: **أن تهجر ماكره ربك عز وجل**»(٤).

٢٥٥ ـ وعن فَضَالة بن عُبَيْد رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال:

«المؤمن من أمنه الناسُ على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب»(٥).

---

(١) طريق الهجرتين ص٧.

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: الإيمان، باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ١/ ٥٣، وفى كتاب: الرقاق، باب: الانتهاء عن المعاصى ١١/ ٣١٦ (٦٤٨٤)، وأبو داود في كتاب: الجهاد، باب: فى الهجرة هل انقطعت ٣/ ٤ (٢٤٨١)، وأحمد ٣/ ١٦٣، ١٩٢، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٢، ٢١٥، ٢٢٤.

(٣) فتح البارى ١١/ ٣١٩، وانظر أيضا ١/ ٥٤.

(٤) صححه ابن حبان ١١/ ٥٧٩ (٥١٧٦)، والحاكم ١/ ١١، وأخرجه أحمد ٢/ ١٥٩ ـ ١٦٠، ١٩١، ١٩٣، ١٩٥، والبيهقى فى السنن الكبرى ١٠/ ٢٤٣.

(٥) أخرجه ابن ماجه فى كتاب: الفتن، باب: حرمة دم المؤمن وماله ٢/ ١٢٩٨ (٣٩٣٤) وقال البوصيرى فى الزوائد: إسناده صحيح رجاله ثقات»، وأخرجه أحمد ٦/ ٢١، ٢٢، والبزار ٢/ ٣٥ (١١٤٣)، والطبرانى فى الكبير ١٨/ ٣٠٩ (٩٧٦)، وقال الهيثمى فى المجمع ٣/ ٢٦٨: «رجال البزار ثقات»، وصححه ابن حبان ١١/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤ (٤٨٦٢)، والحاكم ١/ ١٠ ـ ١١ على شرطهما، ووافقه الذهبى.

٢٥٦ ـ وعن صالح بن بُشَيْر بن فُدَيْك، أن فُدَيْكا رضى الله عنه أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، إنهم يزعمون أنه من لم يهاجر هلك، فقال رسولُ الله ﷺ: **«يا فُدَيْك، أقم الصلاة، واهجر السوء، واسكن من أرض قومك حيث شئت»**[١].

٢٥٧ ـ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ:

«المؤمن: من أمنه الناس، والمسلم: من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر: مَنْ هجر السوء»[٢].

٣ ـ إعطاء الصدقات:

٢٥٨ ـ فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال:

جاء أعرابىٌّ إلى النبى ﷺ، فسأله عن الهجرة[٣]، فقال: **«ويحك، إن الهجرة شأنها شديد، فهل لك من إبل؟»** قال: نعم. قال: **«فهل تعطى صدقتها؟»** قال: نعم. قال: **«فتحلبها يوم ورودها؟»**. قال: نعم. قال: **«فاعمل من وراء البحار[٤]، فلن يترِكَ[٥] اللهُ من عملك شيئا»**[٦].

قال الحافظ ابن حجر: «فى حديث أبى سعيد: فضل أداء زكاة الإبل، ومعادلة إخراج حق الله فيها لفضل الهجرة، فإن فى الحديث إشارةً إلى أن استقراره بوطنه إذا أدى زكاة إبله يقوم له مقام ثواب هجرته وإقامته بالمدينة»[٧].

---

(١) صححه ابن حبان ١١/ ٢٠٢ (٤٨٦١)، وأخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٩/ ١٧، والطبرانى فى الكبير ١٨/ ٣٣٦ (٨٦٢)، وقال الهيثمى فى المجمع ٥/ ٢٥٥: «رجاله ثقات، إلا أن صالح بن بشير أرسله، ولم يقل عن فديك».

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ١٥٤.

(٣) قال النووى: «المراد بالهجرة التى سأل عنها الأعرابى: ملازمة المدينة مع النبى ﷺ وترك أهله ووطنه». (شرح النووى ١٣/ ٩).

وقال ابن حجر: «الهجرة المسؤول عنها: مفارقة دار الكفر إذ ذاك، والتزام أحكام المهاجرين مع النبى ﷺ، وكأن ذلك وقع بعد فتح مكة». (فتح البارى ٧/ ٢٥٩).

(٤) هذه العبارة للمبالغة فى إعلامه بأن عمله لا يضيع فى أى موضع كان. (فتح البارى ٧/ ٢٥٩).

(٥) يترك ـ بفتح التحتانية، وكسر المثناة الفوقية، ثم راء وكاف: أى ينقصك. (فتح البارى ٧/ ٢٥٩).

(٦) أخرجه البخارى فى كتاب: الزكاة، باب: زكاة الإبل ٣/ ٣١٦ (١٤٥٢)، وفى كتاب: الهبة، باب: فضل المنيحة ٥/ ٢٤٣ (٢٦٣٣)، وفى كتاب: مناقب الأنصار، باب: هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة ٧/ ٢٥٧ (٣٩٢٣)، وفى كتاب: الأدب، باب: ما جاء فى قول الرجل ويلك ١٠/ ٥٥٣، ومسلم فى كتاب: الإمارة، باب: المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير ٣/ ١٤٨٨ (١٨٦٥/ ٨٧)، وأبو داود فى كتاب: الجهاد، باب: ما جاء فى الهجرة وسكنى البدو ٣/ ٣ (٢٤٧٧)، والنسائى فى كتاب: البيعة، باب: شأن الهجرة ٧/ ١٤٣ ـ ١٤٤، وأحمد ٣/ ١٤، ٦٤.

(٧) فتح البارى ٣/ ٣١٦.



الفصل الخامس عشر

فوائد عامةٌ ودروسٌ متنوعةٌ من الهجرة

بعد هذا التطواف مع الهجرة المباركة نتوقف فى هذا الفصل لنلتقط بعض الفوائد والعبر والدروس النافعة فى إيجاز واختصار، وأترك للقارئ الكريم استخراج غيرها واستنباط سواها من الدروس الكثيرة النافعة إن شاء الله تعالى.

وهاك هذه الدروس والفوائد:

١ ـ **الصراع بين الحق والباطل صراعٌ قديمٌ وممتدٌ**، وهو سنة إلهية نافذة، كما قال عز وجل **﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾** (البقرة: ٢٥١) وقال تباركت أسماؤه **﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾** (الحج: ٤٠).

ولكن هذا الصراع محتوم النهاية معلوم العاقبة **﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾** (المجادلة: ٢١)

٢ ـ **مكر خصوم الدعوة بالداعية أمرٌ مستمرٌ متكررٌ**، سواء عن طريق الحبس أو القتل أو النفى والإخراج من الأرض، وعلى الداعية أن يلجأ إلى ربه وأن يثق به ويتوكل عليه ويعلم أن المكر السيء لا يحيق إلا بأهله، كما قال عز وجل **﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾** (الأنفال: ٣٠).

٣ ـ **ثقة الداعية بربه، ويقينه بسمو مبدئه، وإيمانه الكامل بدعوته، هى عُدّته فى مواجهة الشدائد** ومغالبة المصاعب والعوائق، والثقة فى الله فى تلك اللحظات الحرجة هى المحكُّ الحقيقى لاختبار الإيمان. انظر فى ذلك: موقفه ﷺ عند الخروج من بيته وقد أحاط به المتآمرون، وموقفه فى الغار وقد صار قريبًا من أعين الطَّلَب بحيث لو نظر

أحدهم تحت قدميه لأبصره، وموقفه حين أدركة سراقة.

٤ ـ **وضوح الحق وقوة حجته من أهم الأسباب التى تدفع خصومه لمنع دعاته من مجرد الإعلان عنه والاستعلان به؛** خوفًا من انجذاب القلوب إليه وتعلقها به، ولهذا يلجأ الخصوم إلى سلاح العزل والفصل بين الداعية وبين جماهير الناس ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا. وها هم الملأ من قريش يضطرون لقبول جوار ابن الدغنة لأبى بكر ولكنهم يشترطون عليه: «مُرْ أبا بكر فليعْبد ربه فى داره، فليُصلّ فيها، وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك، ولا يستعلِنْ به، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا».

٥ ـ **استغلال أهل الباطل وخصوم الدعوة سلاح المال لإغراء النفوس الضعيفة بالدعوة والدعاة،** فيدفعون المبالغ الطائلة لمن يلحق بهم أى ضرر يمكن أن يعوّق مسيرتهم، وتوجد فى كل عصر تلك الفئة الضعيفة النفس المستعدة للتأثر بذلك والاستجابة له، وها أنت ترى أنهم رصدوا مائة ناقة لمن يأتى بأحد المهاجريْن حيا أو ميتًا، فتحرك الطامعون، ومنهم سراقة، الذى عاد بعد هذه المغامرة الخاسرة ماديًا بأوفر ربح وأطيب رزق، وهو رزق الإيمان، وأخذ يعمِّى الطريق على الطامعين الاخرين الذين اجتهدوا فى الطلب.

وهكذا يرد الله عن أوليائه والدعاة إليه. قال عز وجل ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ** ﴾ (الأنفال ٣٦).

٦ ـ **التنبه الدائم لمحاولات الأعداء فتنة الدعاة واستغلال سلامة نياتهم فى الإيقاع بهم،** وضرورة الحذر من الوقوع فى الفتنة. انظر ما فعله أبو جهل والحارث بن هشام مع عياش بن أبى ربيعة.

٧ ـ **تناقض أهل الباطل الصارخُ مع أنفسهم،** فهم مع حربهم للدعوة وللداعية؛ فإنهم لا يجدون شخصًا أوثق فى أنفسهم وأحفظ لأماناتهم من الداعية الأعظم ﷺ، وهذا أمر ما أكثر ما يتكرر بين الطغاة الظالمين وبين الدعاة المصلحين.

ومع ذلك فالداعية الأعظم يعلمنا الثبات على المبدأ، وضرورة حفظ الأمانات، وعدم التحول أو التلون بسبب أفعال الخصوم.

٨ ـ **رغم كل ما كان عليه العرب من فساد، فقد كانت فيهم خصالٌ حميدةٌ جعلتهم أهلاً لأن تنزل فيهم الدعوة،** وأن يخرج من بينهم الرسول ﷺ، وقد استفاد الداعية

الأعظم واستفادت الدعوة من هذه الميزات.

٩ ـ ضرورة استفادة الدعاة من الأعراف الجاهلية والقيم الإيجابية التى توجد فى المجتمعات لصالح الدعوة كلما أمكن ذلك، ما دام أن ذلك لا يؤدى إلى تنازلات على حساب الدعوة.

فمثلاً: مسألة الجوار استفاد منها النبى ﷺ حين دخل مكة فى جوار المطعم بن عدى، واستفاد منها أبو بكر حين دخل فى جوار ابن الدغنة، واستفاد منها سعد بن عبادة حين أدركه المشركون بعد البيعة.

ومسألة العصبية: استفاد منها النبى ﷺ فى حماية بنى هاشم به، وفى إحضار عمه العباس معه فى بيعة العقبة ليستوثق له، وليؤكد للمبايعين الجدد أن محمدًا ﷺ فى منعة من قومه، لولا أنه أبى إلا الانحياز للمؤمنين به.

١٠ ـ التنبه إلى أن خصوم الدعوة يلجأون بقدر الإمكان إلى منع الدعاة من الاستفادة من هذه الأعراف، أو على الأقل تقليل الاستفادة منها، وقد سعوا إلى ابن الدغنة ليرد الجوار على أبى بكر حين استعلن بصلاته وقراءته. وعلى الدعاة أن يتوقعوا مثل ذلك وأن يرضوا بجوار الله، ولا يتنازلوا عن دعوتهم، كما فعل أبو بكر الصديق رضى الله عنه.

١١ ـ استغلال الداعية كافة الظروف فى نشر دعوته، فمع أن النبى ﷺ كان مطاردًا وكان سراقة يطارده قاصدًا قتله وأسره؛ فإنه ﷺ لم يرد إساءته بإساءة، بل كتب له كتاب أمْنٍ كما رغب، وتعفّف عن أخذ شىء من ماله أو متاعه مما كان له أكبر الأثر فى وفاء سراقة بوعده فى الإخفاء عنهم، ورد الطالبين لهم، ثم إسلامه فيما بعد.

١٢ ـ ضرورة الحركة الدائبة للداعية، من غير يأس ولا ملل، والبحث الحثيث الدائم عن منافذ جديدة وأساليب جديدة، وعدم الخضوع لمحاولات التضييق أو الاستجابة للضغوط المختلفة لإيقاف مسيرة الدعوة، فها هو النبى ﷺ حين ضاقت عليه مكة وضيّق عليه أهلها اتجه إلى الطائف، ثم إلى قبائل العرب المختلفة، دون أن تؤيسه المقولة التى كثر ترددها على ألسنة العرب: «دعوه وقومه فإن يظهر عليهم نؤمن به»، وهكذا ظل يدعو إلى أن جاء الفرج على أيدى نفرٍ من الخزرج بعد أن نفضت كل قبائل العرب يدها من نصرة الدعوة؛ خشية استعداء قريش.

١٣ ـ استغلال الدعاة للمواسم المختلفة التى اعتاد الناس عليها فى أى مجتمع لعرض الدعوة على الجميع، فقد استغل النبى ﷺ موسم الحج، وأسواق العرب المختلفة

فى عرض دعوته على العرب الذين أتوا من كل حدب وصوب.

١٤ـ مراعاة الظروف والملابسات الزمانية والمكانية والتاريخية للمدعوين واستغلالها فى الإقناع بالدعوة. وقد كان اختيار المدينة المشرفة موفقًا لذلك. كما سبق ذكره.

١٥ـ مراعاة التدرج فى عرض مبادئ الدعوة بما يناسب حال المدعوين، فحين لقى النبى ﷺ النفر الخزرجيين لأول مرة لم يفعل سوى ترغيبهم فى الإسلام وتلاوة القرآن عليهم، فلما جاءوا فى العام التالى بايعهم بيعة النساء على العبادات والأخلاق والفضائل، فلما جاءوا فى العام التالى كانت بيعة العقبة الثانية على الجهاد والنصرة والإيواء.

١٦ـ ضرورة سعى الدعاة إلى اجتذاب الصفوة والنخبة فى المجتمع ممن كملت عقولهم وعرفوا بكمال الرجولة والمروءة إلى صف الدعوة، مثلما فعل الأنصار مع سيد من ساداتهم وشريف من أشرافهم وهو عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر، الذى كان خرج مع وفد الأوس والخزرج إلى الحج، فقد أتاه كعب بن مالك رضى الله عنه، مدفوعا بما رأى فيه من مخايل الذكاء، وكمال الشرف والمروءة، فقال له: يا أبا جابر، إنك سيد من ساداتنا وشريفٌ من أشرافنا، وإنا نرغب بك عما أنت فيه؛ أن تكون حطبًا للنار غدًا» ثم دعاه كعب إلى الإسلام، فأسلم وحضر الميعاد مع رسول الله، وكان أحد النقباء رضى الله عنه.

١٧ـ ضرورة الاهتمام ببيوت الدعاة، حتى تكون على مستوى المسئولية المنوطة بها. وأمامنا بيت أبى بكر الصديق نموذجٌ فذٌّ لما ينبغى أن تكون عليه بيوت الدعاة، فقد شارك جميع أفراد هذا البيت فى هذا الأمر الجليل الخطير ـ أمر الهجرة ـ وكانوا جميعًا على مستوى المسئولية رجالاً ونساءً، صغارًا وكبارًا، وكان أبو بكر رضى الله عنه على تمام الوعى ببيته، والثقة بأهله وبما غرسه فى نفوس الجميع من حب الدعوة والداعية، وافتدائه بالنفس والمال، ولما قال النبى ﷺ: «**أخرج عنى من عندك**». قال: إنما هم أهلك يا رسول الله».

١٨ـ ضرورة توضيح مبادئ الدعوة ووضوح الرؤية لأهدافها ووسائلها، حتى يسلك السالك طريقها وهو على بينة، فيستعد لتحمل التَّبِعات والتكاليف المترتبة على ذلك، وهذا ما كان فى غاية الوضوح فى بيعة العقبة الكبرى.

١٩ ـ وجوب الهجرة من دار الكفر حيث لا يُسمح للدعوة بالانطلاق، إلى منطلقٍ آمنٍ، يتهيأ للدعوة فيه أن تنتشر ويصل صوتها إلى جماهير الناس.

٢٠ ـ إقامة الدولة الإسلامية العالمية ينبغى أن يكون هدف الدعاة الأساسى والرئيسَ الذى يملأ قلوبهم وعقولهم، وتنطلق على أساسه حركتهم فى الحياة، وأن يكون هذا هو المحور الذى تدور حوله الأهداف المرحلية الأخرى القريب منها والبعيد، والتى يقف على رأسها العملُ على إيجاد كيانٍ سياسىٍّ وعسكرىٍّ، يحمى الدعوةَ ويهيئ لها سبيل الانطلاق، ويعينها على تفادى العقبَات والمعوِّقات، حتى تصل إلى غاياتها السامية.

وهذا ما بدا واضحًا أنه الدافع الرئيس للهجرة التى لم تكن أبدًا فرارًا ولا هربًا، وإنما كانت تحوُّلاً فى المواقع يتيح للدعوة إقامة الدولة حاملة لواء الدعوة، وبناء الجيش المدافع عنها.

٢١ ـ ضرورة اهتمام المسلم بعامة والداعية بخاصة بالتخطيط السليم المحكم والإعداد الجيد المتقن لكل عمل، بحيث يُراعى فى هذا التخطيط أن يقوم على دعامتين أساسيتين: **أولاهما**: اتخاذ كافة الأسباب والضمانات والاحتياطات اللازمة للوصول إلى الهدف المحدد بأيسر طريق وأقل تكلفة وآمن وسيلة، **وثانيتهُما وأهمُّهما**: الاعتماد على الله، والثقة بوعده، واليقين به، والرضا بقضائه.

٢٢ ـ أهمية الاطلاع على خطط العدو، والتجسس على أموره، بما يجعل كيده مكشوفًا أمام الدعاة، ومن ثَمّ تكون خطط الدعاة مبنيَّةً على الواقع الفعلى؛ لا على مجرد الظن والتخمين، ولهذا كان قيام عبد الله بن أبى بكر بمهمة المخابرات، فكان يجلس نهارَه فى أندية مكة، يتسمَّع ما يكيدون وما يحيكون من مؤامرات للنبى ﷺ وصاحبه، ثم يقوم بإبلاغهما بذلك.

٢٣ ـ أهمية حسن توظيف الكفاءات ومراعاة توزيع الأدوار المناسبة على أصحاب الكفاءات، حتى يتحقق الهدف وتنجح المسيرة، وهذا من أساسيات التخطيط الجيد. وقد كان ذلك واضحصا كل الوضوح فى الهجرة، حيث اختير للصحبة: أبو بكر، وللمبيت فى الفراش: علىٌّ، وللمخابرات: عبد الله بن أبى بكر، ولإعداد الزاد: أسماءُ وعائشة، ولإعفاء أثر عبد الله حين يأتى الغارَ ويرجع: عامرُ بن فهيرة بغنمه، ولردّ الطلب الطامعين عن الطريق: سراقةُ الذى كان واحدًا منهم، لا يُظَن به ـ فى نظر الطلب ـ أن يقوم بالتعمية والإخفاء.

ومن قبل ذلك اختير لتعليم الأنصار القرآن: مصعبُ بن عمير، وعبد الله بن أم مكتوم، كما اختير للصحبة أثناء المرور على قبائل العرب فى الموسم: أبو بكر الذى يعرف الأنساب والذى كان كثير الأسفار والاطلاع على أحوال القبائل المختلفة.

وهذا أمر فى غاية الأهمية لا ينبغى أن يغيب عن بال العاملين للإسلام.

٢٤ ـ ضرورة انتباه الدعاة لأخذ الحيطة والحذر عند التحرك فى بيئة غير إسلامية أو فى بيئة معادية، مثلما فعل المبايعون الذى كانوا يتسللون إلى مكان البيعة مستخفين تسلُّلَ القطا، ثم عادوا إلى البيعة من غير أن ينتبه لهم أحد.

٢٥ ـ التحكُّمُ فى العاطفة، وعدمُ الاندفاع وراءها، أو الوقوع فى أثر الحماسة الفياضة، وضرورةُ ضبط العواطف بضوابط الشرع والعقل، حتى لا يتم شىء فى غير أوانه، ولا يُفعل أمر فى غير ظروفه وزمانه الملائمين لنجاحه. ولهذا رفض النبى ﷺ اقتراح العباس بن نضلة رضى اللهعنه حين كشف الشيطان أمر البيعة، فقال العباس: والذى بعثك بالحق إن شِئتَ لنميلنَّ غدًا على أهل منىً بأسيافنا. فقال ﷺ: «**لم نؤمر بذلك بعد، ولكن ارفضُّوا إلى رحالكم**».

٢٦ ـ أهمية التدرُّب على حسن استخدام المعاريض، فرارًا من الحرج أو الكذب، وبخاصة فيما يتعلق بالأمور التى تهم الدعوة وتؤثر عليها، مثلما فعل أبو بكر رضى الله عنه الذى كان إذا سئل عن النبى ﷺ قال: هذا هادٍ يهدينى السبيل، فيحسب الحاسب أنه يقصد الطريق، وإنما كان يقصد سبيل الخير.

٢٧ ـ الوطن في الإسلام هو وطن العقيدة، قبل أن يكون وطن المولد والنشأة، ومع أن الإسلام يزكى معانى الحب للأوطان ويراعى أنه فطرة مركوزة فى النفوس، فإنه يحذر من أن يكون ذلك سببًا للقعود عن الجهاد، وفى الإخلاد إلى الأرض، ويوجه المسلم إلي التضحية به، واستبدال الأرض الحاضنة للدعوة به، بل وحبّها عليه، ولهذا كان ﷺ يقول حين يسمع من أصحابه المهاجرين حنينًا إلى مكة: «**اللهم حبِّبْ إلينا المدينة كحبِّنا مكة أو أشد**».

٢٨ ـ كانت الهجرة وما فيها من تضحية بالوطن والمال والعشيرة أبلغ ردٍّ على أصحاب التفسير المادى للتاريخ، وأروع برهان على أثر العقيدة فى النفوس.

٢٩ ـ أهمية دور العقيدة والدين فى إزالة العداوات والضغائن، وفى التأليف بين القلوب والأرواح، وهو دورٌ لا يمكن لغير العقيدة الصحيحة أن تضطلع به. وها أنت ترى كيف جمعت العقيدة بين الأوس والخزرج، وأزالت آثار معارك استمرت عشرات السنين، وأغلقت ملف ثارات كثيرة فى مدةٍ جد قصيرة، بمجرد التمسك بها والمبايعة عليها.

ثم ها أنت ترى ما فعلته العقيدة فى نفوس الأنصار فاستقبلوا المهاجرين بصدور

مفتوحة، وتآخوا معهم فى مثالية نادرة، لا تزال مثار الدهشة ومضرب المثل.

ولا توجد فى الدنيا فكرة أو شعار آخر فعل مثلما فعلت عقيدة الإسلام الصافية فى النفوس.

ومن هنا ندرك السر فى سعى الأعداء الدائب إلى إضعاف هذه العقيدة، وتقليل تأثيرها فى نفوس المسلمين، واندفاعهم المستمر نحو تزكية النعرات العصبية والوطنية والقومية وغيرها، وتقديمها كبديل للعقيدة الصحيحة.

٣٠ ـ القيادة الصحيحة هى فن قيادة الأرواح قبل كل شىء، وفن التعامل مع النفوس قبل غيرها، وعلى قدر إحسان القيادة يكون إحسان الجنود، وعلى قدر البذل من القيادة يكون الحب من الجنود، وقد رأينا مدى الحب الخالص الذى أحبه المهاجرون والأنصار لرسول الله ﷺ.

٣١ ـ شفقة القائد على جنوده، وحرصه على اتباعه ضرورة من ضرورات القيادة السليمة، وقد رأينا أن النبىّ ﷺ لم يهاجر إلا بعد أن هاجر معظم أصحابه، ولم يبق إلا المستضعفين والمفتونين ومَنْ كانت لهم مهمات خاصة فى الهجرة.

٣٢ ـ أهمية إعلان القيادة انحيازها إلى الجنود، وربط مصيرها بمصيرهم، فقد قال ﷺ لهم لما سألوه عما يفعل إذا نصره الله، وانقطعت الحبال بين أنصاره وغيرهم من الناس: «**بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم منى، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم**».

٣٣ ـ السمع والطاعة للقيادة فى كل أوامرها المباشرة وغير المباشرة متى كانت على وفق شريعة الله، وقد رأينا كيف حبس أبو بكر نفسه وعلف رواحله حين قال له النبى ﷺ: «**على رسلك**» ولم يراجع قائده ﷺ فى شىء حتى أتاه الرسول ﷺ بخبر الإذن بالهجرة، وبشره بالصحبة.

٣٤ ـ تربية أفراد الأمة على جواز الاعتراض والمساءلة والاستفهام من القيادة عما تحب توضيحه وفهمه، لكن فى حدود الأدب وحسن السؤال، فقد اعترض القول! ـ والرسول يتكلم ويبايع الناس ـ أبو الهيثم بن التَّيِّهان، وغيره وأجاب النبى ﷺ على ما أثاره برحابة صدر.

٣٥ ـ التأكيد على أن مفهوم الاختيار والانتخاب مفهوم إسلامىٌّ أصيلٌ، وهو أهم معالم الشورى، فقد دعا النبىُّ ﷺ الأنصار إلى ذلك قائلاً **أخرجوا إلى منكم اثنى عشر نقيبا...**».

٣٦ـ صدق الجندية وسلامة الإيمان والمعتقد يظهر في سلوك الجندى المؤمن وافتدائه قائده ودعوته بنفسه وماله. انظر فى ذلك ما فعله علىٌّ، وأبو بكر رضى الله عنهما مع رسول الله ﷺ فى الهجرة.

٣٧ ـ التأكيد على أهمية دور الشباب فى الأحداث الكبرى فى تاريخ الأمة، وقد برزت فى الهجرة أسماء شابة كثيرة نذكر منها: مصعب بن عمير المقرئ، وأسعد بن زرارة الأنصارى، أصغر المبايعين سنا، وعلى بن أبى طالب الفدائى الذى نام فى فراش المهاجر الأعظم ﷺ، وعبد الله بن أبى بكر الذى اضطلع بمهمة المخابرات، وعامر بن فهيرة، وغيرهم كثير رضى الله عنهم أجمعين.

٣٨ ـ التأكيد على أهمية دور المرأة المسلمة فى الأحداث الكبرى، وقد لمعت فى سماء الهجرة أسماء كثيرة كان لها فضل كبير ونصيب وافر من الجهاد، منها: عائشة بنت أبى بكر التى حفظت لنا القصة ووعتها وبلَّغتها للأمة، وأسماء ذات النطاقين، وأم سلمة المهاجرة الصبور، وأم عمارة نسيبة بنت كعب الأنصارية، وأم منيع أسماء بنت عمرو الأنصارية، اللتين بايعتا رسول الله ﷺ ليلة العقبة مع السبعين، وغيرهن كثير رضى الله عنهن أجمعين.

٣٩ ـ التأكيد على شمولية الإسلام والإيمان به دينًا شاملاً ينتظم أمور الدنيا والآخرة، وهذا ما أكدته بنود البيعتين فى العقبة الأولى والثانية، فهو ليس عبادات فقط، ولا أخلاقًا فاضلة فقط، وإنما هو دين شامل كامل يوجب على من يعلن الإيمان به: عبادةَ الله وحده لا شريك له بما أمر وكما أمر، وترك كافة الرذائل التى حرمها من السرقة والزنى وقتل الأولاد وافتراء البهتان على العباد والمعصية لله ولرسوله، ويلزمه بالسمع والطاعة فى العسر واليسر والنشاط والكسل، وبالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقول الحق من غير أن تأخذه فى الله لومة لائم، وبنصرته والدفاع عنه فى مواجهة من يقصده بسوء.

٤٠ ـ جواز الاستفادة من خبرة غير المسلمين واستئجارهم فى أخص الأعمال التى تتعلق بالدعوة متى كانوا مأمونين، وكانت فيهم كفاءة لا توجد فى غيرهم من المسلمين، مثلما فعل النبى ﷺ وأبو بكر حين استأجرا ابن أريقط.

٤١ ـ اليقين بما جُبل عليه اليهود من الغدر والبهتان والكذب، على النحو الذى أوضحه شاهدٌ كان من أنفسهم وهو عبدُ الله بن سلام، حيث بهتوه حين علموا بإسلامه رضى الله عنه.

٤٢ ـ نزاهة وعفة الدولة الإسلامية عن مال الأفراد، فلا استغلال للأفراد، ولا مصادرة لأموالهم من جانب الدولة، ولو كان ذلك فى مشروعات عامة، ولذلك رفض النبى ﷺ أن يأخذ الأرض التى بنى عليها المسجد من الغلامين اليتيمين إلا بالثمن.

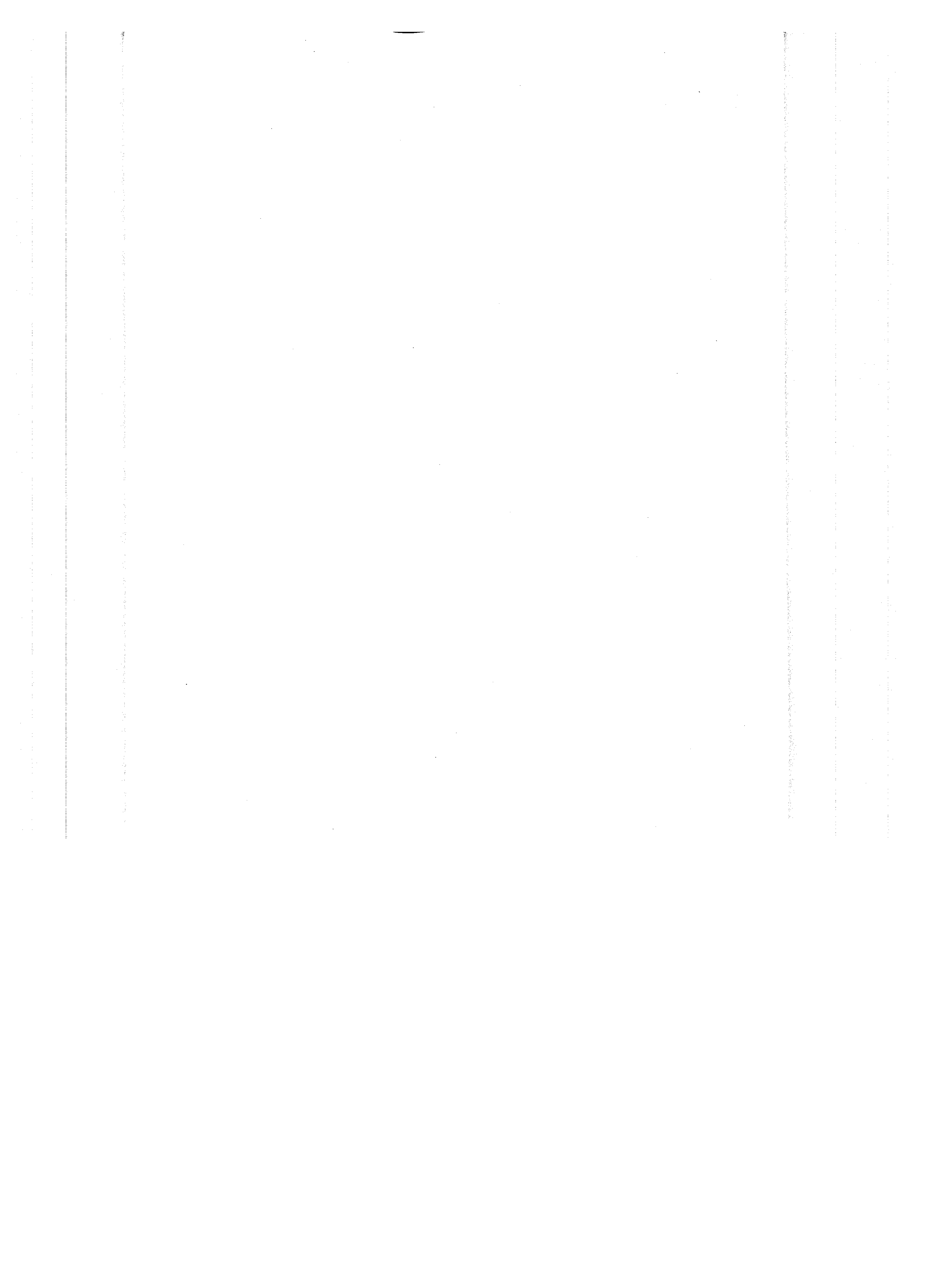
٤٣ ـ حفظُ الجميل وشكرُ المعروف قيمةٌ إسلامية، ومكافأةُ صاحبه أمرٌ مطلوبٌ ومحبوبٌ، فقد حفظ المهاجرون لإخوانهم الأنصار حسنَ استقبالهم إياهم، وأحسنوا الثناء عليهم والدعاء لهم، وكذلك فإن النبىَّ ﷺ حين أتته المرأة التى مرّ بها فى الطريق كساها وأعطاها.

٤٤ ـ باب التوبة مفتوحٌ، وواجب المسلم ـ وبخاصة الداعية ـ أن يراجع نفسه، وأن يصلحَ أخطاءه، بلا يأسٍ ولا قنوط **﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾** (الزمر ٥٣).

٤٥ ـ فى استصحاب النبى ﷺ أبا بكر دون غيره، وفى وصف القرآن له بأنه صاحبه ما يدل على أنه كان الأولى بالخلافة من بعده، وهناك أمور كثيرة جدًا غير ذلك تدل على هذا، وليس هذا مقام ذكرها.

تلك كانت بعض الفوائد والدروس، والحدثُ الكريمُ مليءٌ بغيرها من الطيب الكريم، والله المسؤول أن ينفعنا بها، وأن يوفقنا لما يحب ويرضى.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



فهارس الكتاب(*)

١ـ فهرست الآيات القرآنية الواردة فى الكتاب.

٢ـ فهرست الأحاديث والآثار الواردة فى الكتاب.

٣ـ فهرست رواة الأحاديث والآثار الواردة فى الكتاب.

٤ـ فهرست المعالم الجغرافية التى تم التعريف بها فى الكتاب.

٥ـ فهرست المصادر والمراجع.

٦ـ فهرست موضوعات الكتاب.

(*) الفهارس من ١ ـ ٥ مرتبة ترتيبا هجائيًا.



١ ـ فهرست الآيات القرآنية الواردة فى الكتاب

٢ ـ فهرس الأحاديث والآثار الواردة في الكتاب

طرف الحديث	الراوى	الصفحة / رقم الحديث
حرف الألف		
آكل الربا وموكله إذا علموا ذلك	عبد الله بن مسعود	٢٢٠/١٨١
آية الإيمان حب الأنصار	أنس بن مالك	١٢٧/١٣٨
أبايعك على أن تعبد الله وتقيم الصلاة	جرير بن عبد الله	٢١٣/١٧٧
ابدوا يا أسلم فتنسَّموا الرياح	سلمة بن الأكوع	٢٣٠/١٨٣
اتعدت لما أردنا الهجرة إلى المدينة أنا وعياش.	عمر بن الخطاب	١١٨/١٢٨
أتيت النبى ﷺ وهو متوسد برده فى ظل الكعبة	خباب بن الأرت	١١/٣٢
أتيت النبى ﷺ فى ناس ونحن شببة متقاربون	مالك بن الحويرث	٢١٨/١٧٩
اجتنبوا الكبائر السبع	سهل بن أبى حثمة	٢٢١/١٨١
أخطأ الناس فى العدد، ما عدوا من مبعثه	سهل بن سعد	١٩٨/١٦٨
أرأيت اسم الأنصار، كنتم تُسَمَّون به	أنس بن مالك	١٢٢/١٣٦
أرّخ بنو إسماعيل من نار إبراهيم عليه السلام	الزهرى، والشعبى	٢٠٩/١٧٣
أريت دارَ هجرتكم سبخة بين ظهرانى حرة	صهيب بن سنان	١٠٨/١٢٠
أصبح رسول الله ﷺ يومًا فجاء إنسان	عروة بن الزبير	٨٥/١٠٢
افتخر الحيان من الأنصار الأوس والخزرج	أنس بن مالك	١٦٢/١٥٣
أقبل نبىُّ الله ﷺ إلى المدينة وهو مُرْدِفٌ أبا بكر	أنس بن مالك	٨/٢٧
أقرئْ قومك السلام فإنهم ما علمت أعفةٌ صُبُر	أبو طلحة الأنصارى	١٣٩/١٤٢
أقمت مع رسول الله ﷺ بالمدينة سنة	النواس بن سمعان	٢١٦/١٧٨
ألاَ إنّ عيبتى التى آوى إليها أهلُ بيتى.	أبو سعيد الخدرى	١٦٠/١٥٢
ألا إن الناسَ دِثارى والأنصار شعارى	أبو قتادة الأنصارى	١٤٣/١٤٣
اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ما جعلت بمكة من البركة	أنس بن مالك	١٦٧/١٥٧
اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك	عمر بن الخطاب	١٧٨/١٦١

طرف الحديث	الراوى	الصفحة / رقم الحديث
اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار	زيد بن أرقم وأنس بن مالك	١٤٩/١٤٨
للهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار	أنس بن مالك	١٥١/١٤٩
اللهم اغفر للأنصار ولذرارىّ الأنصار	زيد بن أرقم	١٥٠/١٤٩
اللهم اغفر للأنصار ولذرارىّ الأنصار	رفاعة بن رافع	١٥٣/١٤٩
اللهم اكفهم مَنْ دهمهم ببأس	سعد بن أبي وقاص	١٨٥/١٦٣
اللهم امض لأصحابى هجرتهم	سعد بن أبي وقاص	١٢١/١٣٣
اللهم إن إبراهيم كان عبدك وخليلك دعاك	على بن أبى طالب	١٦٨/١٥٧
اللهم بارك لنا فى ثمرنا وبارك لنا فى مدينتنا	أبو هريرة	١٦٩/١٥٨
اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه	عبادة بن الصامت	١٨٨/١٦٣
أما بعد أيها الناس إن الناس يكثرون وتقل الأنصار	عبد الله بن عباس	١٥٨/١٥١
أما بعد فإن الأنصار عيبتى التى أويْتُ إليها	عائشة	١٦١/١٥٣
أما بعد يا معشر المهاجرين فإنكم قد أصبحتم تزيدون	بعض أصحاب النبى ﷺ	١٥٩/١٥٢
أمرت بقرية تأكل القرى	أبو هريرة	٣١/٤٧
أمسكْ أربعين، بعث لها خمس عشر بمكة	عبد الله بن عباس	٥٤/٧٥
إن إبراهيم حرَّم مكة وإنى حَرَّمْتُ المدينة	جابر بن عبد الله	١٩٢/١٦٤
إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها	عبد الله بن زيد بن عاصم	١٩٠/١٦٤
إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد	عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم	٩٢/١١٢
إن الله أيدنى بأشد العرب ألسنًا وأذرعًا	عبد الله بن عباس	١٢٥/١٣٧
إن الله تعالى سمّى المدينة طابة	جابر بن سَمُرة	١٦٤/١٥٦
إن الله عز وجل جعل لكم إخوانا وداراً	محمد بن إسحاق	٣٧/٥٣
إن الأنصار كرشى وعَيْبَتى	أنس بن مالك	١٥٤/١٥٠
إن الإيمان ليأرز إلى المدينة	أبو هريرة	١٧٩/١٦١
أن رسول الله ﷺ استغفر للأنصار	أنس بن مالك	١٥٢/١٤٩

طرف الحديث	الراوى	الصفحة / رقم الحديث
فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظَلّتْنى	عائشة	١٢/٣٣
فكان المولود يولد بالجُحْفَة فلا يبلغ الحلم	هشام بن عروة	٨٣/١٠٢
فلما أراد النبى ﷺ أن يفعل ذلك بعث إلى السعدين	الزهرى	٤٢/٦٠
فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان	كعب بن مالك	٤٨/٦٥
فلما مات أبو سلمة قلت: أى المسلمين خير من أبى سلمة	أم سلمة	٣٨/٥٥
فمن ولى الأنصار فليحسن إلى محسنهم	أبو قتادة	١٥٦/١٥١
حرف القاف		
قال المهاجرون: يا رسول الله ما رأينا مثل قومٍ قدمنا عليهم	أنس بن مالك	٩٦/١١٤
قال الأنصار: اقسم بيننا وبينهم النخل	أبو هريرة	٩٠/١١١
قالت الأنصار يوم فتح مكة ـ وأعطى رجالاً ـ	أنس بن مالك	١٤٥/١٤٥
قام رجل إلى عمر بن الخطاب فقال: أرِّخوا	محمد بن سيرين	٢٠٤/١٦٩
قدم أُصَيْل الغفارى قبل أن يُضرب الحجاب على أزواج النبى	الزهرى	٦٥/٨٠
قدم رجل من اليمن فقال: رأيت باليمن شيئا	محمد بن سيرين	٢٠٥/١٧٠
قدم رسول الله ﷺ المدينة، فلما دخل بالمدينة جاءت	أنس بن مالك	١٠٥/١١٨
قدم رسول الله ﷺ المدينة وهى أوبأ أرض الله	عائشة	٧٧/٩٩
قدم رسول الله ﷺ المدينة يوم الاثنين	عاصم بن عدى	٥٨/٧٦
قدم سول الله ﷺ وأصحابه فقال المشركون	عبد الله بن عباس	٨١/١٠٠
قدم طفيل بن عمرو والدوسى وأصحابه	أبو هريرة	٢٤/٤١
قدم لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الأول	أبو بكر بن حزم	٥٩/٧٧
قدم النبى ﷺ المدينة وهى مُحِمَّة	أنس بن مالك	٧٩/١٠٠
قدمت أم سلمة الأسلمية ،معها ،وطب من لبن	عائشة	٢٣٣/١٨٤
قدمنا المدينة فنالنا وباء من وعك المدينة	عبد الله بن عمرو	٨٠/١٠٠
قدمنا المدينة وهى أوبأ أرض الله	عائشة	٧٦/٩٨، ٨٢/١٠١
قلت للنبى ﷺ وأنا فى الغار: لو أن أحدهم نظر	أبو بكر الصديق	٥٢/٧٢

طرف الحديث	الراوى	الصفحة / رقم الحديث
لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية	عبد الله بن عباس	١٩٠/٢٤٢
لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية	صفوان بن أمية	١٩١/٢٤٩
لا هجرة ولكن جهاد، فانطلق فأعرض نفسك	عبد الله بن عمر	١٩١/٢٤٥
لا هجرة اليوم كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه	عائشة	١٩٠/٢٤٣
لا يُبغض الأنصار رجلٌ يؤمن بالله واليوم والآخر	أبو هريرة وأبو سعيد، وابن عباس	١٤٠/١٣٤
لا يُختَلى خلاها ولا ينفر صيدُها	على بن أبى طالب	١٦٥/١٩٣
لا يدخل المدينةَ رعبُ المسيح الدجال	أبو بكرة نفيع ابن الحارث	١٥٩/١٧٢
لا يقبل الله من مشرك بعد ما أسلم عملاً	معاوية بن حيدة	١٧٧/٢١٣
لا يكيد أهلَ المدينة أحد إلا انماع	سعد بن أبى وقاص	١٦٣/١٨٦
لعن الله من بَدَا بعد هجرة	جابر بن سَمُرة	١٨٢/٢٢٣
لقد لقيتُ من قومك ما لقيتُ	عائشة	٣٧/١٧
لم أعْقِل أبوىّ قط إلا وهما يدينان الدين	عائشة	١٨/٤
لم يؤمن بالله من لم يؤمن بى	سعيد بن زيد	١٣٩/١٣٣
لما اجتمعوا به وفيهم أبو جهل بن هشام	محمد بن كعب القرظى	١٦/٣
لما أجمع أبو سلمة الخروج رَحَل لى بعيره	أم سلمة	
لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسم فى الناس	عبد الله بن زيد بن عاصم	١٤٧/١٤٧
لما أمر الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ أن يعرض نفسه.	على بن أبى طالب	٣٩/٢١
لما انطلق النبى ﷺ وأبو بكر رضى الله عنه مستخفيين مرّا بعبد يرعى	قيس بن النعمان	١٠٣/٨٦
لما تُوفى أبو طالب خرج النبىُّ ﷺ إلى الطائف ماشيًا	عبد الله بن جعفر	٣٧/١٨
لما خرج رسول الله ﷺ من الغار مهاجرًا ومعه أبو بكر	عائشة	٨٥/٧١
لما خرج رسول الله ﷺ من مكة قال: أما والله لأخرج	عبد الله بن عباس	٧٩/٦٢
لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر أتانا نفر من قريش	أسماء بنت أبى بكر	١٢٦/١١٦

طرف الحديث	الراوى	الصفحة / رقم الحديث
المدينة حرم فمن أحدث فيها حدثًا	أبو هريرة	١٨٩/١٦٣
المدينة حرم ما بين عائر إلى كذا	على بن أبى طالب	١٩٤/١٦٥
المدينة حرم من كذا إلى كذا	على بن أبى طالب	١٩٤/١٦٥
المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون	سعد بن أبى وقاص	١٧٥/١٦٠
مرَّ رسول الله ﷺ بحيٍّ من بنى النجار	أبو موسى الأشعرى	١٠٦/١١٨
المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده	عبد الله بن عمرو بن العاص	٢٥٣/١٩٦
مضت الهجرة لأهلها	مجاشع بن مسعود	٢٤٦/١٩١
مكث رسول الله ، بمكة عشر سنين	جابر بن عبد الله	٢٥/٤١
مكث النبى ﷺ بمكة ثلاث عشرة سنين نبيا	عبد الله بن عباس	٣٤/٥١
من أحب الأنصار أحبه الله	أبو هريرة	١٣٥/١٤١
من أحب الأنصار أحبه الله عز وجل	معاوية بن أبى سفيان	١٣٦/١٤١
من أحب الأنصار فبحبى أحبهم	معاوية بن أبى سفيان	١٣٨/١٤٢
من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جَنْبَيّ	جابر بن عبد الله	١٨٧/١٦٣
من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله	سعد بن أبى وقاص	١٨٤/١٦٣
من أراد أهلها بسوء أذابه الله	أبو هريرة	١٨٣/١٦٢
من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها	عبد الله بن عمر	١٧٧/١٦٠
من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله	سمَرة بن جندب	٢١٠/١٧٧
من سَمى المدينة بيثرب فليستغفر الله	البراء بن عازب	١٦٣/١٥٥
من صبر على لأوائها كنت له شفيعا	عبد الله بن عمر	١٧٦/١٦٠
من هاجر يبتغى شيئًا فهو له	عبد الله بن مسعود	٢٤٠/١٨٩
المهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض	جرير بن عبد الله	٩٧/١١٤
المؤمن من أمنه الناس	أنس بن مالك	٢٥٧/١٩٧
المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم	فضالة بن عبيد	٢٥٥/١٩٦

٣ ـ فهرست رواة الأحاديث الواردة فى الكتاب (*)

أولا الأسماء

(*) اذكر اسم الراوى متبوعًا بلفظ (رضى الله عنه) إن كان صحابيًا، وبلفظ (رحمه الله) إن لم يكن صحابيًا، وأرقام الأحاديث التى رواها.

ثانيا: الكنى

ثالثا: الرواة المبهمين

٤ ـ فهرست المعالم الجغرافية التى تم التعريف بها فى الكتاب[1] .

اسم العلم	الفصل والصفحة
الأَبْطَح: (جزء من وادى مكة)	ف ١٠ ـ ١٢٢
الأَجْرَد: (شِعْب)	ف ٧ ـ ٨٧
أَضَاة بنى غِفار:(غدير)	ف ١٠ ـ ١٢٨
أَمَجْ:(واد زراعى)	ف ٧ ـ ٨٦
البحرين: (منطقة)	ف ٤ ـ ٥٨
بَرْك الغماد:(بلد)	ف ١ ـ ١٨
بُطْحَان:(وادٍ من أودية المدينة).	ف ٨ ـ ٩٨
بُعَاث:(مكان أو حصن أو مزرعة)	ف ٤ ـ ٥٨
تَعْهِن: (وادٍ من روافد القاحة).	ف ٧ ـ ٨٧
التنعيم:(وادٍ خارج الحرم من الشمال)	ف ١٠ ـ ١٢٣
ثَوْر:(جبل).	ف ١٢ ـ ١٦٥
الجباجب: (منازل)	ف ٤ ـ ٦٥
الجُحْفَة:(بلد).	ف ٦ ـ ٨٢
الجداجد:(آبار)	ف ٧ ـ ٨٧
الحَجُون:(جبل)	ف ٦ ـ ٨٣
الحَزْوَرَة: (مرتفع بمكة)	ف ٦ ـ ٨٢
الخرّار: (وادى الجُحفة).	ف ٧ ـ ٨٦
خيمة أم مَعْبد:(بلد).	ف ٨ ـ ١٠٤
ذو طُوَى: (وادٍ من أودية مكة)	ف ١٠ ـ ١٣٠
ذو كُشُد:(تَلْعَة)	ف ٧ ـ ٨٧
ذو المجاز: (سوق).	ف ٢ ـ ٣٦
رَكُوبة:(ثنية)	ف ٧ ـ ٨٩

(١) أذكر اسم المعلم والصفحة التى فيها التعريف به.

اسم العلم	الفصل والصفحة
رِئْم: (وادٍ من روافد وادى النقيع)	ف ٧ ـ ٨٩
السَّرَاة: (منطقة)	ف ٣ ـ ٥٢
السَّبْخة: (موضع بالمدينة)	ف ١٢ ـ ١٥٩
سَرِف: (موضع شمال مكة)	ف ١٠ ـ ١٢٩
شَامَة:(جبل)	ف ٦ ـ ٨٢
طَفيل:(حَرَّة)	ف ٦ ـ ٨٢
عائر(عَيْر): (جبل)	ف ١٢ ـ ١٦٥
العبابيد (العبابيب): (مياه)	ف ٧ ـ ٨٨
العَرْج:(وادٍ من أودية الحجاز).	ف ٧ ـ ٨٨
عُسْفَان:(بلد).	ف ٧ ـ ٨٦
العصوين(العضوين ـ الغضوين): (شعبتان)	ف ٧ ـ ٨٧
الغائر:(ثنية)	ف ٧ ـ ٨٨
الفاجَّة:(واد من روافد القاحة)	ف ٧ ـ ٨٨
القَاحَة:(وادٍ ذو روافد كبار)	ف ٧ ـ ٨٨
قُدَيْد:(وادٍ من أودية الحجاز)	ف ٧ ـ ٨٦
قَرْن الثعالب(قرن المنازل):(وادى)	ف ٢ ـ ٣٧
لَفْت:(ثَنِيّة)	ف ٧ ـ ٨٦
لِقْف:(وادٍ من روافد وادى الفُرُع)	ف ٧ ـ ٨٦
مِجَاح: (واد من روافد وادى الفُرُع)	ف ٧ ـ ٨٧
مَجَنَّة:(سوق)	ف ٦ ـ ٨١
مَدْلَجة مجَاح:(طريق)	ف ٧ ـ ٨٧
مَرْجح مَجَاح:(شَعْب)	ف ٧ ـ ٨٧
المُرَّة: (ثَنِيّة)	ف ٧ ـ ٨٦
هَجَر:(بلد)	ف ٤ ـ ٥٨

٥ ـ فهرست المصادر والمراجع

(١) القرآن الكريم

ـ **الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان:** ترتيب الأمير علاء الدين على بن بلبان الفارسى (ت٧٣٩ هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط. الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

ـ **الأدب المفرد:** لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى. بتحقيق محمد عبد القادر عطا. الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ـ **أسد الغابة فى معرفة الصحابة:** لعز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم المعروف بابن الأثير (ت. ٦٣هـ) تحقيق: محمد إبراهيم البنا وآخرون. مطبعة دار الشعب ـ القاهرة.

ـ **الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفاء:** للحافظ مغلطاى بن قليج (ت ٧٦٢ هـ) تحقيق محمد نظام الدين القُتَيِّح. الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ دار القلم دمشق، والدار الشامية ـ بيروت.

ـ **الإصابة فى تمييز الصحابة:** للحافظ أبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢) طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ـ **إمتاع الأسماع:** لأحمد بن على المقريزى (ت٨٤٥) تحقيق: محمود شاكر. طبعة قطر.

ـ **البداية والنهاية:** للحافظ أبى الفداء إسماعيل بن كثير القرشى (ت٧٧٤ هـ) تحقيق: د/ أحمد أبو ملحم وآخرين. الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ـ **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (قسم السيرة النبوية):** للحافظ شمس الدين محمد ابن أحمد الذهبى (ت ٧٤٨ هـ) تحقيق د/ عمر عبد السلام تدمرى ـ الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ ـ دار الكتاب العربى ـ بيروت.

ـ **تاريخ الأمم والملوك:** للإمام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت٣١٠هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ طبعة دار سويدان ـ بيروت.

ـ **تاريخ بغداد:** للحافظ أبى بكر أحمد بن على بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادى (ت٤٦٣ هـ) طبعة دار الكتاب العربى ـ بيروت.

ـ **التاريخ الكبير:** لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى (ت ٢٥٦ هـ) ط دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ـ **تجريد أسماء الصحابة:** للحافظ شمس الدين الذهبى (ت٧٤٨هـ) طبعة دار المعرفة ـ بيروت.

ـ **تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف:** للحافظ جمال الدين أبى الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزى (ت ٧٦٢ هـ) تحقيق: عبد الصمد شرف الدين. الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ـ الدار القيمة ـ بمباى الهند ـ والمكتب الإسلامى ـ دمشق.

ـ **تفسير القرآن العظيم:** للحافظ ابن كثير (ت٧٧٤هـ) طبعة دار إحياء الكتب العربية ـ بيروت.

ـ **الثقات:** لأبى حاتم ابن حبان البستى (ت٣٥٤هـ) طبعة: دائرة المعارف العثمانية. حيدر آبادالهند.

- **الجامع الصحيح للترمذى = سنن الترمذى.** لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٩٧ هـ) تحقيق/ أحمد محمد شاكر ـ طبعة دار الحديث ـ القاهرة.
- **جامع البيان فى تأويل أى القرآن:** لأبى جعفر محمد جرير الطبرى (ت ٣١٠) ط دار الفكر ـ بيروت ١٤٠٨ هـ.
- **الجامع الصحيح للبخارى= صحيح البخارى.**
- **حدائق الأنوار ومطالع الأسرار فى سيرة النبى المختار ﷺ وعلى آله المصطفين الأخيار:** تأليف وجيه الدين عبد الرحمن على بن محمد المعروف بابن الديبع الشيبانى (ت٩٤٤هـ) تحقيق: عبد الله إبراهيم الأنصارى طبعة قطر.
- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء:** لأبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى(ت ٤٣٠هـ) الطبعة الثانية ـ دار الكتاب العربى ـ بيروت.
- **خاتم النبيين ﷺ:** للشيخ محمد أبى زهرة (ت ١٣٩٤ هـ) الطبعة الأولى١٩٧٢م ـ دار الفكر ـ بيروت.
- **دراسات فقهية:** نزيه حماد الطبعة الأولى١٤١١ هـ طبعة دار الفاروق ـ الطائف ـ السعودية.
- **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة:** للحافظ أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى (ت ٤٥٨ هـ) تحقيق الدكتور: عبد المعطى قلعجى ـ الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت.
- **دلائل النبوة:** لأبى القاسم إسماعيل بن محمد الفضل التيمى الأصبهانى (ت ٥٣٥ هـ) تحقيق الدكتور : مساعد بن سليمان الراشد الحميد ـ الطبعة الأولى١٤٤٢هـ طبعة دار العاصمة ـ الرياض.
- **الروض الأنف فى تفسير السيرة النبوية لابن هشام:** لأبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلى (ت ٥٨١ هـ) تعليق: طه عبد الرءوف سعد. طبعة مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة.
- **زاد المعاد فى هدى خير العباد:** للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أبى بكر الزرعى المعروف بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط. الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ طبعة مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
- **سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد:** للإمام محمد بن يوسف الصالحى الشامى (ت ٩٤٢ هـ) الطبعة الأولى ـ طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة.
- **سنن ابن ماجه:** لأبى عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزوينى (ت ٢٧٥ هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى. طبعة المكتبة العلمية ـ بيروت.
- **سنن أبى داود:** للإمام أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى (ت ٢٧٥ هـ) تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد. طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت.
- **سنن الدارمى:** لأبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى(ت٢٥٥هـ) تحقيق: فواز أحمد زمرلى، وخالد السبع العلمى طبعة ـ دار الريان ـ القاهرة ـ ١٩٨٧م.

- **سنن النسائى بشرح السيوطى وحاشية السندى:** للإمام أبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى (ت٣٠٣هـ) طبعة دار إحياء التراث العربى - بيروت.
- **السنن الكبرى للبيهقى:** للحافظ أبى بكر البيهقى (ت٤٥٨هـ) طبعة دار المعرفة - بيروت.
- **السنن الكبرى للنسائى:** للإمام أبى عبد الرحمن النسائى (ت٣٠٣هـ) طبعة دار الكتب العلمية . بيروت.
- **سير أعلام النبلاء:** للحافظ الذهبى (٧٤٨هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين. الطبعة العاشرة ١٤١٤هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت.
- **سيرة ابن إسحاق:** للإمام محمد بن إسحاق بن يسار المطلبى (ت١٥٢هـ) = **انظر: السيرة النبوة لابن هشام.**
- **السيرة النبوية:** لأبى محمد عبد الملك بن هشام (ت٢١٨) تحقيق: مصطفى السقا، وآخرون طبعة مؤسسة علوم القرآن - بيروت.
- **السيرة النبوية:** للحافظ ابن كثير. تحقيق: مصطفى عبد الواحد .
- **السيرة النبوية الصحيحة:** للدكتو أكرم ضياء العمرى. الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ - مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة.
- **السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة:** للدكتور محمد بن محمد أبى شبهة - الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ طبعة دار القلم - دمشق وبيروت.
- **شرح السنة:** للإمام أبى القاسم البغوى طبعة المكتب الإسلامى.
- **شرح النووى علي صحيح مسلم:** لأبى زكريا يحيى بن شرف النووى (ت٦٦١هـ) طبعة - دار الشعب - القاهرة.
- **الصحاح**
- **صحيح ابن حبان:** لأبى حاتم محمد بن حبان البستى (ت٣٥٤هـ) = **انظر: الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان.**
- **صحيح البخارى:** للإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى (ت٢٥٦هـ) **مع شرحه فتح البارى بشرح صحيح البخارى:** للحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ). قام بإخراجه: محب الدين الخطيب - طبعة دار المعرفة - بيروت.
- **صحيح مسلم:** للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابورى (ت٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. طبعة دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبى - القاهرة.
- **الطبقات الكبرى:**للإمام محمد بن سعد بن منيع البصرى(ت٢٣٠هـ) طبعة دار صادر - بيروت.
- **طريق الهجرة النبوية:** لعبد القدوس الأنصارى - الطبعة الأولى ١٣٣٨هـ مطابع الروضة بجدة - السعودية.
- **عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذى:** لابن العربى المالكى (ت٥٤٣هـ) طبعة دار أم القرى للطباعة والنشر - القاهرة.

- **على طريق الهجرة:** لعاتق بن غيث البلادى . طبعة ١٣٩٨هـ دار مكة للنشر التوزيع - مكة المكرمة.
- **عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير:** لأبى الفتح محمد بن محمد المعروف بابن سيد الناس (ت٧٣٤هـ). الطبعة الأولى ١٩٧٧م - دار الآفاق الجديدة - بيروت.
- **غريب الحديث:** لأبى سليمان حمد بن محمد الخطابى (ت٣٨٨هـ) تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوى. طـ جامعة أم القرى ١٣٠٢هـ.
- **فتح البارى - صحيح البخارى.**
- **فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير:** للإمام محمد بن على بن محمد الشوكانى (ت ١٢٥٠هـ) الطبعة الثالثة ١٣٩٣هـ) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- **فتوح البلدان:** لأبى الحسن أحمد بن يحيى البلاذرى (ت٢٧٩هـ) تعليق: رضوان محمد رضوان طبعة دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣هـ.
- **فقه السيرة:** للدكتور محمد سعيد رمضان البوطى. والطبعة السابعة ١٣٩٨هـ دار الفكر .
- **فقه السيرة:** للشيخ محمد الغزالى.
- **فيه السيرة النبوية:** للدكتور منير محمد الغضبان. الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ جامعة أم القرى - مكة المكرمة.
- **فى ظلال السيرة النبوية - الهجرة النبوية:** للدكتور محمد عبد القادر أبى فارس . الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ دار الفرقان للنشر والتوزيع - عمان - الأردن.
- **القاموس المحيط:** لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت٧١٨هـ) الطبعة الثانية ١٣٧١هـ - مكتبة مصطفى البابى الحلبى بمصر.
- **كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة:** للإمام نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى (ت٨٠٧هـ) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمى . الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ مؤسسة الرسالة - بيروت.
- **لسان العرب:** لأبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقى المصرى طبعة دار صادر - بيروت.
- **مجتمع المدينة المنورة فى عهد الرسول ﷺ:** للدكتور. محمد لقمان الأعظمى. طبعة دار الاعتصام - القاهرة.
- **المجتمع المدنى فى عهد النبوة خصائصه وتنظيماته الأولى:** للدكتور أكرم ضياء العمرى. الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - المجلس العلمى بالجامعة الإسلامية - المدينة المنورة.
- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد:** للإمام نور الدين الهيثمى (ت٨٠٧هـ) الطبعة الثانية ١٩٦٧ دار الكتاب بيروت.
- **مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة ومسند أحمد:** للحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ) تحقيق: صبري بن عبد الخالق - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.
- **المستدرك على الصحيحين:** لأبى عبد الله محمد بن عبد الله النيسابورى الحاكم (ت٤٠٥هـ)، وبحاشيته تلخيص الذهبى - الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - دار المعرفة - بيروت.

- **المستفاد من مبهمات المتن والإسناد:** للإمام الحافظ ولى الدين أبى زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقى (ت٥٢٦هـ) تحقيق الدكتور: عبد الرحمن عبد الحميد البر. الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - دار الوفاء - المنصورة - ودار الأندلس الخضراء - جدة.
- **المسند:** للإمام أبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى (ت٢٤١هـ) طبعة المكتب الإسلامى - بيروت.
- **مسند أبى يعلى:** للإمام أبى يعلى أحمد بن على بن المثنى الموصلى (ت٣٠٧هـ) تحقيق: حسين سليم أسد. الطبعة الأولى ١٩٨٦م دار المأمون للتراث - بيروت ودمشق.
- **مسند الطيالسي:** لأبى داود سليمان بن داود بن الجارود(ت٢٠٤هـ)طبعة دار المعرفة - بيروت.
- **مشكل الآثار:** للإمام أبى جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوى (ت ٣٢١هـ). الطبعة الأولى ٣٣٣ أهـ طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن بالهند.
- **المصنف:** لأبى بكر عبد الرازق بن همام الصنعانى (ت٢١١هـ) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمى. الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ المجلس العلمى.
- **المصنف فى الأحاديث والآثار:** لأبى بكر محمد بن عبد الله بن أبى شيبة (ت٢٣٥هـ) طبعة الدار السلفية - الهند.
- **معالم السنن:** لأبى سليمان حَمْد بن محمد الخطابى (ت٣٨٨هـ) بهامش سنن أبى داود. تعليق: عزت عبيد الدعّاس. نشر وتوزيع: محمد على السيد - حمص - سورية.
- **المعجم الكبير:** للإمام أبى القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانى (ت.٣٦هـ) تحقيق: حمدى عبد المجيد السلفى. والطبعة الثانية - وزارة الأوقاف العراقية.
- **معجم المعالم الجغرافية فى السيرة النبوية:** لعاتق بن غيث البلادى. الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ دار مكة للنشر والتوزيع - مكة المكرمة.
- **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى:** ألفه جماعة من المستشرقين بإشراف: أ. ى» فنسنك - طبعة. ليدن - ١٩٣٦م.
- **المغنى:** لأبى محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسى (ت٩٢٠هـ) طبعة مكتبة الرياض الحديثة - الرياض.
- **المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات:** لأبى الوليد محمد ابن أحمد بن رشد القرطبى (ت٥٢٠هـ) تحقيق الأستاذ سعيد أحمد أعراب الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ دار الغرب الإسلامى - بيروت.
- **المنهج الحركى للسيرة النبوية:** للدكتور منير محمد الغضبان. الطبعة السادسة ١٤١١هـ مكتبة المنار بالأردن.
- **الموطأ:** للإمام مالك بن أنس (ت١٧٩هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقى - طبعة. دار الحديث - القاهرة.
- **النهاية فى غريب الحديث والأثر:** لأبى السعادات المبارك بن محمد المعروف بابن الأثير (ت٦٠٦هـ) تحقيق: محمود الطناحى وآخرين. طبعة المكتبة الإسلامية.

٦ ـ فهرست موضوعات الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة